علوم القرآن التاريخية

دراسة في النظرية والتطبيق

الأستاذ الدكتور

محمد كاظم حسين الفتلاوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم

جامعة الكوفة

المؤلف: ..... الأستاذ الدكتور محمد كاظم الفتلاوي
الكتاب: ..... علوم القرآن التاريخية
(تاريخ القرآن)
الناشر: ..... دار حدود / النجف الأشرف
الطبعة: ..... الأولى / ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م
المطبعة: ..... مطبعة الرافد – بغداد

التصميم والإخراج الفني
مكتب محمد الخزرجي ٠٧٨٠٠١٨٠٤٥٠
العراق - النجف الأشرف

الترقيم الدولي I. S. B. N. 978 – 9922 – 9774 – 2- 3

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٥٠) لسنة ٢٠٢٢م

محفوظة جميع الحقوق

بسم الله الرحمن الرحيم
وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما

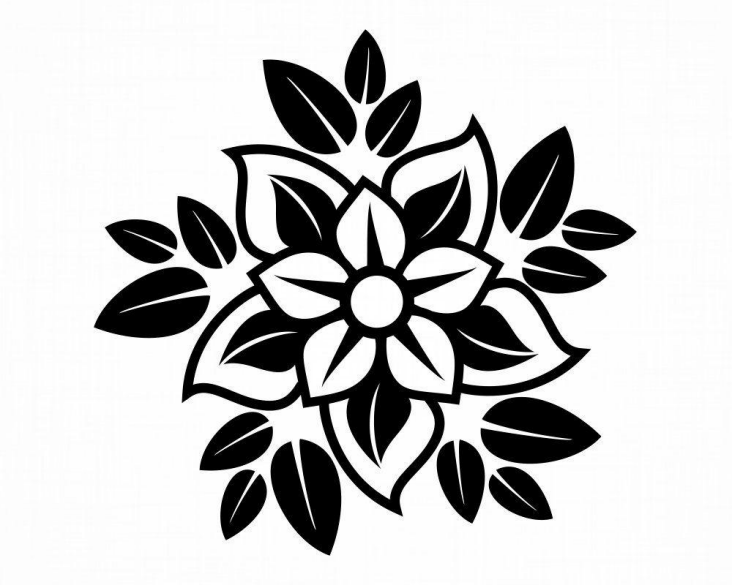

إهداء

إلى..

ذلك الإنسان الذي اشتغل بائعاً للكتب (الكتبي) في دروب النجف القديمة (الحويش).

إليك... وانت تحمل تلك السماحة ذاتها التي كنت عليها قبل أكثر من عقد من الزمن.

إليك... وانت تحف بنا طلاباً للماجستير وتحسبنا ضيوفاً في مكانك.

إليك... وانت تحفظ لنا الكرامة بلحاظك قلة ذات اليد فينا فتجمع لنا ما نريد من الكتب والمصادر نطالعها ثم نعيدها إليك وانت ذو محيا يبتهج رضاً وفرحاً.

إليك...أيها السيد الهاشمي ... هيثم زبيبة .

هذا الجهد اهدي.

محمد

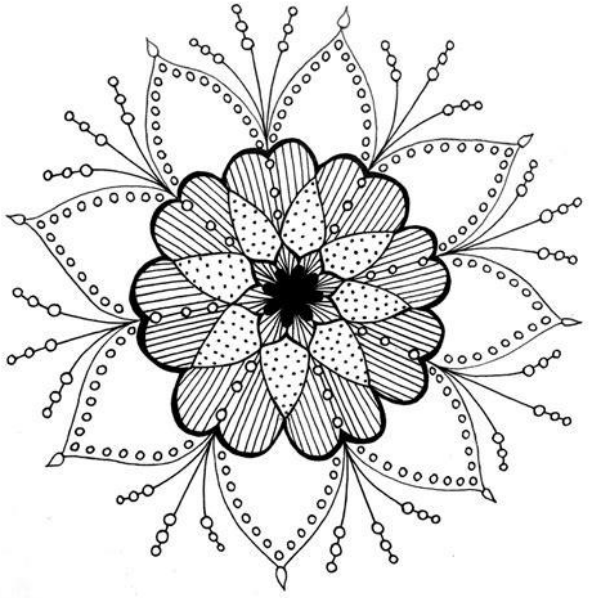

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

اما بعد..

أسأل الله عجل أن يرزُقنا علماً نافعاً وعملاً صالحاً وقلباً خاشعاً، ذكرنا في مؤلفنا السابق: (أساليب القرآن الكريم – دراسة في النظرية والتطبيق –) / ٢٠٢٢م قصة مفادها: ان أول شروع للتأليف كان عن علوم القرآن (التاريخية والموضوعية)، ولكن بعد المطالعة والبحث كان لكتابنا المتقدم ذكره ان يرى النور قبل غيره لأستيفاءه حقه – بحسب طاقتي البشرية – ولحاجة المراجعة والتأني في موضوعات علوم القرآن التاريخية والموضوعية لما فيها من بُعد زماني الأمر الذي يتطلب بحثاً دقيقاً لهذا العلم، وتتبعاً لمساراته ومواضعه في مجالات التأليف والكتابة في القديم والحديث، وكذلك للسبب الذي تم ذكره في مقدمة كتاب (أساليب القرآن الكريم)[١].

فالإنسان حينما يقدم على عمل من الأعمال لابد له من هدف محدد؛ لأنه لا يمكن أن يتعاطى الأشياء عبثاً من غير أمر يسعى لتحصيله.

وعلى كل حال فبعد ان مَن الله عجل علينا بتوفيقه باكمال كتابنا السابق، عقدنا العزم على متابعة الخطى وحث النفس لبحث تاريخ القرآن الكريم بأسلوب رصين يعبر عن رؤية طالب العلم والأستاذ معاً في الانسجام بين تاريخ القرآن والدراسات المعاصرة المكافئة التي طالما ابتعدت شيئاً فشيئاً عن الجوهر، ولملمة شتات المتفرق

(١) ظ: المؤلف، أساليب القرآن الكريم، ص١١.

من الماضي مع تحرٍ وثيقٍ من المصادر الموثوقة التي عليها المعول واليها المرجع بعد مقارنتها مع نظائرها واستخلاص المعلومة الدقيقة وقنصها من بطونها وذلك اما بحذف زائدٍ أو إضافة ناقصٍ أو تعديل إعوجاجٍ أو تقويم تحريفٍ أو تنظيم منهج يتناسب مع اذواق الباحثين والقارئين.

وينبغي عدم تجاهل انقسام علوم القرآن الكريم على قسمين هما:

١. علوم القرآن الموضوعية: المتعلقة بالنصوص القرآنية المحكمة وغيرها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: (علم النسخ، وعلم المحكم والمتشابه، وعلم التناسب، وعلم القصة، وغيرها).
٢. علوم القرآن التاريخية، التي تكون شاملة للعلوم المتعلقة بخارج النص القرآني أو التي تكون محيطة بالنص القرآني وتشمل: (ظاهرة الوحي وما ينطوي عليه من معاني، وعلم المكي والمدني، وعلم أسباب النزول، وعلم القراءات القرآنية)، ويضاف الى ذلك البحوث المتعلقة بنظريات جمع القرآن في القرن الهجري الأول وعلم رسم المصاحف وما تابعه من التنقيط وغيره.

وتجدر الإشارة الى ان مصطلح (تاريخ القرآن) ظهر في العصر الحديث، وهو مصطلح جديد، ناله من النقد والتشكيك الكثير، ولسنا ها هنا بمعرض بيان الشبهات وردها[١]، لا سيما بعد ان تسالم أهل العلم والاختصاص على هذا المصطلح.

ولقد ساهم عدد غفير من المستشرقين وعلماء من مدرسة أهل البيت عليهم السلام وكذلك من تابعي مدرسة الصحابة في البحث والكتابة في هذا العلم حتى أثبتوا بعض عنوانات تصانيفهم باسمه أي (تاريخ القرآن الكريم) والشواهد وفيرة.

---

(١) يرى عَدْنَان زَرْزور أنَّ مصطلح "تاريخ القرآن" ينبغي تعديله إلى "تاريخ توثيق النص القرآني"، لما فيه من لبس وتشكيك في النص القرآني من قبل المستشرقين، إذ يقول: (أما محور (تاريخ القرآن) الذي تناولناه بالبحث، بوصفه مدخلاً مهماً وضرورياً إلى هذه العلوم، فإننا ما زلنا نبحث فيه تحت عنوان (قطعية النص القرآني وتاريخ توثيقه) زيادة في الدقة والاحتراز أمام بعض الفهوم والتفسيرات التي نبتت في هذا العصر كما هو معلوم). علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، ص٦.

ويرى العقل السوي انه لا شك ولا ريب ان تُؤلف في كل زمان مؤلفات تتناسب وأذواق المؤلفين بل تسير على خطاهم واساليبهم وتنظيمهم وترتيبهم وما زال التأليف قائماً ببذل الجهود في تبسيط الأسلوب وتيسير المفاهيم والابتعاد عن رونق التعقيد وزخرفة التطويل واضغاط الالفاظ واختزال الأفكار وعدم انفتاحها.

وبعد جُهد متابعةٍ وإضفاءٍ ومطالعةٍ مستفيضةٍ لمؤلفاتٍ في تاريخ القرآن وتفحص بعض المناهج وطرق الدراسات العلمية آخذاً بنظر الاعتبار اتجاهات الدارسين والباحثين فقد رأيت الحاجة ماسةً لإعادة هيكلة وترتيب وجدولة صياغة المعلومات والمعارف وتوثيق الدلالات بما يناسب وتطلعات طلاب العلوم والراغبين في التحصيل العلمي والثقافي.

ومن الملاحظ في عصرنا ظهور دعوات اصطبغت بصبغة التجديد حيناً، والمعاصرة حيناً آخر، اتجهت إلى علوم القرآن التاريخية نقداً ودراسة، ووجه أصحابها سهامهم للنصوص فجردوها من معانيها، وأحكامها، وللوقائع التاريخية فحرفوها عن غايتها ومضمونها، باسم التجديد والتطوير تارة، وتارة باسم مواكبة تغيرات العصر وحاجات الناس، فبرز وعاظ السلاطين وظهرت آراء سقيمة وأفكار خطيرة، عن الصواب حادت، وللمعلومة طمست، وعن الحق تجافت.

وبعد الاتكال على الباري ﷻ كان الشروع بتأليف كتاب عن علوم تاريخ القرآن الكريم وظهوره للعيان باسم: (علوم القرآن التاريخية).

وحقاً السعيد من صَرف همَّته الى القرآن وأوقف فكره وعزمه عليه، فالشواهد على تأثير القرآن في الجماعات مرسومة وللمُتأمل معلومة فهو: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

(١) سورة الحاقة، الآية: ٤٣.

وقد اعتمدت في دراسة هذا الموضوع على الجمع بين عدد من المناهج العلمية التي وجدتها ملائمة لطبيعة البحث، جاعلاً من المنهج الوصفي والتحليلي والنقدي، سمة غالبة في عرض المعلومة بعد تقصيها من مضانها.

كما حاولت في هذا الكتاب البُعد عن دائرة الخلافات الجدلية، والتخلص من الشروح والحواشي والتقارير التي تثقل كاهل العلم وتزيده صعوبة وغموضاً، مع الألتزام فيه بوضوح العبارة وسهولة اللفظ، قدوتي في ذلك منهج آية الله السيد عبد الأعلى السبزواري ﷺ في تفسيره، إذ قال: (احترزت عن ذكر العبارات المغلقة والألفاظ الصعبة أو التفصيل الزائد عن الحد وحاولت أن أبين المعنى بأسهل الألفاظ والكلمات حتّى يعم النفع للجميع وتتم الحجة به عليهم)[١].

وكذلك عزو الآيات، وتخريج الأحاديث من مصادرها المعتبرة، مع الالتزام بالموضوعية في النقل والتوثيق، ونسبة الآراء لأصحابها بكل احترام للرأي العلمي، رائدي في ذلك منهج أستاذي العلامة الدكتور محمد حسين الصغير، الذي أقره في مقدمة كتابه، إذ قال: (وسوف لا تلمس فيه للتعصب أثراً، ولا تصطدم بالمحاباة منهجاً، الهدف العلمي يطغى فيه على الهوى النفسي، ليلتقي من خلال ذلك الغرض الفني في النقد والتمحيص، بالغرض الديني في الاستقراء والمعرفة، لم أكن فيه متطرفاً حد الإفراط، ولا متسامحاً حد التهاون، بل اتخذت بين ذلك سبيلاً)[٢].

وقسمت الكتاب على ثمانية فصول، الفصل الأول بعنوان: ظاهرة الوحي، والفصل الثاني كان عن نزول القرآن وتنزيله، والفصل الثالث عن علم المكي والمدني، والفصل الرابع عن علم أسباب النزول، والفصل الخامس عن علم جمع القرآن وتدوينه، والفصل السابع عن علم الرسم القرآني، والفصل الثامن كان عن سلامة القرآن الكريم من التحريف، خاتماً فصول الكتاب بخاتمة وقائمة بالمصادر.

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ١/٧.
(٢) دراسات قرآنية / تاريخ القرآن، ص٥.

أخي القارئ الكريم.. عزيزي طالب العلم: لا ادعي فيما كتبت الكمال، ولكني ازعم اني بذلت الجهد، ولطالما واصلت النهار بالليل والليل بالنهار عاكفاً بمحراب المكتبة ليقيني ان العلم لا يُدرك بالسهام، ولا يُرى في المنام، ولا يورث عن الآباء والأعمام، إنما يُحصد بالسهر، والعزوف عن كثير من متاع الحياة الدنيا، كل ذلك خدمة للقرآن العظيم رسالة النبي الخاتم ﷺ، راجياً الله ﷻ ان يكون ما كتبت حسنة جارية حين يدركنا الحق وتغرب شمس دنيانا هذه لتشرق نفوسنا بالأمان في: ﴿يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾[1].

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق محمد وآله الطاهرين.

الأستاذ الدكتور

محمد كاظم حسين الفتلاوي

جامعة الكوفة / النجف الأشرف

٢٠٢٣م

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٨ – ٢٩.

الفصل الأول

ظاهرة الوحي

ففروا إلى الله

ظاهرة الوحي

تكمن ضرورة الوحي بوجود صلة بين الشهادة والغيب، وضرورة معرفتنا لكلام الخالق، وضرورة كل ما له علاقة بوصول العلم من المصدر (الخالق) إلى النفس المدركة، وذاك متمثّل في النبوة والرسالة، وهو قضية مهمة لتوجيه المنهج، ومعرفة الطريق الغيبي والجانب الرُّوحاني.

والنبي الخاتم ﷺ يمثل الانموذج الاسمى للإنسان الكامل فقد كان قبل البعثة ومنذ صباه رمزاً للعفة والأتزان في زمن كان فيه الناس تتفاخر بالفواحش، وفي شبابه اشتهر بالصدق والأمانة في حين كان اقران عصره يعاقرون الخمر ويخذلون القريب قبل البعيد، وحين بلغ الأربعين من عمره الشريف كان محل ثقة السماء لتبليغ الرسالة وأهلاً لها دون غيره لحمل ثقل الأمانة الكبرى، (فبلّغ الرسالة، صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثبجهم، آخذاً باكظامهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام، وينكث الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الاخلاص في نفر من البيض الخماص)[١].

نعم بهذه الجهود العظيمة والنضال الأكبر والاستبسال الجاد ابلغ النبي ﷺ تعاليم الوحي السماوي الداعية الى التوحيد والعدل والحرية والنظام والرفاهية بعد ان كانت الأمة (على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الاقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون الورق، أذلة خاسئين، تخافون

(١) خطبة السيدة فاطمة الزهراء ع. المجلسي، بحار الانوار، ٢٢٤/٢٩.

أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد ﷺ بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني ببهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب..)[١].

كانت حياة النبي الأكرم ﷺ مفعمة بالإخلاص والمحبة، متألم على ما يصيب الناس من وهن الدنيا، جاد على هدايتهم وانقاذهم من عذاب الآخرة، رحيم في كلامه ومشاعره ومن ذلك جميل ما وصفه القرآن الكريم، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

وحقيقة كانت سيرة النبي ﷺ منار هداية ورشاد لمن اتبعه والتزم نهجه، ورام الآخرة مستقراً ومقاما، وبذلك أشار القرآن المجيد لهذه القدوة العظيمة، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٣].

وفي المعنى ذاته وصف الإمام علي عليه السلام رسول الله ﷺ فقال: (فهو إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى، سراج لمع ضوءه، وشهاب سطع نوره، وزند برق لمعه، سيرته القصد وسنته الرشد، وكلامه الفصل، وحكمه العدل..)[٤].

يقول العالم مايكل هارت (ت:٢٠١١م)[٥] في كتابه مائة رجل في التاريخ: (إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي.

---

(١) المجلسي، بحار الانوار، ٢٢٤/٢٩.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
(٣) سورة الاحزاب، الآية: ٢١.
(٤) نهج البلاغة، ١٨٥/١.
(٥) (بالإنجليزية: Michael H. Hart) (١٩٣٢– ت:٢٠١١م) هو فيزيائي فلكي يهودي أمريكي، صاحب كتاب الخالدون المئة الذي ألفه سنة ١٩٧٨م. وقد وصف نفسه بأنه "انفصالي عرقي مناصر للبيض"، فاقترح عام ١٩٩٦ تقسيم الولايات المتحدة إلى أربع دويلات: دويلة للبيض ودويلة للسود ودويلة للهسبان السمر ودويلة للأعراق المختلطة.

فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدءوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليها سواهم، كموسى في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته. ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً، وحّد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم. أيضاً في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية، وأتمها)[١].

نعم.. سيرة الرسول الخاتم ﷺ لا تحتويها شروحات عابرة وانما هي سيرة ونهج، وما تقدم لمحات اقتضتها ضرورة المقام لبيان حقيقة شخصية الرسول ﷺ الإنسان الكامل وهي حقيقة أخرى عن حقيقة الوحي الإلهي الذي جند النبي ﷺ له كل حياته بكل تفاصيلها، فكان لرسالة السماء مبلغاً أميناً.

فحقيقة الوحي (الظاهرة) هي التي نروم بيانها علميّاً في أول فصول كتابنا هذا تحت عنوان ظاهرة الوحي، وعلى النحو الآتي:

أولاً: معنى الوحي:

الوحي لغة: يقال وحيت إليه وأوحيت: إذا كلّمته بما تخفيه عن غيره. إعلام في خفاء[٢].

الوحي اصطلاحاً: هو الوسيلة الإلهية التي يتم بها الاتصال الغيبي بين الله تعالى والمبعوث (النبي أو الرسول) ليقوم ذلك المبعوث بأداء مهمته وهي إبلاغ الناس مضامين السماء التي يبتغي الله ﷻ إبلاغها إليهم[٣].

---

(١) نهج البلاغة، ١٨٥/١.
(٢) ظ: ابن منظور، لسان العرب، ٣٨١/١٥.
(٣) ظ: د. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص٢٤، د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، تأريخ القرآن وعلومه، ص١٢٠.

وقد حدد العلامة الطباطبائي (ت:١٩٨٠م) الوحي بقوله هو: (إلقاء المعنى بنحو يخفى على غير من قُصِدَ إفهامه)[١]، حيث يشمل هذا التحديد كلّ أنحاء الوحي، فيدخل فيه الوحي المباشر (بلا واسطة) والوحي غير المباشر (كالوحي بواسطة مَلَك). وقد قرّر الأدب الديني في الإسلام أن لا يطلق الوحي على غير ما عند الأنبياء والرسل عليهم السلام من التكليم الإلهي[٢].

ثانياً: معاني الوحي في القرآن الكريم:

ورد استعمال كلمة الوحي في القرآن الكريم بمعانٍ كثيرة منها:

١. الإلهام الغريزي (التسخير): كالوحي إلى النحل؛ قال الله تعالى: ﴿**وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾[٣].

٢. الإلهام الفطري: كالوحي إلى أمّ موسى، قال تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ**﴾[٤].

٣. أمر رحماني (وحي الأمر): وهو شعور نفساني داخلي مصدره الله تعالى، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي...**﴾[٥]، ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ...**﴾[٦].

٤. وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ**﴾[٧].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، ٤٩٢/١٢.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) سورة النحل، الآية: ٦٨.
(٤) سورة القصص، الآية: ٧.
(٥) سورة المائدة، الآية: ١١١.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ١٢.
(٧) سورة الانعام، الآية: ١٢١.

٥. الإشارة السريعة على سبيل الرمز، كإيحاء زكريا عليه السلام لقومه، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾(١).

٦. وحي الله الى ملائكته بالأمر يفعلوه، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٢).

٧. الوحي الرباني الى الجمادات: قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾(٣).

٨. الوحي إلى الأنبياء عليهم السلام (وحي النبوّة والرسالة): وهو اتّصال غيبيّ بين الله وأنبيائه عليهم السلام، ويختلف عن سائر الإيحاءات المعروفة لجهة مصدره الغيبي اتّصالاً بما وراء المادَّة. وهذا هو المعنى الاصطلاحي للوحي، وقد استعمله القرآن الكريم في أكثر من سبعين موضعاً، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾(٥).

٩. الرؤيا الصادقة، وهي وحي إلهي بالنسبة للأنبياء عليهم السلام خاصة، يتلقون فيها الأوامر، ويتسلمون التعليمات من السماء، كما دل على ذلك قوله تعالى فيما اقتص الله من خبر إبراهيم عليه السلام مع ولده: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ

(١) سورة مريم، الآية: ١١.
(٢) سورة الانفال، الآية: ١٢٦.
(٣) سورة الزلزلة، الآية: ٤.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٣.
(٥) سورة فصلت، الآية: ٦.

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾[٢].

وقد دل على جميع ما تقدم مضافاً للدلالات القرآنية ما يروى عنه ﷺ: (انقطع الوحي، وبقيت المبشرات: رؤيا المؤمن، فالإلهام، والتسخير والمنام)[٣].

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢ – ١٠٥.
(٢) سورة الفتح الآية: ٢٧.
(٣) الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص٥١٦.

ثالثاً: أنواع (صور) الوحي النبوي:

يتحقّق الوحي النبوي على أنحاء ثلاثة، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾[١]، هي:

النوع الأول: الوحي على الإلهام، بمعنى: إلقاء المعنى مباشرة في قلب النبيّ دون واسطة[٢]، وذلك بالقذف والنفث في القلب والروح.

وروي عن الإمام علي الهادي عليه السلام الإشارة إلى الربط بين معنى الإلهام والقذف في الروع. فحين سئل عن قوله تعالى: **(إِلَّا وَحْيًا)** قال: (وحي مشافهة، ووحي إلهام، وهو الذي يقع في القلب)[٣].

فهو إذن التكليم الخفي من دون أن يتوسط واسطة بينة تعالى وبين النبي أصلاً[٤].

النوع الثاني: تكليم النبيين من وراء حجاب، ومنه قوله تعالى: ﴿..**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[٦].

تنويه: الكلامُ الصادر منه تعالى لنبيِّه موسى عليه السلام كان إحداثاً وإيجاداً للكلام ابتداءً كما هو الشأن في إيجاده لسائر مخلوقاته، فكما أنَّه تعالى: ﴿**إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ**

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥١.
(٢) ظ: محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ٥٣٤/٦.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٥١.
(٤) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٧٣/١٨.
(٥) تفسير القمي، ٢٧٩/٢.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

﴿يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[١]، كذلك هو الشأن في كلامه تعالى لموسى عليه السلام أرادَه فتكوَّن فسمعَه موسى عليه السلام.

وهذا هو معنى ما أفاده الإمامُ علي بن موسى الرضا عليه السلام: (.. ومعاذ الله أن يُشبه خلقَه أو يتكلَّم بمثل ما يتكلَّمون ولكنَّه تبارك وتعالى ليس كمثلِه شيء ولا كمثلِه قائل فاعل، قال السائل وكيف ذلك؟، قال: كلام الخالق للمخلوق ليس ككلام المخلوق للمخلوق، ولا يُلفظ بشقٍّ فمٍ ولسان ولكن يقولُ له ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾[٢] فكان بمشيئته ما خاطبَ به موسى من الأمر والنهي عن غير تردُّدٍ في نفس)[٣].

وورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: (كلَّم الله موسى تكليماً بلا جوارح وأدوات وشفةٍ ولا لهوَات سبحانه وتعالى عن الصفات)[٤].

النوع الثالث: إرسال مَلَك ليكون واسطة في إيصال الوحي للأنبياء عليهم السلام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا...﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ﴾[٦].

قال الشيخ الطبرسي (ت:٥٤٨هـ): أي (نزل الله بالقرآن (الرُّوحُ الْأَمِينُ) يعني جبرائيل عليه السلام، وهو أمين الله، لا يغيره ولا يبدله، لأن الله تعالى يسمعه جبرائيل عليه السلام فيحفظه، وينزل به على الرسول، ويقرأه عليه، فيعيه ويحفظه بقلبه. فكأنه نزل به على قلبه)[٧].

ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد

(١) سورة يس، الآية: ٨٢.
(٢) سورة يس، الآية: ٨٢.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ١٥٢/٤.
(٤) المصدر نفسه، ٢٩٥/٤.
(٥) سورة القصص، الآية: ٣٠.
(٦) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٣-١٩٤.
(٧) تفسير مجمع البيان، ٣٥٣/٧.

رابعاً: الوحي المحمّدي:

كان الوحي الإلهي ينزل على النبي ﷺ على أنحاء ثلاثة:

أولاً: الوحي عبر الرؤيا الصادقة والمنام: إنّ النّبي ﷺ لمّا أتى له سبع وثلاثون سنة، كان يرى في منامه كأنّ آتياً يأتيه فيقول: يا رسول الله! ومضت عليه بُرهة من الزمن وهو على ذلك يكتمُه(١).

وعن الإمام علي عليه السلام: (رؤيا الأنبياء وحي)(٢)، وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام: (وأمّا النبيّ فهو الذي يرى في منامه، نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، ونحو ما كان رأى رسول الله ﷺ من أسباب النبوّة قبل الوحي، حتّى أتاه جبرائيل عليه السلام من عند الله بالرسالة...)(٣).

وتجدر الإشارة إلى أنّه لم ينزل شيء من القرآن عبر هذا النحو من الوحي، إذ لم يعهد نزول قرآن على النبي ﷺ في المنام، وإن كانت بعض رؤاه أسباباً لنزول القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللهُ...**﴾(٤)، فقد رأى النبي ﷺ ذلك عام الحديبيَّة في السنة السادسة للهجرة، وصَدَقَت عام الفتح السنة الثامنة للهجرة.

ثانياً: الوحي عبر جبرائيل عليه السلام: كان جبرائيل عليه السلام ينزل بالوحي على النبي ﷺ على صور ثلاثة:

١. نزوله بصورته الأصليَّة: وهذا حصل مرَّتين مع الرسول الأكرم ﷺ: قال تعالى: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا**

(١) الإربلي، علي: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، ٨٦/١.
(٢) الطوسي، الأمالي، ص٣٣٨.
(٣) الكليني، الكافي، ١٧٦/١.
(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

رَأَى، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ، وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ، وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾[٢].

الأولى: كانت في بدْء الوحي بغار حراء، حيث ظهر له جبرائيل عليه السلام في صورته الحقيقية التي خلَقه الله عليها، مالئاً أُفق السماء من المشرق إلى المغرب، فتهيَّبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم تهيّباً بالغاً، فنزل عليه جبرائيل عليه السلام في صورة الآدميّين، فضمَّه إلى صدره، فكان لا ينزل عليه بعد ذلك إلاّ في صورة بشَر جميل.

والثانية: كانت باستدعائه صلى الله عليه وآله وسلم لذلك، فكان لا يزال يأتيه جبرائيل عليه السلام في صورة الآدميين، فسأله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُريَه نفسه مرّة أخرى على صورته التي خلَقه الله، فأراه صورته فسدّ الأفُق، فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ كان المرّة الأُولى، وقوله: ﴿نَزْلَةً أُخْرَى﴾ كان المرَّة الثانية[٣].

٢. نزوله متمثّلاً بصورة آدمي: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: (وأحياناً يتمثّل لي المَلك رجلاً، فيكلّمني فأعي ما يقول)[٤]. وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إنَّ جبرائيل كان إذا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يدخل حتّى يستأذنه، وإذا دخل عليه قعدَ بين يديه قعدة العبد)[٥].

٣. نزوله على قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دون أن يراه: قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ...﴾. وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنّ الروح الأمين نفث في رَوعي)[٦].

---

(١) سورة النجم، الآيات: ٤-١٨.
(٢) سورة التكوير، الآيتان: ١٩-٢٣.
(٣) ظ: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٢٨٠/١٠.
(٤) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ٤١/١.
(٥) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص٨٥-٨٦.
(٦) الكليني، الكافي، ٧٤/٢.

ثالثاً: الوحي مباشرة من دون واسطة: وهو الإلقاء في قلب النبي ﷺ: وهو أكثر أنحاء الوحي نزولاً على رسول الله ﷺ، حيث كان شديداً على نفسه الشريفة ﷺ.

ومنه: ما رواه زرارة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، حيث سأله عن الغشية التي تصيب النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي؟ حيث قال عليه السلام: (ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد. ذلك إذا تجلّى الله له)[١].

خامساً: أقسام الوحي النبوي:

يمكن تقسيم الوحي النبوي على قسمين رئيسيين:

القسم الأول: الوحي المباشر: وهو أصعب أنواع الوحي، وفيه يتّصل النبي ﷺ بكلّ وجوده بالله تعالى من دون توسّط أيّ واسطة. ويحصل ذلك عندما تتهيّأ نفس النبي، ويصبح لديه القابلية لهذا الاتّصال المباشر. وقد ورد في الأحاديث توصيف لثقل هذا الوحي، ومن هذه الأحاديث:

ما روي أنّ الحرث بن هشام سأل النبي ﷺ: كيف كان ينزل عليك الوحي؟ قال ﷺ: (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشدّ علي، فيفصم عنّي، وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثّل المَلَكُ رجلاً، فيكلّمني، فأعي ما يقول)[٢].

ما روي أن زرارة (ت:١٤٨هـ) سأل الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن الغشية التي تصيب النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي؟ فقال عليه السلام: (ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد؛ ذلك إذا تجلى الله له)[٣].

---

(١) الصدوق، التوحيد، ص١١٥.
(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٤١/١.
(٣) الصدوق، التوحيد، ص١١٥.

وعن السيدة عائشة قالت: (وقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم وان جبينه ليتفصّد عرقاً)[١].

القسم الثاني: الوحي غير المباشر: وفيه يتلقّى النبي الوحي عبر واسطة تكون صلة وصل بينه وبين الله تعالى، كما في الوحي النازل بواسطة المنام والرؤيا، ومنه: قوله تعالى – حكاية عن لسان نبيّه إبراهيم عليه السلام–: ﴿**يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ...**﴾[٢]، وكما في تكليم الله تعالى لنبيّه موسى عليه السلام: ﴿**وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا**﴾[٣]، وكما في الوحي النازل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة جبرائيل: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾[٤].

يستفاد من روايات النزول غير المباشر للوحي، بأن الأمر في هذه المرحلة لم يكن عسيراً على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ كان جبرائيل يتمثل إليه احياناً على هيئة بشر فيتمثل على هيئة رجل اسمه دحية بن خليفة الكلبي (ت:٥٠هـ)، وكان أجمل شخص في المدينة، ويجلس بين يديه جلسة العبد بين يدي سيّده.

وتكشف هذه الرواية عن عظمة الرسول عند جبرائيل الذي وصفه القرآن الكريم بأنه شديد القوى، وهذا يعني ان تلقّي الوحي عن طريق جبرائيل لم يكن أمراً عسيراً. وقد صرح القرآن الكريم بتمثّل جبرائيل للسيدة مريم "ع" على هيئة البشر[٥].

عن زرارة بن أعين قال: سألت الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ**﴾[١] {ولا محدث}[٢]" قال: الرسول الذي يأتيه

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٦١/١٨.
(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.
(٣) سورة مريم، الآية: ٥٢.
(٤) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢-١٩٤.
(٥) قال تعالى: ﴿**فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**﴾. سورة مريم، الآية: ١٧.

جبرئيل قبلاً فيكلمه ويراه كما يرى أحدكم صاحبه، وأما النبي فهو الذي يؤتى في منامه مثل رؤيا إبراهيم ونحو ما كان يأتي محمدا، ومنهم من تجمع له الرسالة وكان محمد ﷺ، وأما المحدث فهو الذي يسمع كلام الملك ولا يري ولا يأتيه في المنام)[٣].

وعن هشام بن سالم، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: قال بعض أصحابنا: (أصلحك الله أكان رسول الله ﷺ يقول: جبرئيل، وهذا جبرئيل يأمرني، ثم يكون في حال أخرى يغمى عليه؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام إنه إذا كان الوحي من الله إليه ليس بينهما جبرئيل أصابه ذلك لثقل الوحي من الله، وإذا كان بينهما جبرئيل لم يصبه ذلك، فقال: قال لي جبرئيل، وهذا جبرئيل)[٤].

وهذا إشارة الى كيفيّة تلقّيه ﷺ القرآن النازل عليه، وأنّ الذى كان يتلقاه من الروح (هو نفسه الشريفة من غير مشاركة الحواس الظاهرة، التي هي الأدوات المستعملة في إدراك الأمور الجزئية، فكان ﷺ يرى ويسمع حينما يوحى إليه من غير أن يستعمل حاستي البصر والسمع ... فكان ﷺ يرى الشخص، ويسمع الصوت مثل ما نرى الشخص ونسمع الصوت غير أنه ما كان يستخدم حاستي بصره وسمعه الماديتين كما نستخدمهما، ولو كانت رؤيته وسمعه بالبصر والسمع الماديين لكان ما يجده مشتركاً بينه وبين غيره، فكان سائر الناس يرون ما يراه، ويسمعون ما يسمع، والنقل القطعي يكذب ذلك، فكثيراً ما كانت تأخذه برحاء[٥]

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥٢.
(٢) كان ابن عباس يقرأ "وما أرسلنا من قبلك من رسول، ولا نبي ولا محدث". عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: (فيما أنزل الله {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي} [ولا محدث] فنسخت محدث، والمحدثون: صَاحب يس ولقمان وَهُوَ من آل فِرْعَوْن وَصَاحب مُوسَى). ظ: السيوطي، تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٦٥/٦. وهذا موضوع يحتاج الى تفصيل وبيان في محله – ان شاء الله تعالى –.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨/٢٦.
(٤) المصدر نفسه، ٢٦٨/١٨.
(٥) برحاء الوحي: شدة ألمه والاحساس بكربه.

الوحي، وهو بين الناس، فيوحى إليه، ومن حوله لا يشعرون بشيء، ولا يشاهدون شخصاً يكلمه)[١].

إذن الوحي ظاهرة لا تستوعبها الأطر الذهنية والعقلية المعروفة لدى بني الإنسان، بل هو ظاهرة خفية تكتنفها الأسرار، وفيها رابطة مع عالم آخر، ليتلقّى الإنسان المصطفى أرفع الرسائل الغيبية بعلم حضوري وشهودي، وهو وحده الذي يدرك كنه وحقيقة الوحي ومعنى تلقّي الوحي، لهذا كانت الدقة في الاختيار الإلهي للرسول الخاتم ﷺ وقابليته في تحمله لمسؤولية أداء رسالة الإسلام، وينطبق أيضاً على اختيار باقي الرسل الإلهيين، فهم عليهم السلام رغم الفتن والمآسي والاختبارات الصعبة التي واجهوها ورغم اختلاف العصور والظروف التي عاشوها استقاموا جميعاً ولم يضعف أي واحد منهم عن تحمل المسؤولية الثقيلة الملقاة على عاتقه، فكان ذلك تطبيقاً جلياً لقوله تعالى: ﴿**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾[٢].

ونبينا الخاتم ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين عليهم السلام امتاز بخصائص عامة على سائر البشر وبخصائص مائزة له ﷺ على الأنبياء والمرسلين[٣]، يقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (ونظر الله عز وجل إلى قلبه ﷺ فوجده أفضل القلوب وأجلها وأطوعها وأخشعها وأخضعها)[٤]، وبما امتاز به النبي الخاتم ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في تلقي الوحي الإلهي لا يبقى للآخرين سوى إدراك قبسات من تلك الحقيقة التي تُكشف من خلال آثارها وعلائمها.

هذه الظاهرة التي تقع فيما وراء العقل، واحدة من أعلى المقامات التي تميّز الأنبياء عليهم السلام عن غيرهم من الناس، ومع تأكيد القرآن على ان الأنبياء بشر أيضاً،

(١) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣١٧/١٥.
(٢) سورة الأنعام، الآيات: ١٢٤.
(٣) ظ: المؤلف، الخصائص المحمدية في القرآن الكريم –دراسة تفسيرية–، ص٢٩.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٢٤.

بيد انّه بيّن استبعاد واستنكار الكفار للوحي، كما سجل ذلك القرآن الكريم عنهم، وبالشكل الآتي:

قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾[١]، وبما ان قبول هذا الأمر يفوق العقل كان صعباً عليهم، فقد لجأوا الى وصف النبي بالجنون: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾[٢].

والمثال الآخر على ذلك قولهم: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا﴾[٣]، مع ان القرآن الكريم أكد ان الأنبياء كلهم بشر، ولا فرق بينهم وبين سائر الناس في هذا المجال، إلا انه صرّح بأن الفارق بينهم وبين سائر الناس يكمن في ان الأنبياء يتلقّون الوحي: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[٤]. وعلى هذا الأساس فان النبي المرسل من الله تعالى يكون: ﴿ما ينطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هُوَ إلاّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[٥].

سادساً: كُتّاب الوحيّ المحمدي:

كتَّاب الوحي كُثُر، أبرزهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث حَظِيَ بكتابة الوحي من أوّل نزوله في مكة إلى حين انقطاعه، برحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، قال الإمام علي عليه السلام: (فما نزلتْ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها فكتبتُها بخطي، وعلَّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٢٤.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٢٥.
(٣) سورة التغابن، الآية: ٦.
(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٥) سورة االنجم، الآية: ٣-٤.

وخاصَّها وعامَّها)[١]. وعنه عليه السلام أيضاً: (يا طلحة إنَّ كلَّ آية أنزلها الله على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطي بيدي وتأويل كلّ آية)[٢].

وممّن كتب الوحي بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً:

أبي بن كعب الأنصاري: وهو أوّل من كتب له صلى الله عليه وآله وسلم الوحي في المدينة، وقد عرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه القرآن كاملاً، وكان ممّن حضر العرضة الأخيرة في مَن حضر، وتولّى الإشراف على الكَتَبَة في لجنة توحيد المصاحف على عهد عثمان، حيث كانوا يرجعون إليه عند الاختلاف[٣].

زيد بن ثابت: كان يسكن في المدينة بجوار النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويكتب له صلى الله عليه وآله وسلم إذا غاب أُبَي بن كعب، حتى أصبح لاحقاً من الكتّاب الرسميين[٤].

والذي عليه المحقّقون من أهل السيرة: أنّ الوحي كان يكتبه الإمام علي عليه السلام، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وأنّ حنظلة بن الربيع ومعاوية بن أبي سفيان لم يكتبا الوحي وإنّما كانا يكتبان له إلى الملوك وإلى رؤساء القبائل، ويكتبان حوائجه بين يديه، ويكتبان ما يجيء من أموال الصدقات وما يقسّم في أربابها[٥].

سابعاً: عدم استمرارية الوحي النبوي:

الوحي النبوي مختصّ بالأنبياء عليهم السلام، وقد انقطع الوحي بعد رحيل خاتم النبيين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، حيث اكتملت الرسالة الخاتمة: ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ...**﴾[٦]، وأُمِرَ الناس أن يتّبعوا رسالة الإسلام وترك

---

(١) الكليني، الكافي، ٦٤/١.
(٢) الهلالي، كتاب سليم بن قيس، ص٢١١.
(٣) ظ: ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ص١٨٠-١٨٢.
(٤) ظ: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٥٨/٢-٣٦٢؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٤٩٠/٢.
(٥) ظ: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣٣٨/١.
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

باقي الرسالات السابقة: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١]، وأن يسيروا على هديها مستضيئين بهدي الإمامة الحاملة لحقائق هذه الرسالة، والمبيّنة لها، والضامنة لتطبيقها الصحيح: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا...﴾[٢].

عن الإمام علي عليه السلام: (بأبي أنت وأمّي، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك، من النبوّة، والأنباء، وأخبار السماء)[٣].

وتجدر الإشارة إلى أنّ انقطاع الوحي النبوي برحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يستلزم انقطاع الاتّصال مع الله سبحانه وتعالى، حيث إنّ جبرائيل عليه السلام كان ينزل على فاطمة (عليها السلام) بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحدّثها.

قال الإمام جعفر الصاق عليه السلام: (إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها، فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريّتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام)[٤].

وأمّا الاتّصال بالغيب فموجود بين الله تعالى وحجّته في أرضه الإمام المعصوم عليه السلام فهو محدّث وإن لم يكن موحى إليه وحياً نبويّاً لختم النبوة بخاتم المرسلين الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. عن بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله –الإمام جعفر الصادق عليه السلام– عن الرسول والنبيّ والمحدَّث، قال: (الرسول الذي تأتيه الملائكة

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٣) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٢٢٨/٢.
(٤) الكليني، الكافي، ٢٤١/١.

وتبلِّغه عن الله تبارك وتعالى، والنبي الذي يرى في منامه فما رأى فهو كما رأى، والمحدَّث الذي يسمع كلام الملائكة وينقر في أُذنه وينكت في قلبه)[١].

وعن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[٢] قلت: ما الفرق بين الرسول والنبيّ؟ قال: (النبي هو الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول يعاين الملك ويكلِّمه، قلت: فالإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين)[٣].

وعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إنّ منّا لمن يعاين معاينة، وإنّ منّا لمن يُنقَر في قلبه كيت وكيت، وإنّ منّا لمن يسمع كما يقع السلسلة كله يقع في الطست". قلت: فالذين يعانيون ما هم؟ قال: "خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل)[٤].

ثامناً: موقف المستشرقين من الوحي

لكثير من المستشرقين موقف مشكك من الوحي وتبنوا نظرية تقوم على تبنّي نمط خاصّ من التفسير، يقوم على تأويل كلّ ما جاء بشأن علاقة النبيّ بالله، فتعتبرها من الأمور العاديّة الجارية بين أفراد البشر، غاية ما هناك أنها أمور خاصة بالنوابغ والاستثنائيين من البشر، فترى أن كلّ ما ورد بالنسبة للوحي ونزول الملائكة، نوع من التعبيرات المجازيّة، حيث لا يمكن التحدث مع عوام الناس إلا بهذه اللغة[٥].

---

(١) الصفّار محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، ٣٨٨/٨.
(٢) سورة مريم، الآية: ٥٤.
(٣) الكليني، الكافي، ١٧٦/١.
(٤) المصدر نفسه، ٢٧٣/١.
(٥) هذه النظرية مأثورة عن المستشرق "مونتيه" وفصّلها "إميل درمنغام". للتوسعة ظ: محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص٦٦، استاذنا الدكتور محمد حسين الصغير، تاريخ القرآن (دراسات

وفحوى هذه النظريّة أنّ النبيّ نابغة اجتماعيّ محبّ للخير، تأمّل في ما آلت إليه أوضاع المجتمع، ورصد ما يحيط الناس من أوجاع وضروب الفساد، ثمّ سعى بما آتاه الله من نبوغٍ إلى تغيير أوضاعهم، مستلهماً من داخله، من روحه ونفسه، أفكاراً ترسم طريقاً صحيحاً يحلّ المشكلات، ثمّ قام ببثّ هذه الأفكار بين الناس.

فالوحي على وفق هذه النظريّة، هو عبارة عن انبثاقٍ من عمق فكر النبيّ إلى ظاهر فكره، وهو عملٌ إبداعيٌّ اقتضته بنية النابغة الخاصّة.

في المقابل يرفض أصحاب هذه النظريّة الإذعان إلى وجود حقيقةٍ وراء فكر الإنسان وروحه وعقله بحيث يرتبط بها باطن النبيّ، ويتنكّرون للإيمان بأيّ بُعد غير عاديّ في مسألة النبوّة والوحي.

وأمّا بالنسبة لبعض التعابير الواردة المتعلقة بالوحي فيقومون بتأويلها:

فمثلاً تقوم هذه النظريّة بتأويل جميع المفردات والحقائق التي وردت بشأن النبوّة والوحي وتحملها على المعنى المجازيّ.

فـ"الروح الأمين وروح القدس" ليس شيئاً غير روح النبيّ، فمعنى أن يأتي الروح الأمين بالأفكار وتعاليم الدين، هو نفس انبثاق هذه الأفكار من أعماق روح النبي النابغة.

وأمّا الملائكة فهي عندهم عبارة عن قوى الطبيعة ذاتها، ولمّا كان الله يستخدم القوى الطبيعيّة فستكون الملائكة تحت اختياره.

قرآنية)، ص١٦، علاء الدين المدرس، الظاهرة القرآنية والعقل دراسة مقارنة للكتب المقدسة، ص٦٤، https://ar.wikishia.net/view/%.

وأمّا "الدين" فهو عندهم لا يتعدّى كونه مجموعة القوانين التي وضعها النابغة، وهي قوانين صالحة ومفيدة لسعادة المجتمع، وهذا ما ينشده الناس، ولذلك يمكننا أن نعتبر هذا الدين من عند الله(١).

والوحي أيضاً – بتصورهم– عبارة عن إلهامات روحية تنبعث من داخل نفس النبي ﷺ، وليس وارداً عليه من الله تعالى، لاستحالة الاتّصال بين الله تعالى والإنسان، كونه يستلزم تحديد الله ﷻ(٢).

كما أراد بعض المستشرقين المتعصبين الحاقدين خاصة القدماء منهم الذين حاولوا تفسير الوحي بإصابة الرسول بالصرع وأن أعراضه كانت تبدو عليه، إذ أفاق من نوبته تلا على المؤمنين ما يقول إنه أوحي االله إليه، في حين لم يكن هذا الوحي إلا أثراَ من نوبات الصرع.

وتارة أخرى يكون التشكيك بالوحي على انه (وحي نفسي) وملخص هذه الشبهة ان النبي ﷺ لسمو نفسه وعفته وحدة ذكائه وحرصه على قومه ان يخرجهم من الظلمات الى النور ومن عبادة الشرك والوثنية ولما تعلمه من النصارى واليهود من معلومات ومعارف كان منها انه سيبعث نبي من قومه تأمل ان يكون هو ذاك النبي، فعكف في غار حراء ثم ما زال يفكّر ويتأمّل وينقلب بين الآلام والآمال حتى أيقن أنه هو النبي المنتظر، الذي يبعثه اللّه لهداية البشريّة، وتجلّى له هذا الاعتقاد في الرؤى المناميّة ثم قوي حتّى صار يتمثّل له الملك يلقّنه الوحي في اليقظة(٣).

---

(١) ظ: مركز نون للتأليف والترجمة، دراسات عقائدية، ص٢٣٣.
(٢) ظ: محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ٩١/١.
(٣) ان عدم التفصيل بهذه الآراء ونسبتها إلى أصحابها، يعود سببه الى أنها قد قيلت في زمن كان المستشرقون يحاولون نقض الإسلام ومعتقداته بإيراد شبهات لا أساس لها من العلم، وأنهم كانوا متحاملين أكثر من كونهم متعقلين، وعليه التزمنا بما التزم به غيرنا من الباحثين خشية دخول الملل والسآمة على القارئ الكريم.

ولعلّ هذا الأسلوب من أخبث الأساليب في إثارة الشبهة حول الوحي، هو الاسلوب الذي يحاول أن يضفي على النبي محمّد ﷺ صفات الصدق والأمانة والإخلاص والذكاء، الأمر الذي أدّى به أن يتخيّل نفسه أنّه ممّن يوحى إليه، وهو ما يسمّى بالوحي النفسي ... فإنّ هذا الاسلوب يحاول أن يستر دوافعه المغرضة بمظاهر الانصاف والمحبّة والإعجاب.

نقد لآراء المستشرقين:

ان موقف المستشرقين من الوحي ليس وليد الحاضر، ولا هو من أول الهجمات الرافضة للدين الإلهي، فقد تعرض القرآن الكريم منذ أول نزوله على قلب النبي الخاتم ﷺ الى عملية التشكيك من المعاندين والكافرين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[١].

واتهموا النبي ﷺ بشتى التهم والافتراءات، وقد سجل لنا القرآن الكريم بعضاً من هذه الاتهامات، منها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٣].

وعليه فلن نطيل المقام في الرد على هذه الافتراءات والشبهات لأن المستعرض لسيرة النبي ﷺ يراه (عبداً مأموراً محتسباً، يُنفذ ولا يسأل، ويبلغ ولا يضيف، مهمته التلقي والأداء، مستقلاً بذاته، ومنفصلاً عن ظاهرته، ويبقى الجمع بين حياته العامة والخاصة من إختصاصه بتوجيه من الله تعالى، ويتلاشى الاشكال بهذا الملحظ)[٤].

كما ونرى ان شبهات المستشرقين لا تتناسب مع ما ورد من استعمال القرآن للوحي في مختلف الموجودات، ولذا فهي عاجزة عن تفسير ذلك، كما أنّها تُعبّر عن تفسير بعيد عن الوقائع التي طرحها الأنبياء بالنسبة لخصائص الوحي المُلقى إليهم،

(١) سورة النحل، الآية: ٢٤.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٤.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ١٤.
(٤) استاذنا الدكتور محمد حسين الصغير، تاريخ القرآن، ص١٥.

كوجود حالة التعليم والأخذ من مصدر خارج ذواتهم، وشعورهم بمصدر الوحي العلويّ، وإدراكهم للواسطة فيه(١).

إن عملية الوحي الإلهي إنما (تخضع لتصور حوار عُلوي بين ذاتين: ذات متكلمة آمرة معطية، وذات مخاطبة مأمورة متلقية)(٢)، ولم يخلط النبي محمد ﷺ والأنبياء عليهم السلام بين ذواتهم الإنسانية المأمورة المتلقية وبين ذات الوحي الآمرة المتعالية.

فالأنبياء كانوا يُعرّفون أنفسهم بأنّهم مبعوثون من جانب الله تعالى ولا شأن لهم إلا إبلاغ الرسالات الإلهية إلى الناس، ولا ريب في أنّهم كانوا صادقين في أقوالهم وعندئذ لو قلنا بأنّ ما ذكروه غير مطابق للواقع، وأنّ ما أتوا به من المعارف والشرائع لم يكن رسالات إلهية وذكراً من جانبه سبحانه، بل كان نابعاً من باطن ضميرهم وتجليات نفوسهم، لكان الأنبياء قاصرين في مجال المعرفة(٣).

أما القول بأنّ الاتّصال بين الله تعالى والإنسان، يستلزم تحديد الله عز وجل، فاعتُرض عليه بأنّ عدم فهْم حقيقة الاتّصال الروحيّ الخفيّ بين المَلأ الأعلى وجانب الإنسان الروحي لا يعنى إنكار هذا الاتّصال، فالإنسان يتلقّى بروحه إفاضات تأتيه من ملَكوت السماء، وإشراقات نورية تشعّ على نفسه من عالَم وراء هذا العالم المادّي، وليس في ذلك اتّصالاً أو تقارباً مكانيّاً، لكي يستلزم تحيّزاً في جانبه تعالى. ولعلّ منشأ هذه الشبهة أنّهم قاسُوا من أمور ذاك العالم غير المادّي بمقاييس تخصّ العالم المادّي(٤).

(١) ظ: محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ٩١/١.
(٢) د. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص٢٧.
(٣) ظ: مركز نون للتأليف والترجمة، دراسات في الإلهيات، ص٢٦٨.
(٤) ظ: مركز نون للتأليف والترجمة، دروس في علوم القرآن، ص٧٧.

أما تفسيرهم للوحي بأنه ارهاصات لنوبة الصرع، فإن الكتّاب الغربيين أنفسهم قد ردوا على هذه الشبهات، ونقضوها من أساسها، وقد أبطل (وليام مونتغمري واط)[١] و(رودنسون)[٢] هذا الرأي وسخفاه، وأن الحالة التي تعتري الرسول في أثناء تلقيه الوحي تختلف عن المصابين به فعلاً، وآية ذلك أن الذي يصاب حقيقة بالصرع لا يذكر إطلاقاً مامر به إبانها، بل إنه ينسى هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسياناً تاماً، ولايذكر شيئاً ما صنع، أوحل به خلال ذلك[٣].

ان حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطل، وهذه الأعراض التي تصيب المرضى من الصرع لا تنطبق وما يعتري الرسول من حالات نفسية في أثناء نزول الوحي عليه، لأنه كان يذكر بدقة بالغة ما يتلقاه وما يتلوه بعد ذلك على أصحابه، كما أن نزول الوحي لم يكن مقترناً دوماً بالغيبوبة الجسمية مع تنبه الإدراك الروحي غاية التنبه، بل إنه كثيراً ما ينزل الوحي والنبي ﷺ في تمام يقظته العادية.

وملخص القول في هذه النقطة إن الصرع يعطل الإدراك الإنساني، وينزل بالإنسان إلى مرتبة آلية يفقد أثنائها الشعور والحس، أما الوحي فهو سمو روحي اختص الله به أنبيائه ليلقي إليهم بحقائق الكون اليقينية العليا كي يبلغوها للناس وقد يصل العلم إلى إدراك بعض هذه الحقائق ومعرفة سننها، وأسرارها بعد أجيال وقرون، وقد يظل بعضها لايتناوله العلم، ومع ذلك تبتقى حقائق يقينية يهتدي بها المؤمنون الصادقون[٤].

---

(١) (بالإنجليزية: W. Montgomery Watt) (١٤ آذار/مارس ١٩٠٩ – ت: ٢٤ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٦) مستشرق بريطاني عمل أستاذاً للغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي في جامعة إدنبرة في إدنبرة–أسكتلندا. من أشهر كتبه كتاب محمد في مكة (١٩٥٣)، وكتاب محمد في المدينة (١٩٥٦) من إصدارات جامعة إدنبرة.

(٢) مكسيم رودنسون (بالفرنسية: Maxime Rodinson)، ٢٦ يناير ١٩١٥، باريس – ٢٣ مايو ٢٠٠٤، مرسيليا) كان المؤرخ الماركسي الفرنسي، عالم الاجتماع ودراسات شرقية. أستاذا في EPHE المدرسة التطبيقية للدراسات العليا (جامعة سوربون، إثيوبيا (لغة جعزية) فرنسا). كان مؤلف مجموعة غنية من الأعمال، بما في ذلك كتاب محمد، سيرة نبي الإسلام.

(٣) ظ: محمد رشيد زاهد، موقف المستشرقين من الوحي: دراسة تحليلية، ص١٠٨.

(٤) ظ: محمد حسين هيكل، حياة محمد، ص٣.

وأما دعوى **(الوحي النفسي)** فقد وجدت لدى المنكرين ومثيري الشبهات مرتعاً خصيباً ولا سيما اليهود من المستشرقين لما فيها من التلبيس الخبيث والمكر في الدس والافتراء الذي يضفي على هذه الفرية مسحة كاذبة من دعوى البحث العلمي العصري.

وإن الثابت المقرر من مظاهر الوحي وآثاره ليثبت بطلان هذه الدعوى وكذبها، من وجوه كثيرة جداً، نذكر منها:

١. الإعجاز القرآني، في كل وجووه يفوق قدرات البشر وطاقاتهم، فهو معجز تحدى الجن والإنس، والأولين والآخرين، فأنّى يمكن أن يكون هذا الكتاب إلا من عند الله تعالى.

٢. وورود عبارة (قل) في القرآن الكريم، وهذا دليل قرآني آخر في توجيه الخطاب إلى النبي ﷺ، وتكرارها فيه أكثر من ثلاثمائة مرة، تصريح وأي تصريح بأن النبي ﷺ (لا دخل له في الوحي، فلا يصوغه بلفظه، ولا يلقيه بكلامه، وإنما يلقى إليه الخطاب إلقاء، فهو مخاطب لا متكلم، حاك لما يسمعه، لا معبر عن شيء يجول في نفسه)[١].

لهذا كان إذا نزلت عليه آية أو سورة، بل وجزء من آية، يدعو كتبته لتدوينها على الفور نصاً.

٣. كان النبي ﷺ يُسأل عن بعض الأمور، فلا يجيب عليها، وربما مر على السكوت زمن طويل، حتى إذا نزلت آية من القرآن في شأن ذلك السؤال، طلب السائل وتلى عليه ما نزل من القرآن في شأن سؤاله.

٤. إن الوحي كان ينزل على النبي ﷺ غير مرتبط بإرادته أو رغبته، ولا بتفكيره أو بحثه لدى وقوع المهمات، فربما كان ينزل والنبي ﷺ في سفر، أو في حضر، أو في قتال، أو في بيته يأخذ شيئاً من الراحة.

---

(١) د. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص٣٠.

٥. إن عبقرية الإنسان (تحمل بالضرورة طابع الأرض حيث يخضع كل شيء لقانون الزمان والمكان، ويتقيد بحدودهما وآفاقهما، بينما يتخطى القرآن دائماً نطاق هذه الحدود، ليدلّ من خلال رحابة موضوعاته إلى أن دور محمد ﷺ فيه إنما هو الحفظ والوعي، أو الأخذ والتلقي، ثم الإبلاغ للعالم..)[١].

٦. ان صدق النبي ﷺ أربعين سنة مع قومه واشتهاره فيهم بالصادق الأمين يستدعي أن يكون صادقاً مع نفسه من قبل ذلك، فلذا فلا بد أن يكون قد قضى على أي شك يخايل لعينيه وفكره.

٧. اليقين المطلق عند النبي ﷺ ان الذي يتلقاه من السماء هو وحي إلهي منزل عليه وليس الهام نفسي، قال العلامة محمد حسين الطباطبائي: (والحق أن وحي النبوة والرسالة يلازم اليقين من النبي والرسول بكونه من الله تعالى على ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام)[٢].

٨. كان المعروف والمشهور عند العرب ان النبي ﷺ لا يقرأ ولا يكتب[٣]، وليس من الممكن أن يتعلم إنسان بواسطة المكاشفة النفسية حقائق تاريخية، كقصة النبي يوسف عليه السلام، وأم موسى عليها السلام حينما ألقت وليدها في اليم، وقصة نبي الله عيسى عليه السلام، وسائر قصص الأنبياء الكرام الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم وغيرهم، قال تعالى: ﴿**مَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[٤].

---

(١) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، نقلاً عن: د. يوسف المرعشلي، علوم القرآن، ص٢٧.
(٢) الميزان في تفسير القرآن، ٣٢٩/٢٠.
(٣) وهذه المسألة محل خلاف، فعند مدرسة أهل البيت عليهم السلام ان النبي الخاتم ﷺ كان يحسن القراءة والكتابة، قال الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ): (والنبي عليه وآله السلام عندنا كان يحسن الكتابة بعد النبوة، وإنما لم يحسنها قبل البعثة)، التبيان في تفسير القرآن، ٢١٦/٨. وعلى كل حال، فإن الأدلة قد دلت على أن النبي ﷺ كان يقرأ ويكتب، قبل البعثة وبعدها.
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨. أما بالنسبة لبيان تفسير هذه الآية الكريمة فإن عدم قراءته وكتابته (صلى الله عليه وآله) قبل البعثة بصورة فعلية، فإن ذلك لا يعني عدم قدرته على ذلك، بل كان قادراً على ذلك، لكنه لم يظهر ذلك للمشركين ولا لغيرهم بصورة فعلية؛ وذلك كي تقوم الحجة عليهم، وليدركوا الإعجاز الإلهي في ذلك كما تقدم في المتن.

إذن تاريخ الوحي القرآني يبدأ (بعد القرآن) وليس (قبله)، وذلك هو ما توحيه الآية الكريمة على وجه التحديد.

وبكلمة.. ان الوحي خارج عن الذات المحمدية الشريفة وليس أثراً من آثار المرض، أو الهلوسة أو الجنون، وليس تعبيراً عن اللاوعي الجماعي أو الشعور، وليس أثراً من آثار الزهد والتصوف الذي أخذ بهما الرسول قبل البعثة، وليس أثراً من الآثار الخارجية والداخلية التي تأثر بها الرسول سواء أكان من العرب قبل الإسلام أو من اليهود والنصارى المقيمين بمكة والمدينة إبان البعثة النبوية. ومن هنا تنهار كل أقوال المستشرقين بالخصوص.

وما علينا إلا ان نؤمن بأن الوحي هو ما يكلف االله ﷻ به أنبيائه من آياته وكتبه لتبليغها إلى عباده مهما اختلفت صوره وتعددت، تصديقاً للآية الكريمة:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(١).

وبهذه النتيجة نكون قد شارفنا على نهاية هذا الفصل على أمل اللقاء في الفصل الثاني من علوم القرآن التاريخية.

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

الفصل الثاني

نزول القرآن وتنزيله

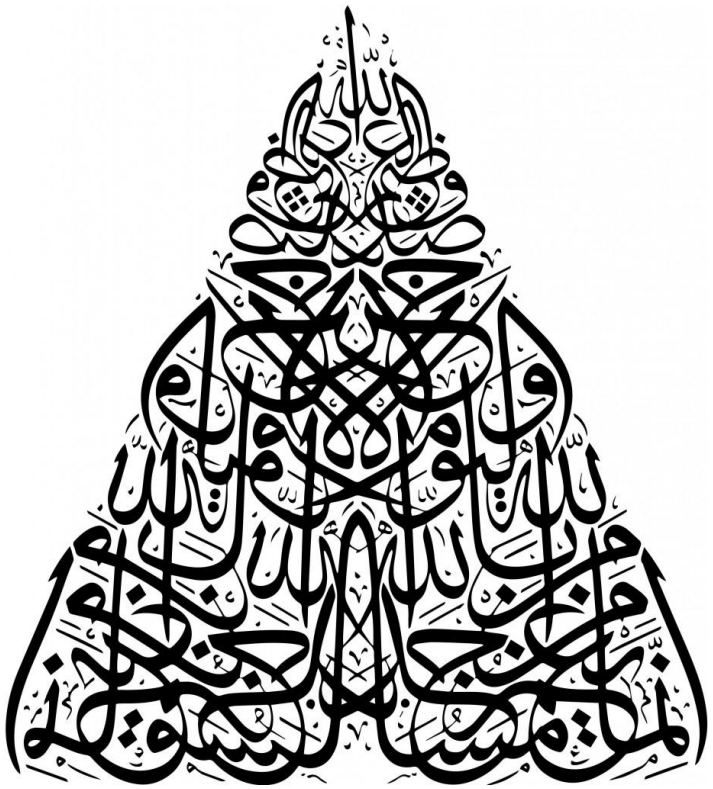

نزول القرآن وتنزيله:

تُعد لحظة نزول القرآن الكريم نقطة تحول جبارة ومهمة في تأريخ البشرية، لما تعنيه تلك اللحظة من معطيات نيرة ضربت في عمق التأريخ الإنساني لتختزل خلق الإنسان منذ يومه الأول والى نهاية الكون فيعلن ذلك الكتاب نفسه بأنه آخر مايتكلم به الرب سبحانه لخليفته الإنسان، سارداً عليه جميع تجارب وقصص أخيه الإنسان في الأزمنة السحيقة، وقد وقع الكلام في فترة النزول القرآني وتأريخه، وهو مانسعى الى الوقوف عليه وبيانه على النحو الآتي:

أولاً: صور تنزيل القرآن الكريم:

لنزول القرآن الكريم كيفية خاصة تختلفُ عن تنزلات الكتب السماوية الأخرى، فتلك الكتب نزلت جملة واحدة على الأنبياء عليهم السلام، أما القرآن الكريم فقد أُنزل على شكلين:

التنزيل الأول: أُنزل بالتدريج (منجماً).

التنزيل الثاني: أُنزل القرآن الكريم جملة واحدة (النزول الدفعي).

ثانياً: تاريخ نزول القرآن الكريم:

تشير بعض الآيات المباركة الى أن القرآن الكريم قد نزل في شهر رمضان، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٢) سورة القدر، الآية:١.

في حين أننا نعلم أن البعثة النبوية كانت في يوم ٢٧ من شهر رجب، وهو الواضح في كثير من الروايات التي منها قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (في اليوم السابع والعشرين من رجب نزلت النبوَّة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[١]، وبعض الآيات الأخرى قد أشارت الى أن القرآن نزل من منجماً على مدى (٢٣) عاماً، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[٢].

ومن خلال ماتقدم من آيات تبين:

١. ان بعض الآيات تشير الى أن نزول القرآن في شهر رمضان وفي ليلة القدر.

٢. ان البعثة في رجب مما تستلزم نزول القرآن فيه.

٣. بعض الآيات تشير الى أن نزول القرآن نجوماً على طول المدة الزمنية عاشها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين ظهراني الأمة.

توجيه هذا التعارض:

ويمكن توجيه هذا التعارض على قولين:

القول الأول: نزل القرآن بشكل تدريجي في شهر رجب الأصب، وأخرى بشكل دفعي ومرة واحدة في شهر رمضان في ليلة القدر، وهذا ما صرحت به الآيات المباركة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[٣].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ١٨٩/١٨.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.
(٣) سورة القدر، الآية: ١.

القول الثاني: ان أول نزوله كان في ٢٧ رجب الأصب، وان نزوله في ليلة القدر كان بعد انقطاع لمدة زمنية طويلة عن أول نزوله في رجب، كما ان معظم القرآن نزل في شهر رمضان، فصحّ نسبة الجميع إليه(١).

ويبدو أن القول الثاني استقطب أنظار الاغلبية من محققي علوم القرآن والتفسير، لا سيما لمن لا يقول بالنزول الدفعي للقرآن، فيرون هذا القول أقرب الآراء إلى طبيعة الأمور، وأوفقها مع القرائن وظواهر النصوص القرآنية، فان القرآن يطلق على القرآن كلّه كما يطلق على جزء منه، ولذلك كان للقليل من القرآن نفس الحرمة والشرف الثابتين للكثير منه.

ثالثاً: الانزال والتنزيل:

القرآن نزل بشكل تدريجي وأبتدأ نزوله من أول البعثة الى رحيل الرسول الأكرم ﷺ وهذا ماجاءت الآية في قوله تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**﴾(٢).

فيرى بعض الباحثين ان هناك فرق بين الإنزال والتنزيل مفاده: هو انَّ الإنزال يكون دفعياً والتنزيل يكون تدريجياً(٣).

واستدلوا على صحة هذا التوجيه من خلال قوله تعالى: ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ**﴾(٤).

---

(١) للتوسعة ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٤/١٥، السيد نذير الحسني، دروس في علوم القرآن، ص٦٣، د. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص٥١.
(٢) الإسراء، الآية: ١٠٦.
(٣) وقيل انَّ الانزال يُستعمل في الاعم بخلاف التنزيل فإنه يختص بالنزول او الانزال التدريجي وقيل ان الانزال إذا لوحظ مقابلاً للتنزيل كان مفيدًا للنزول الدفعي وإلا فهو مفيد للأعم.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣.

فلأن التوارة أُنزل في الألواح على نبي الله موسى عليه السلام دفعةً واحدة وكذلك الإنجيل لذلك ناسب التعبير بالفعل الماضي غير المشدَّد الوسط (أَنزَل).

وأما القرآن فلأنَّه نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منجَّماً مفرَّقاً مدةَ دعوته المباركة لذلك ناسب التعبير عنه بـ(نزَّل) بتشديد الوسط.

ثم انَّ الإنزال أُسند إلى القرآن في بعض الآيات مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ**﴾[٢] وذلك لانَّ القرآن كما أكدت ذلك بعض الروايات نزل على كيفيتين فقد نزل ليلة القدر دفعةً واحدة ونزل متفرقاً على مدى ثلاثٍ وعشرين سنة مدة الدعوة المباركة وكان ذلك بحسب أسباب النزول[٣].

وأما التنزُّل فهو أيضاً بمعنى النزول التدريجي أو على مهل كما يذكر اللغويون[٤].

وبكلمة.. ان الحكم في المسألة قبولاً أو رفضاً يحتاج إلى ملاحقة ومتابعة كل اللوازم والتأكد من انسجامها معه، فوجود فرق بين لفظتي (أَنْزَلنا) و(نزَّلنا) أو عدمه مثلاً له انعكاس على مائتين وست وسبعين آية كحدٍّ أدنى، وبالتالي يجب ملاحظة جميع هذه الموارد قبل الحسم.

(١) سورة القدر، الآية: ١.
(٢) سورة الدخان، الآية: ٣.
(٣) ظ: الصدوق (ت:٣٨١هـ)، الاعتقاد، ص٨٢، علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ٤٣١/٢.
(٤) ظ: الزبيدي، تاج العروس، ٧٢٩/١٥، ابن منظور، لسان العرب، ٦٥٧/١١.

رابعاً: نظريات حول طبيعة النزول الدفعي:

أختلف العلماء في تنزيل القرآن الكريم جملة واحدة (الدفعي) على أربع نظريات وعلى النحو الآتي:

النظرية الأولى: أن النزول جملة واحدة (الدفعي) كان على قلب النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[١].

وقد تم تصوير هذا الرأي بأن القرآن نزل على الرسول ﷺ دفعة واحدة في ليلة القدر في شهر رمضان الى السماء الدنيا[٢] لكنه لم يؤذن له بتبليغه إلا بعد نزول جبرئيل به بعد ذلك تدريجياً. وقد أولوا الآيات التالية بذلك:

قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٤].

وقد فسرت الآية الأخيرة بأن الله سبحانه نهى النبي ﷺ عن قراءة القرآن قبل أن يؤذن له ويوحى إليه، وهو دليل على أنه كان معروفاً عنده، وليس ذلك إلا من خلال النزول الدفعي[٥].

نقد هذه النظرية: وقد خالف بعض المحققون من علماء القرآن هذه النظرية، ورفضوا النصوص التي وردت فيها، ورموها بالضعف والوهن، وأقاموا شواهد على بطلانها. وأهم ما اوردوه على هذه النظرية يتلخص في أمرين:

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣- ١٩٥.
(٢) ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ١٢٩/١-١٣١، محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٨/٢، عبد الله يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص٣٥.
(٣) سورة القيامة، الآية: ١٦.
(٤) سورة طه، الآية: ١١٤.
(٥) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٨/٢.

١. ورود الآيات القرآنية في بعض المناسبات الخاصة، بحيث لا يعقل التكلم بتلك الآية قبل تلك المناسبة المعينة.

٢. عدم تعقل فائدة النزول الأول للقرآن من حيث هداية البشر، فلا وجه لهذه العناية به في القرآن والاهتمام به.

النظرية الثانية: أصحاب هذه النظرية يوجهون الانزال الدفعي للقرآن على أنه أُنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى البيت العِزة في السماء الدنيا، وقد ذهب الى هذا الصحابي عبد الله بن عباس (ت:٦٨هـ)[١] ووافقه الشيخ الصدوق (ت:٣٨١هـ) إذ قال: (اعتقادنا في ذلك انَّ القرآن نزل في شهر رمضان في ليلة القدر جملة واحدة الى البيت المعمور....)[٢] وروي في مضمونه رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام[٣] وروايات أخرى.

ولعل الحكمة من هذا التنزيل هي (إعلام الملإ الأعلى بالرِّسالة الجديدةِ الى أهل الأرض، وبيان فضيلة مَن يوحى إليه هذا الدستور وفضيلة أتباعه، خاصة مع حدوث ذلك في أعظم ليلة)[٤].

النظرية الثالثة: ويبدو ان أصحاب هذه النظرية لا يرون ان هناك إنزال دفعي (جملة واحدة) وان المراد من إنزاله في شهر رمضان، وفي ليلة ابتداء القدر منه ابتداء إنزاله في ذلك الوقت، ثم استمر نزوله بعد ذلك على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالتدريج ووفقاً للمناسبات والمقتضيات.

---

(١) ظ: الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ١٤٥/٢.
(٢) ظ: الاعتقادات، ص٨٢. ولكن الشيخ المفيد لم يرتض هذا القول ووصف الرواية بأنها شاذة لا توجب علماً ولا عملاً. ظ: تصحيح الاعتقاد، ص١٢٣-١٢٥.
(٣) الكليني، الكافي: ٦٢٩/٢.
(٤) عبد الله بن يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص٣٥.

ويضيف أصحاب هذه النظرية إضافة توضيحية، وهي: أن المقصود من كون ابتداء النزول القرآني في ليلة القدر من شهر رمضان ليس ابتداء الوحي على النبي ﷺ، لانه كان لسبع وعشرين خلون من رجب . على الرأي المشهور . وكانت الآيات التي شعت من نافذة الوحي على قلب الرسول ﷺ لأول مرة هي: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾[١]، ثم انقطع الوحي عنه لمدة طويلة، ثم ابتدأ الوحي من جديد في ليلة القدر من شهر رمضان، وهذا الذي تشير إليه الآية المباركة، واستمر الوحي عليه ﷺ حتى رحيله. وبما أن هذا كان بداية استمرار النزول القرآني فقد صح اعتباره بداية لنزول القرآن الكريم[٢].

ومن العلماء المؤيدين لهذه النظرية وردّوا القول بالانزال الدفعي بقوّة كان على رأسهم من المتقدّمين الشيخ المفيد (ت:٤١٣هـ) حيث قال: (... فأما أن يكون (القرآن) نزل بأسره وجميعه في ليلة القدر فهو بعيد مما يقتضيه ظاهر القرآن والمتواتر من الأخبار وإجماع العلماء على اختلافهم في الآراء)[٣].

ويبدو ان الشيخ المفيد لم يرتض أي صورة من صور النزول الدفعي (جملة واحدة) للقرآن الكريم[٤].

وتبعه على ذلك الشريف المرتضى (ت:٤٣٦هـ)[٥]، ومن المعاصرين الشيخ محمد جواد مغنية والعلامة الشيخ محمد هادي معرفة.

النظرية الرابعة: يرى أصحاب هذه النظرية أنّ نزول القرآن الكريم جملة واحدة (الدفعي) كان نزولاً لمعانيه ومعارفه الكُلية وأسراره الكبرى دون التفصيل الذي عليه القرآن في النزول التدريجي.

---

(١) سورة العلق، الآية: ١.
(٢) ظ: مركز الأبحاث العقائدية، موسوعة الأسئلة العقائدية، ٣٤/٥.
(٣) تصحيح اعتقادات الإماميّة، ص١٢٤.
(٤) للتوسعة ظ: محمد هادي معرفة، آراء الشيخ المفيد حول تحريف القرآن ونزوله الدفعي، ص٨.
(٥) ظ: رسائل الشريف المرتضى، ٤٠٣/١.

والحكمة من هذا التنزيل هو تنوير النبي ﷺ بالمعارف القرآنية وتثقيف الله ﷻ له ﷺ بالرسالة التي أعده لحملها[١].

وهو الواضح في قول السيد محمد حسين الطباطبائي، إذ قال: (إن معنى نزول القرآن نزوله جملة واحدة، أي نزول إجمال معارفه على قلب رسول الله ﷺ)[٢].

نعم هذه النظرية اشتهر بها العلامة محمد حسين الطباطبائي ولكنه لم ينفرد بها كما قال بعض الباحثين، إذ إن هناك جملة من المفسرين والباحثين السابقين قالوا بها[٣].

ووجه العلامة الطباطبائي الآيات التي تتضمن نزول القرآن نزولاً دفعياً في ليلة القدر وفي شهر رمضان، بإن المقصود بذلك الإنزال هو هبوط الحقيقة المعنوية للوجود القرآني على قلب رسول الله ﷺ، وانكشاف ذلك الوجود التأويلي الحقيقي للقرآن أمام البصيرة الشفافة النبوية، فان هذا الوجود المعنوي هو الذي يناسبه الإنزال الدفعي، كما أن الوجود اللفظي التفصيلي للقرآن هو الذي يناسبه (التنزيل) التدريجي[٤].

ونلحظ ان السيد الطباطبائي قد أوّل (البيت المعمور) الوارد في الروايات عن أهل البيت عليهم السلام حول النزول الأول للقرآن الى البيت المعمور[٥] إنه نزل على قلب

---

(١) ظ: محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٢٧، داوود العطار، موجز علوم القرآن، ص١١٠، د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، تأريخ القرآن وعلومه، ص١٥١.
(٢) الميزان في تفسير القرآن، ٢٣/٢.
(٣) إذ يلحظ المتابع ان هذه النظرية لم ينفرد بها السيد الطباطبائي وانما ذهب إليها من قبل الفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ) كما جاء في مقدمة تفسير الصافي، فرأى أنه أُريد بذلك نزول معناه على قلب النبي (ﷺ)، ثم نزل طوال عشرين سنة نجوماً من باطن قلبه إلى ظاهر لسانه كلما أتاه جبرائيل (عليه السلام) بالوحي وقرأه عليه بألفاظه. ظ: تفسير الصافي، ٤٢/٢، وقال بها الزنجاني ابو عبد الله، تاريخ القرآن، ص٣٨، ومحمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص٢٢١.
(٤) ظ: الميزان في تفسير القرآن، ١٦/٢.
(٥) منها على سبيل المثال: عن الإمام جعفر الصادق ع قال: (نزل القرآن جملةً واحدةً في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمَّ أُنزل من البيت المعمور في طول عشرين سنة، ..). الكليني، الكافي، ٦٢٨/٢. وهناك روايات جاءت بلفظ بيت العزة.

النبي ﷺ، فإنه هو البيت المعمور الذي تطوف حوله الملائكة، وقد رمز اليها الحديث بهذا التعبير الكنائي.

وكلام السيد الطباطبائي في هذه النظرية يتصف بجمال معنوي إلا انه كأي نظرية لها مؤيد فلها معارض، فقد وجه لها نقداً مفاده: أن كلامه منبعث من ذوق عرفاني ليس فيه جدل واستدلال، وأنه ليس سوى استحسان عقلاني مجرّد(١).

وبهذا فلا يرد على النظرية الرابعة ما يرد على النظرية الأولى من أشكال ان القرآن الكريم في الكثير من آياته نزل في حوادث خارجية لم تكن حادثة عند النزول الدفعي فكيف تحكيها وتتحدث عنها؟! كما ان النبي ﷺ كان في كثير من المسائل ينتظر فيها نصاً قرآنياً لبيان حكم شرعي أو دعم معنوي، ففي هذا الرأي الأخير لا يرد الإشكال لأن النازل جملة واحدة (دفعة) هو حقائق ومعارف القرآن الكريم الكُلية.

وأخيراً.. لا شك في أن نزول القرآن وتنزيله، هو من المباحث التي كثرت فيها المقالات والإجتهادات، إذ إنه ما من تفسير للقرآن منذ عصر الرسالة وحتى يومنا هذا إلاّ وتجد فيه اهتماماً خاصاً في تفسير وتأويل الآيات القرآنية، بين قائل بأن للقرآن تنزيلان، وقائل بأن له تنزيلات ثلاثة.. والذي نميل إليه توافقاً ان القرآن نزل على شكل تدريجي منذ المبعث النبوي وحتى رحيل النبي الخاتم ﷺ.

وان فكرة النزول الاجمالي (الدفعي) في كل الأقوال الثلاثة تتوقف على الدليل النقلي فهي تدور في دائرة وفلك الإمكان من دون أن تكون ضروريّة الوقوع، وليس للعقل وحده سبيلٌ لإثباتها، وبالتالي فمسرح الحديث حولها يرتبط بما يسعف من النصوص والظهور والتعبّد.

إذ لا يوجد مانع من تحقّق النزول الدفعي سواء في عالم الإمكان والثبوت أو في عالم الإثبات، وفي الوقت نفسه تبيّنت تماميّة القول بالدفعيّة وأنّه هو المتسق والمناسب لظاهر الأدلّة.

---

(١) ظ: محمد هادي معرفة، تلخيص التمهيد، ص٤٦٦.

وإذا تظافرت الأدلة بنزوله الدفعي في ليلة القدر فيكون بعد ان اكتمل نزوله التدريجي خلال ٢٣ عاماً، مع المعرفة التامة للنبي الأكرم ﷺ بحقيقة القرآن المعنوية ومعارفه مسبقاً.

خامساً: تنزيل القرآن الكريم لفظاً ومعنا من الله ﷻ

القرآن الكريم كتاب الإنسانية الخالد، اختاره سبحانه ليكون آخر الكتب السماوية، والمهيمن عليها، فيه صلاح الناس وهداهم ومنهج حياة لدنياهم وسعادة في اخراهم، كيف لا وهو كلام الخالق ﷻ المنزل لفظاً ومعناً للمخلوقين من عباده.

نعم، قد وقع الخلاف في أن الألفاظ القرآنية التي هي قوالب للمعاني وترتيب كلماته ونظمها على هذا النحو الخاص هل ذلك أيضاً من الله كنفس المعاني القرآنية؟ أم أن المعاني فقط من الله واللفظ وترتيبه للنبي ﷺ ؟

يقول الزركشي (ت:٧٩٤هـ): (والتنزيل له طريقان: أحدهما: أنّ رسول الله انخلع من صورة البشرية الى صورة الملائكة، وأخذه من جبرائيل؛ والثاني: أن الملك انخلع الى البشرية حتّى يأخذ الرسول منه)[١]

ويقول العلامة الطباطبائي: (...فإن ألفاظ القرآن نازلة من عنده تعالى، كما أن معانيها نازلة من عنده، على ما هو ظاهر قوله تعالى)[٢]، وبهذا الرأي قال جُل العلماء[٣].

والذي يشهد على كون القرآن نازلاً بلفظه ومعناه من عند الله تعالى عدة أمور منها:

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ٢٩٠/١، ويرى العلامة الطباطبائي إبهام ومحالة انخلاع صورة البشر أو الملك، ولكن يظهر أن مراد من قال بذلك هو التمثل. ٣١٩/١٥.
(٢) الميزان في تفسير القرآن، ٣١٧/١٥.
(٣) ظ: جواي آملي، المبدأ والمعاد، ص٧٨؛ مصباح اليزدي، معرفة القرآن، ٩٣/١، مير محمدي الزرندي، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، ص٨٣.

أولاً: توجيه الخطاب في كثير من آيات القرآن إلى النبي ﷺ بعبارة ﴿قل﴾ حيث تكررت في أكثر من ثلاثمائة مورد، مما يدل على عدم تدخل النبي ﷺ في صياغة الوحي، فهو مخاطب به لا متكلم، حاكٍ لما يسمعه ولا معبّر عن مضمونه، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه﴾(١).

ثانياً: ما ذكره بعض المحققين من أن كلام النبي الأكرم محفوظ، وخطبه موجودة ولها أسلوب خاص غير الأسلوب القرآني، فلو كان القرآن من إنشاء الرسول ﷺ لوجدنا في خطبه ﷺ ما يشبه القرآن أسلوباً، ولم يكن، ولم ينقل من أحد حتى المعاندين أن أسلوب ما صدر من النبي ﷺ من كلمات هو نفس أسلوب القرآن لتكون النتيجة أن القرآن من كلامه ﷺ لا منزلاً من الله تعالى(٢).

ثالثاً: الإعجاز القرآني في كل وجوهه دليل قاطع على ان اللفظ والمعنى من الله تعالى.

رابعاً: تظافر الروايات المعتبرة المؤكدة على ان اللفظ والمعنى لا دخل للنبي ﷺ في مضمونها وصياغتها.

خامساً: الآيات التي اطلق فيها لفظ " كتاب " على ما أنزلت إلى النبي ﷺ فإن إطلاق لفظ " كتاب " إنما يصح لو كان شيئاً مكتوباً قبل النزول وقبل كتابة النبي ﷺ، يشير إلى ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾(٣) ولا يطلق على المعاني المجردة أنها كتاب.

سادساً: ما سنشير إليه من أن ترتيب الآيات لم يوكل إلى النبي ﷺ، وإنما كان بتوقيف من جبرئيل له ﷺ عليها، فكان يعلمه عند نزول كل آية أين يجب أن

(١) سورة القيامة، الآية: ١٦-١٨.
(٢) ظ: مير محمدي زرندي، بحوث في تاريخ القرآن، ص٨٣.
(٣) سورة الواقعة، الآية: ٧٧-٧٨.

توضع، عقيب آية كذا في سورة كذا، فإذا كان الله ﷻ لا يرضى بترتيب أحد غيره فكيف يرضى أن يجعل ذلك الغير ألفاظ كتابه؟!

وقد ذكر بعض من العلماء آراء للمخالفين للمشهور والمتيقن بأن القرآن الكريم في كل آياته من حيث المعنى واللفظ من الله ﷻ وساقوا ادلتهم وناقشوها، ولا نجد مبرر ههنا لذكر أكثر مما تقدم أعلاه(١).

وعليه فلا وجه لما ذكره الزركشي نقلاً عن السمرقندي من أن الأقوال في المنزل من القرآن الكريم ثلاثة(٢):

١- أن اللفظ والمعنى لله تعالى، وأن جبرائيل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به.

٢- أنه نزل بالمعاني خاصة على الرسول ﷺ، فعبر عنه االرسول ﷺ بلغة العرب.

٣- أن المعاني ألقيت على جبرائيل، فألقاها إلى الرسول ﷺ بلغة العرب بتعبيره، وأن أهل السماء يقرؤنه بالعربية.

فقد ظهر باليقين القاطع أن المتعيّن هو القول الأوّل أي ان اللفظ والمعنى منه ﷻ.

(١) للتوسعة ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٤٥/١، الزرقاني، مناهل العرفان، ٤٢/١، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص٣٥.
(٢) ظ: البرهان في علوم القرآن، ٢٩١/١.

سادساً: أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم:

أختلف أهل العلم في بيان أول وآخر ما نزل من آيات الكتاب العزيز، وذكروا أقوال كثيرة ليس ههنا محل مناقشتها[١]، والتي منها:

١. أول ما نزل من القرآن:

١. ذهب أكثر العلماء – كما تقدم – إلى أن أول القرآن نزولاً هي آيات من (سورة العلق): ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ....﴾[٢].
٢. وذهب طائفة من العلماء إلى أن أول ما نزل من القرآن سورة المدثر[٣].
٣. وذهب آخرون الى ان سورة الفاتحة هي أول ما نزل من القرآن[٤].

والرأي الأول هو الذي نرجحه لأنه المشهور عند المفسرين، كما ويؤيد هذا الرأي ان آية: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...﴾ ابتداءها بالأمر باسمه تعالى ومضمون السورة يؤيد ذلك أيضاً[٥].

(١) للتوسعة في هذه الأقوال ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢٠٩/١، السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٨٣/١، الواحدي، أسباب النزول، ص٨، مركز الأبحاث العقائدية، موسوعة الأسئلة العقائدية، ١٤/٥.
(٢) سورة العلق، الآية: ١.
(٣) البخاري، صحيح البخاري، ٣/١-٤، ظ: د. يوسف مرعشلي، علوم القرآن، ص٩٩.
(٤) ظ: الزمخشري، الكشاف، ٧٦٦/٤.
(٥) هذه السورة تبدأ بأن تأمر النبي ﷺ بالقراءة. ثم تتحدث عن خلقة الإنسان بكل عظمته من قطعة دم تافهة. وفي المرحلة التالية تتحدث السورة عن تكامل الإنسان في ظل لطف الله وكرمه، وعن تعليمه وتمكينه من القلم. ثم تتطرق إلى طغيان الإنسان رغم كل ما توفرت له من هبات إلهية واكرام رباني. وتشير بعد ذلك إلى ما ينتظر أولئك الصادين عن طريق الهداية والمانعين لأعمال الخير من عقاب. وفي ختام السورة أمر بالسجود والاقتراب من رب العالمين.

٢. آخر ما نزل من القرآن الكريم:

وكما وقع الخلاف في أول ما نزل مع صراحة النصوص فيه، فقد كان وقع الخلاف أكبر في تحديد آخر القرآن نزولاً[١]، وذلك على أقوال عدة، منها ما يلي:

القول الأول: ذهب جماعة إلى أن آخر ما نزل هو قوله تعالى: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ..**﴾[٢]. رواه الشيخان عن البراء بن عازب.

القول الثاني: آخر ما نزل آية الربا وهو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[٣]. أخرجه البخاري عن ابن عباس.

القول الثالث: إن آخر ما نزل هو قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ**﴾[٤]. وهذا القول رواية عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير.

القول الرابع: إنّ آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً..** ﴾[٥]. أخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس.

القول الخامس: إن آخر ما نزل سورة النصر. فقد أخرج مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال: (آخر سورة أنزلت: ﴿**إِذَا جَاء نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ..**﴾[٦])[٧]. وعن الإمام

---

(١) ليس من العجب ان يختلف المسلمون في أول ما نزل من القرآن إذ انهم لم يكونوا آنذاك مسلمين، ولكن (العجيب اختلافهم في آخر ما نزل من القرآن، وقد كانوا دولةً وأمةً ملتفةً حول نبيها، وقد أعلن لهم نبيهم ﷺ أنه راحل عنهم عن قريب، وحج معهم حجة الوداع، ومرض قبل وفاته مدة، وودعوه وودعهم!). علي الكوراني، آيات الغدير، ص٣١٢. فلماذا اختلفوا في آخر آيةٍ أو سورةٍ نزلت ﷺ ؟.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨١. قال عمر (ان آخر ما نزل من القرآن آية الربا وان رسول الله ﷺ قبض ولم يفسرها فدعوا الربا والريبة). احمد بن حنبل، مسند احمد، ٣٦/١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

(٥) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٦) سورة النصر، الآية: ١-٤.

(٧) مسلم، صحيح مسلم، ٢٤٣/٨.

جعفر الصادق عليه السلام قال: (أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "بسم الله الرحمن الرحيم، اقرأ باسم ربك" وآخره "إذا جاء نصر الله")[١].

القول السادس: إن آخر ما نزل سورة المائدة[٢]، وهو مروي عن عائشة وعبد الله بن عمرو.

القول السابع: إن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[٣].

القول الثامن: إن آخر ما نزل هو قوله: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...**﴾[٤]. فقد روى البخاري ومسلم في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب: (أن رجلاً من اليهود قال له: آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: أيّ آية؟! قال: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...**﴾. قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو قائم بعرفة يوم

---

(١) الكليني، الكافي، ٦٢٨/٢. ولعل المراد انه لم ينزل بعدها سورة كاملة من القصار.
(٢) وقد تظافرت الروايات وأقوال العلماء في ذلك؛ منها: قول ابن حجر: (أن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن حتى صح عن بن عباس وعائشة وعمرو بن شرحبيل وجمع من السلف أن سورة المائدة محكمة). فتح الباري في شرح البخاري، ٣١٠/٥، وقال الحاكم: (آخر سورة نزلت سورة المائدة هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه). المستدرك، ٣١١/٢، وصححه محمد ناصر الألباني بقوله: (وهي آخر سورة نزلت " كما قالت عائشة وعبد الله بن عمر، فيها رواه الحاكم بإسنادين صحيحين عنهما). إرواء الغليل، ١٣٩/١، وقال الرازي: (أتفاق أكثر الأمة على أن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن). تفسير مفاتح الغيب، ١١٦/١٢، وقال محمد جواد البلاغي (ت:١٣٥٢هـ): (دل الحديث المتفق عليه بين المسلمين انها آخر ما نزل من القرآن وان أحكامها محكمة لم يعترها نسخ وتغيير). آلاء الرحمن في تفسير القرآن، دار العرفان، صيدا، ١٩٣٣م، ١٤٣/٢.
(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠. ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ١٠٠/٧.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

جمعة)[١]. وكذلك ورد عن طريق أهل البيت عليهم السلام انها آخر ما نزل من القرآن الكريم[٢].

ولكن إن المتأمل لهذه الأقوال يلمح لأول وهلة إن أغلبها أقوال غير مرفوعة إلى المعصوم عليه السلام، ولا تعدو كونها اجتهادات لقائليها ليس إلا. عدا القول الأخير فإنَّ لأهل البيت عليهم السلام رأي وتأكيد على ان هذه الآية الكريمة هي آخر ما نزل من القرآن الكريم[٣]. كما ان في الآية ما يشعر صراحة بتمام النزول واكتمال الدين، ولذا يصح أن نعدها آخر القرآن نزولاً، وأما ما ذكره العلماء في بقية الأقوال فيمكن توجيهها على نحوين: انه لا (يمتنع أن يريدوا بقولهم: "من آخر ما نزل": من آخر سورة نزلت في الجملة، لا على أن كل آية منها من آخر ما نزل)[٤]، أو هو آخر ما نزل من موضوع معين.

وبهذا التوجيه يمكن أن نعالج ما تقدم من الآراء ونقارب بينها؛ وبهذا نحسم الخلاف بين العلماء، وهو الناتج عن الروايات، وعلى النحو الآتي:

١. إن أول ما نزل على الأطلاق هو صدر سورة العلق.
٢. أول ما نزل من الفرائض "موضوع الدعوة" على الإطلاق فهو ما جاء في سورة المدثر[٥].

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، ١٦/١.
(٢) الكليني، الكافي، ٢٨٩/١.
(٣) قول أهل البيت عليهم السلام أنها نزلت يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة في الجحفة، في رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع، عندما أمره الله تعالى أن يوقف المسلمين في غدير خم، قبل أن تتشعب بهم الطرق، ويبلغهم ولاية الإمام علي عليه السلام من بعده، فأوقفهم وخطب فيهم وبلغهم ما أمره به ربه..
(٤) الجصاص (ت:٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، ٦١٥/٢.
(٥) وذلك توجيه القاضي أبو بكر الباقلاني؛ إذ قال: (وأول ما نزل من أوامر التبليغ ﴿يا ايها المدثر﴾). الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢٠٧/١.

٣. آخر ما نزل من الفرائض –الولاية– على الإطلاق هي آية (٣) من سورة المائدة[١].

٤. وأول ما نزل سورة متكاملة فهي سورة الفاتحة.

٥. آخر ما نزل سورة متكاملة من السور القصار فهي سورة النصر.

٦. آخر ما نزل من السورة الطوال متكاملة على الأطلاق فهي سورة المائدة[٢].

٧. آخر ما نزل في مكة[٣] سورة العنكبوت.

٨. آخر ما نزل في المدينة[٤] سورة الأنفال.

٩. وآخر ما نزل في موضوع معين بحسب اختلاف الروايات، فهو على النحو الآتي:

١. آية الربا آخر آية نزلت في موضوع الربا.

٢. آية الكلالة[٥] آخر آية نزلت في موضوع أحكام الميراث.

٣. آية الدين آخر آية نزلت في موضوع الدين.

٣. فوائد معرفة أول وآخر ما نزل:

لمعرفة أول وآخر ما نزل فوائد عديدة متى أمكن تحقيق وتحرير هذا المبحث، فمن ذلك:

١. معرفة تدرج القرآن في النزول، وما الأمور التي نزل بشأنها الوحي أولاً، وذلك للاستفادة منها في العلم والدعوة، وترتيب سلم الأولويات في حياة العلماء والدعاة.

---

(١) قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: (وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عز وجل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي..﴾). الكليني، الكافي، ٢٨٩/١.

(٢) ويؤيد هذا المحقق السيد الخوئي بقوله: (الروايات الدالة على أن سورة المائدة نزلت جملة واحدة، وهي آخر ما نزل من القرآن). البيان في تفسير القرآن، ص٣٤٢.

(٣) وذلك قبل هجرته صلى الله عليه وآله الى المدينة.

(٤) وذلك قبل خروجه صلى الله عليه وآله الى حجة الوداع –البلاغ–.

(٥) الكَلالَةُ: مَنْ لَمْ يَرِثْهُ أَبٌ أَوْ ابنٌ وَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ تَكَلَّلَهُ النَّسَبُ.

٢. معرفة الناسخ والمنسوخ من الأحكام والتشريعات. فقد ترد الآيتان أو الآيات في موضوع واحد، ويختلف الحكم في إحداها عن الأخرى، فإذا عرف ما نزل أولاً وما نزل أخراً كان حكم ما نزل آخراً ناسخاً لحكم ما نزل أولاً.
٣. ضبط ورصد كل ما يتعلق بالقرآن الكريم، لما له من المنزلة العظيمة في النفوس والقلوب.

سابعاً: الحكمة من نزول القرآن الكريم مفرقاً (منجم):

استغرق نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ ما يعادل العشرين عاماً، ولم يكن ذلك عبثاً وإنما لكل أمرٍ حكمة، وسبب، وتعددت أسباب نزوله على هذا النحو، ومنها:

أولاً: تثبيت فؤاد النبي ﷺ: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً**﴾[1]، كان النبي ﷺ يلاقي من المشقة واللأواء في تبليغ هذه الدعوة ما يحتاج معه إلى التثبيت وإلى التسلية والتصبير حتى يقوم بهذا الجهد العظيم الذي حمله الله ﷻ إياه فكان يحتاج إلى ما يثبته لأن أعداءه كُثُر، لم يكن بمكة من يعينه عندما بدأ هذه الدعوة إلا زوجه ثم بدأ الناس يدخلون في دين الله فرداً فرداً، حتى تكاثروا وصاروا أمة بعد ذلك.

ثانياً: تيسير حفظه وفهمه: لأن المراد من إنزال هذا القرآن أن يحفظه الناس ويفهموا معانيه فلو نزل جملة واحدة لما أوقعوا هذه المعاني التي فيه على مراد الله ﷻ وعلى ما ينبغي أن تقع عليه من المعنى فإذا نزل القرآن كل آية منه أو مجموعة آيات أو سور تنزل لتعالج قضية معينة مناسبة لما نزلت بسببه، فإن ذلك أدعى إلى فهمها وإلى معرفة معنى تلك الآيات وإلى الاهتداء بهديه، ثم إن الناس أيضاً قد لا يحتملون أن يأتيهم كتاب كامل وآيات كثيرة لا عهد لهم بها دفعة واحدة،

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

فإذا نزلت آية بعد آية ومقطع بعد مقطع، وسورة بعد سورة كان ذلك أدعى لفهمهم ووعيهم وفقههم وعلمهم بمراد ربهم سبحانه.

ثالثاً: مسايرة الحوادث: الحوادث التي تقع في عهد النبي ﷺ كثيرة ويحتاج كل واحد منها إلى إجابة شافية، وإلى معرفة بمراد الله ﷻ وما ينبغي أن يفعله المؤمن تجاه تلك الحادثة فكان القرآن ينزل نجماً نجماً وآية آية لكي يساير تلك الحوادث وهذه الحوادث على أنواع:

١. **أسئلة:** يُسأل النبي ﷺ مسألة فيحتاج إلى إجابة فيها فينتظر حتى ينزل عليه الوحي بإجابة ذلك السؤال ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ**﴾[١]، ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ**﴾[٢]، ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ**﴾[٣]، ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ**﴾[٤].

٢. **مستجدات:** المستجدات في حياة النبي ﷺ وفي واقع الأمة الإسلامية فتحتاج إلى من يبين لها حكم الله ﷻ ومثال ذلك ما وقع من حادثة الإفك العظيمة التي زلزلت المدينة في وقتها، واختلط أمر الناس فيها، وأصبح رسول الله ﷺ قلقاً شديد القلق بشأنها فبقي الناس شهراً لا يدرون كيف المخرج من هذه القضية فأنزل الله ﷻ آيات في سورة النور: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[٥]، فانظر إلى هذه الآيات لو نزلت قبل وقوع هذه الحادثة ما كان لها من

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٤) سورة الانفال، الآية: ١.
(٥) سورة النور، الآية: ١١.

الاعتبار وما كان لها من الفهم، وما كان لها من النظر والأهمية مثل ما يكون إذا نزلت بعد وقوع تلك الحادثة .

٣. **تنبيه الناس إلى أخطائهم:** الناس يخطئون في أمور كثيرة ويخالفون الصواب فيحتاجون إلى ما يصوب أخطائهم فتنزل الآيات بذلك.

٤. **كشف حال المنافقين:** فإن المنافقين يحتاجون إلى ما يكشف حالهم وقد نزل في القرآن الكريم أكثر من خمسمائة آية كلها تتحدث عن أوصاف المنافقين وأخلاقهم، وعن أحوالهم وعن مؤامراتهم وخدعهم وعن غير ذلك مما يحتاج المسلمون إلى معرفته من أحوالهم ما كان المسلمون ليعرفوا ذلك ولا ليفهموه حق فهمه إلا بعد نزول القرآن عندما تحدث من المنافقين مناسبات تدعوا إلى بيان ذلك بالوحي.

٥. **رد شبهات أهل الكتاب:** فأهل الكتاب كانوا يلقون بشبهات على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين فكان القرآن ينزل ببيان هذه الشبهات وتجليتها وقول الحق فيها.

٦. **التدرج في التشريع وتربية الأمة:** إن نزول القرآن متدرجاً لا شك أنه أفضل في تربية الأمة لأن الأمة قد لا تحتمل أن تنهى عن شيء أو تأمر بشيء دفعة واحدة فكان القرآن ينتقل بها شيئاً فشيئاً من مرحلة كانوا عليها بعيدة جداً عن أمر الله ﷻ أو عن نهيه إلى المرحلة التي يريدها الله ﷻ ولا شك أن هذه الطريقة التي نزل بها القرآن تفيدنا كثيراً في تربيتنا لمن ندعوه ولطلابنا ولأبنائنا ولأهل بيوتنا أن نأخذهم إلى الحق شيئاً فشيئاً وأن نربيهم على الخير والفضيلة خطوة خطوة، وألا نأتي بهم جميعاً فإن الإنسان إذا أمر بالخير كله دفعة واحدة نفر منه، وشرد، وصارت عنده رَدة فعل أما إذا ربي عليه شيئاً فشيئاً فإنه يقبله ويألفه ويلزمه بإذن الله ﷻ .

٧. **استمرار التحدي:** كانت الآيات تنزل وفيها تحدي هؤلاء العرب فتصور لو أن القرآن نزل جملة واحدة لكان التحدي به مرةً واحدةً لكن ﴿**فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ**﴾[١]، بحديث مثله، بسورة من مثله بسورة مثله، مرة بعد مرة، ويذكر لهم هذا القرآن ويعاد عليهم ويكرر التحدي لهم فيكون ذلك أبلغ في تعجيزهم وبيان أن القرآن حق من عند الله ﷻ.

٨. **بيان أن القرآن من عند الله** ﷻ: إن أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء من البشر لو أنه أراد أن يتكلم بكلام لأختلف كلامه اليوم عن كلامه بالأمس ولاختلف كلامه في هذا العام عن كلامه في العام الأول، ولاختلف كلامه بعد كبر سنة عن كلامه عندما يكون في شبابه، ولكن القرآن المجيد عندما تنظر إليه في مدة ثلاث وعشرين سنة، تجده كتاباً متشابهاً، في القوة والإحكام والبلاغة، والفصاحة، والمتانة، وشدة الإحكام لا شك أن هذا يدل ويبين أن القرآن من عند الله ﷻ وأنه ليس في طوق أحد من البشر أن يأتي بمثل هذا الكتاب.

(١) سورة هود، الآية: ١٣.

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم

الفصل الثالث

علم المكي والمدني

الله
لا إله إلا هو الحي القيوم

علم المكي والمدني

اتضح فيما تقدم ان من خصائص التشريع الإسلامي أنه نزل متدرجاً، وكانت الآيات القرآنية تنزل على النبي ﷺ مواكبة لمسيرة المجتمع الإسلامي، محتضنة ذلك المجتمع الوليد، مصححة مسيرته، ومؤكدة سداد طريقه، راسمة له معالم الطريق، مشرعة أحكاماً ضرورية لاستقامة أمره، ناصحة له أن يتكافل ويتعاون ويتناصر في سبيل الدفاع عن عقيدته.

وكان القرآن الكريم هو محور الحركة الاجتماعية، وكان النبي ﷺ هو الرمز البشري الذي يحمل مشعل الدعوة، ويجسد قيم الإسلام بخلقه وسلوكه، وكان الوحي هو أداة التواصل بين السماء والأرض، وهو أداة انتقال الرسالة من مصدرها الإلهي إلى قلب النبي ﷺ.

ومثلما كان حادث الهجرة العظيم فارقاً أساسياً بين مرحلتين مختلفتين من مراحل الدعوة الإسلامية، كان هذا الحادث كذلك فارقاً بين نوعين من القرآن هما: القرآن المكي والقرآن المدني.

وقد نزل عليه ﷺ القرآن الكريم في الأمصار والقرى والجبال والوهاد والأودية والسفوح والدور والبراري وفي أوقات مختلفة في الليل والنهار، والسفر، والحضر، والصيف، والشتاء، والسلم، والحرب[١].

وبسبب ترتيب الآيات والسور في المصحف لم يعتمد على تأريخ نزولها، وإنما اعتمد على بيان رسول الله ﷺ وقراءته للقرآن وتعليمه، كما لم يعد (تأريخ نزول الآيات والسور محفوظاً على نحو مفصل، لأن الصحابة لم يعتنوا بهذا الجانب من تأريخ القرآن، وإنما كانت عنايتهم متجهة الى حفظه على نحو ما يقرؤه لهم النبي

(١) ظ: د. فهد عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص١٣٤.

ﷺ)[١]، وكذلك لِما في معرفة السور المكية والمدنية من فوائد عديدة لفهم النصوص القرآنية واستيفاء معانيها واستقصاء مدلولاتها، كان لتظافر هذه الأسباب ان دعت العلماء الى العناية الفائقة في معرفة مكان النزول وزمن النزول، وقد اعتمدوا على (إشارات تأريخية ومعنوية ارتبط بها نزول آيات وسور من القرآن ظلت تشير الى وقت نزولها ومكانه)[٢]، فحفظ العلماء تلك الإشارات والبناء عليها، حتى صارت علماً من علوم القرآن يسمى بعلم المكي والمدني، وأفردوه بالتصنيف[٣].

وعندما كان القرآن ينزل في مكة أول البعثة كان المسلمون قلة، وكان المشركون كثرة وللحديث مع الكفار أسلوبه ولمخاطبة المسلمين طريقتها.

فالقرآن في مكة يدافع عن القلة من المسلمين، ويرفق بهم وينافح عنهم وسط هذه البيئة من الأعداء المشركين وهم بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم ويثبت قلوبهم.

والقرآن في مكة يقارع الخصوم ويحطم معتقداتهم الزائفة بالحجة والدليل ويدفع الشبهات، ويبطل الخرافات، ويكشف الأباطيل والترهات، وهم أهل لجاج وعناد، وإصرار واستكبار وظل القرآن ينافحهم حتى أقام الحجة عليهم وأنشأ جماعة إسلامية كانت نواة الدولة الإسلامية.

وهاجر الرسول ﷺ بهذه الجماعة والتقى بجماعة أخرى من المسلمين في المدينة، وآخى بين الجماعتين، ومزج بينهما مزجاً كان نتاجُه نشأة الدولة الإسلامية الصالحة، المؤهلة لتلقي ما بقي من قواعد الإسلام وأحكام التشريع السماوي.

قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى

(١) د. غانم قدوري الحمد، محاضرات في علوم القرآن، ص٧٧.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٢٢/١.

أولاً: نبذة عن نشأة علم المكي والمدني:

إن هذا القرآن الكريم لم ينزله الله تعالى على نبيه ﷺ جملة واحدة، بل أنزله منجماً ومفرقاً بحسب الوقائع التي تقتضي نزول ما ينزل منه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا﴾[١] أي: أنزلناه كذلك لتثبيت فؤادك بالوحي المتتابع الذي تتجدد به صلتك بالله ﷻ.

وكان نزول القرآن على نبيه ﷺ في مدى ثلاث وعشرين سنة تقريباً، فبعضه نزل في مكة، وبعضه الآخر نزل بالمدينة بعد الهجرة، فكان ينزل عليه القرآن أينما أقام في السفر والحضر، فكان منه المكي والمدني.

وتجدر الاشارة ان لفظ (المكي والمدني ليس لفظاً شرعياً حدد النبي مفهومه لكي نحاول اكتشاف ذلك المفهوم، وانما هو مجرد اصطلاح تواضع عليه علماء التفسير)[٢]، وذلك إن علم المكي والمدني بدأ بشكل روايات يتناقلها الصحابة والتابعون، (ولم يرد في ذلك بيان عن النبي ﷺ، وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان، كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عيانا، (وليس بعد العيان بيان))[٣] .

ثانياً: ترتيب نزول السور سبب في فهم هدايات وأسرار القرآن الكريم:

ان ترتيب القرآن الكريم على تواريخ تنزلاته لم يعد ممكناً، وذلك لطول المدة التي نزل فيها، وتعدد مرات نزول الوحي، وتنوع الظروف التي ينزل فيها، وترتيب القرآن

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.
(٢) محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٧٤.
(٣) الزرقاني، مناهل العرفان، ١٩٦/١.

في سوره على نحو آخر غير ترتيب النزول، وبهذه الأسباب (لا شك ان السور والآيات القرآنية لم تثبت في القرآن على ترتيب نزولها على الرسول ﷺ)[١].

قال محمّد بن سيرين (ت:١١٠هـ) – تابعي –: (قلت لعكرمة: ألفوه كما أنزل الأوّل فالأوّل قال: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يؤلفوه هذا التأليف ما استطاعوا)[٢]، لكن (علماء الإسلام الماضون وخاصة أهل السنة منهم كانوا يعتمدون في ترتيب السور والآيات على الحديث)[٣]، وتمكنوا من تحديد السور المكية والسور المدنية وأن يرتبوها ترتيباً تقريبياً حسب أوقات نزولها، معتمدين في ذلك على نزول أول السورة، كما روي عن ابن عباس (ت:٦٨هـ) أنه قال: (كانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما شاء)[٤].

وهذه الرؤية المنهجية لترتيب النزول، وتنزيل اللاحق في الفهم على السابق من أهم أسباب معرفة هدايات القرآن وأسرار تفسيره، يقول الشاطبي: (فلا يغيبن عن الناظر في الكتاب هذا المعنى؛ فإنه من أسرار علوم التفسير، وعلى حسب المعرفة به؛ تحصل له المعرفة بكلام ربه سبحانه)[٥].

ثالثاً: تعريف المكي والمدني:

تعريف المكي والمدني المركب تركيباً عطفياً. **لغة:** نسبة إلى مكة والمدينة، **واصطلاحاً:** هو علم يبحث منازل القرآن المكي والمدني، وكل ما يتعلق بذلك من ملابسات الأحوال...

(١) محمد حسين الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص١٢٦.
(٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١٦٢/١.
(٣) محمد حسين الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص١٢٦.
(٤) ابن الضريس، فضائل القرآن، ص٧٥ نقلاً عن: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٣٨/١، ولحظنا زيادة: (ما شاء بالمدينة). الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٢١١/١٠.
(٥) الشاطبي، الموافقات، ٢٥٧/٤.

رابعاً: ضوابط المكي والمدني:

وقد تعددت اجتهادات العلماء حول تحديد ماهية المكي والمدني من القرآن الكريم، ويمكن ان نرصد اربعة ضوابط وعلى النحو الآتي[١]:

الضابط الأول: اعتبار المخاطب:

إن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة، وعليه فكل سورة ذكر فيها خطاب: ﴿يا أَيُّها النَّاسُ﴾ أو ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾، فهي مكية لأن غالب أهل مكة مشركون، أما السور التي يذكر فيها خطاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهي مدنية لأن غالب أهل المدينة مؤمنون، فخاطبهم ﷻ بالصفة الغالبة عليهم وهي الإيمان.

وهو ما استفاده أصحاب هذه الضابطة من قول الصحابي عبد الله بن مسعود: (كل شئ نزل فيه: (يا أيها الناس) فهو بمكة، وكل شئ نزل فيه (يا أيها الذين آمنوا) فهو بالمدينة)[٢]

والظاهر ان كلام ابن مسعود لا يمكن الاستدلال به على تأكيد هذه الضابطة لأنه لم يكن قاصداً وضع ضابط للمكي والمدني، وإنما أراد بيان علامة من علامات السور القرآنية المكية والمدنية، أو كان في محل تفسير لبيان المراد بهذا الخطاب.

وقد عمم بعضهم هذا الضابط، بالنظر الى موضوع السورة أو الآيات دون تقييد بصيغة معينة للخطاب، وان (المكي ما نزل في شأن أهل مكة سواء نزل في مكة نفسها أم في مكان قريب منها أم نزل في المدينة نفسها أم في سفر، وسواء نزل قبل

(١) ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، علم المكي والمدني – دراسة في النظرية والتطبيق –، ص٣٥٧.
(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١٨٩/١.

الهجرة أم بعدها والمدني ما لم ينزل في شأن المكيين ومن على شاكلتهم من عبدة الأصنام وعلى هذا المذهب يكون المعتبر في التقسيم المخاطبين)[١].

ولم يسلم هذا الاعتبار من النقد وذلك بأنه غير ضابط ولا حاصر، بأنه غير مطرد، لأن سورة البقرة مدنية بالأتفاق وفيها خطاباً مكياً: ﴿**يا أَيُّها النَّاسُ**﴾ في موضعين: قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[٢]، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[٣].

وسورة النساء مدنية بالاتفاق وفيها: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ..**﴾[٤]. إذن هذا الضابط لا ينطبق دائماً.

الضابط الثاني: زمن النزول:

ويمتاز هذا القول بشمول تقسيمه جميع القرآن، ولا يخرج عنه شيء حتى كان عموم قولهم في المدني: (ما نزل بعد الهجرة)، يشمل ما نزل بعد الهجرة في مكة نفسها في عام الفتح، أو عام حجة الوداع –البلاغ–، مثل آية: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾. كما يشمل ما نزل بعد الهجرة خارج المدينة في سفر من الأسفار أو غزوة من الغزوات.

إذن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان خارج مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة قريباً منها أو بعيداً عنها حتى وان كان في مكة، فالضابط في ذلك زمن النزول، فما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة أو عَرفة فهو مدني، كالذي نزل

(١) عبد الفتاح القاضي، المصحف الشريف: ابحاث في تاريخه وأحكامه، ص١١٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٨.
(٤) سورة النساء، الآية: ١.

عام الفتح، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[١]، أو نزل في حجة الوداع – البلاغ – كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[٢].

تنبيه: قال الزركشي وهو يذكر اصطلاحات المكي والمدني: (والثاني – وهو المشهور – أن المكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة)[٣]، فقوله: (وإن كان بالمدينة..)؛ فهذا اشتباه، ولعله سبق قلم، إذ كيف ينزل القرآن على النبي ﷺ بالمدينة قبل هجرته إليها!! وإنما المراد وإن كان بغير مكة.

الضابط الثالث: مكان النزول:

إن المكي ما نزل على النبي ﷺ بمكة وما جاورها (منى، وعرفات، والحُدَيْبِيَة)، والمدني ما نزل عليه ﷺ بالمدينة (بدر، وأُحُد، وسَلْع).

ولم يسلم هذا الاعتبار من النقد، فهناك قرآن نزل بأسفار بعيداً عن مكة والمدينة، مثل القرآن الذي نزل بتبوك، أو بيت المقدس، أو الطائف، فهذا نزل بعيداً عن مكة والمدينة، ولا نستطيع أن نعده مكياً أو مدنياً. وعليه فلا يترتب على هذا الرأي ثنائية القسمة، فما نزل عليه ﷺ بالأسفار مثل: سورة الأنفال، وسورة الفتح، وسورة الحج، لا يطلق عليه مكي ولا مدني.

الضابط الرابع: اعتبار الموضوع:

من خلال الاستقراء الشامل لموضوعات السور المكية والمدنية، تمكن العلماء من أن يقفوا على ضوابط ومميزات لكل من المكي والمدني، واستطاعو أن يخرجوا

(١) سورة النساء، الآية: ٥٨.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٣) البرهان في علوم القرآن، ١٨٧/١.

من السور المدنية الآيات المكية ويلحقوها بزمرتها، كما استطاعوا ان يخرجوا من السور المكية الآيات المدنية ويلحقوها بزمرتها، ومع أهمية هذا الاعتبار إلا أننا لا نقدمه على الضابط الزماني.

فالراجح من هذه الضوابط والتعريفات هو الضابط الثاني للأسباب الآتية:

١- أنه ضابط وحاصر ومطرد لا يختلف، واعتمده العلماء واشتهر بينهم.
٢- أن الاعتماد عليه يقضي على معظم الخلافات التي أثيرت حول تحديد المكي والمدني، والتي كان منها:
أ- الآيات التي نزلت خطاباً لغير أهل مكة وأهل المدينة، كالتي نزلت للناس أجمعين.
ب- الآيات التي نزلت في غير مكة والمدينة.
ت- الإختلاف الموضوعي والأسلوبي بين ما نزل من القرآن قبل الهجرة وما نزل بعدها.
٣- أنه أقرب إلى فهم الصحابة حيث إنهم عدوا من المدني سورة التوبة، وسورة الفتح وسورة المنافقون، ولم تنزل سورة التوبة كلها بالمدينة، فقد نزل كثير من آياتها على رسول الله ﷺ وهو في طريق عودته من تبوك، ونزلت سورة الفتح على النبي ﷺ وهو عائد من صلح الحدبية، ونزلت سورة المنافقون عليه، وهو في غزوة المصطلق.

وإذا قلنا إن الضابط الزماني هو الأصح، فلا يعني هذا إهمال الضوابط الثلاثة الأخرى، فجميع هذه الضوابط مهمة وهي مفيدة جداً في مجال التفسير، والوقوف على المراحل التي مرت بها الدعوة، قال الدكتور صبحي الصالح: (إن معرفة المكي

والمدني هو في آن واحد ترتيب زماني وتحديد مكاني وتعيين شخصي وتبويب موضوعي)[١].

وهنا **نسأل** لماذا الهجرة هي المُعَوَّل عليها في هذا التقسيم بين المكي والمدني؟

والجواب يكمن في نظرة بسيطة على أحداث سيرة النبي ﷺ تُبين لنا ان الهجرة المباركة ليست (مجرّد حادث عابر في حياة الدعوة وإنما هي حدّ فاصل بين مرحلتين من عمر الدعوة، وهما مرحلة العمل الفردي ومرحلة ضمن دولة)[٢]، فهي نقلة واضحة في حياته ﷺ وحياة الدعوة الإسلامية، ويكفينا أن نُشير الى أنه بالهجرة تحققت نواة دولة المسلمين، وأصبحت لهم دار وقوة، فناسب ذلك نوع من التشريع الملائم للظرف الحالي، وهذا واضح المعالم في طبيعة النصوص النازلة بعد الهجرة، أسلوباً وموضوعاً، وهذا المتضح – كما سيأتي – في خصائص السور المكية والسور المدنية وموضوعاتها.

خامساً: القواعد التي يقوم عليها علم المكي والمدني:

تنوعت آراء العلماء في علم المكي والمدني في القرآن الكريم، وذلك لاختلاف الملاك عندهم، إلا إن المتتبع يلحظ ان هناك قواعد يقوم عليها هذا العلم، ولا يمكن لمن رام تفسير القرآن الكريم إلا الألتزام بها وتطبيقها، وهي على النحو الآتي[٣]:

القاعدة الأولى: القول في تفاصيل المكي والمدني موقوف على النقل عمن شاهدوا الوحي والتنزيل[٤].

---

(١) مباحث في علوم القرآن، ص١٦٧.
(٢) محمد علي التسخيري، محاضرات في علوم القرآن، ص٩٧.
(٣) ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، علم المكي والمدني – دراسة في النظرية والتطبيق –، ص٣٦٣.
(٤) ظ: د. محمد بن عبد الرحمن الشايع، المكي والمدني في القرآن الكريم، ص٣٣.

قال ابن الحصّار الأندلسي (ت:٦١٠هـ): (وكل نوع من المكي والمدني منه آيات مستثناة، إلا أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل)[١].

القاعدة الثانية: الأصل في السورة المكية أن تكون كل آياتها مكية، ولا يقبل القول بمدنية بعض آياتها إلا بدليل استثنائي صحيح، كما أن السورة المدنية يحكم بجميع آياتها بأنها مدنية، إلا ما خرج بدليل استثنائي صحيح.

القاعدة الثالثة: القرآن المدني ينسخ المدني الذي نزل قبله، وينسخ المكي أيضاً، ولا يجوز أن ينسخ المكي المدني.

القاعدة الرابعة: المدني من السور ينبغي أن يكون منزلاً في الفهم على المكي، وكذلك المكي بعضه مع بعض، والمدني بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التنزيل، وإلا لم يصح، والدليل على ذلك (أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكي؛ كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبني على متقدمه، دل على ذلك الاستقراء)[٢].

القاعدة الخامسة: قد يستمر نزول السورة فتنزل في أثناء مدة نزولها سور أخرى.

هذا ويلاحظ الفرق بين القاعدة والضابط، فالقاعدة لا تختص بباب معين، بخلاف الضابط فإنه خاص بباب معين.

---

(١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١/ ٣٨.
(٢) ظ: الشاطبي (ت:٧٩٠هـ)، الموافقات، ١٩٨/٤. نقر جانب الترابط العضوي الذي يراه الشاطبي، ولكن لا نرى أن هذا الترابط يقتصر على البُعد الزمني، وإن كان لمعرفة السياق أثر في التأصيل للأحكام التشريعية، فإن هذه الأحكام التشريعية هي جزء من بيان وكلام أعم وأشمل، والذي يستفاد من جملة ملامح التصور أو الرؤية الكونية الإسلامية وعلى ذلك فإن بناء صرح المنهاجية لدينا يعتمد على أدوات تحليلة أخرى غير الاستدلال والاستقرار.

سادساً: فوائد معرفة المكي والمدني:

إنّ لتقسيم السور والآيات إلى مكي ومدني فوائد عدّة، أهمها:

١. معرفة بعض الأبحاث المتعلّقة بالدعوة الإسلامية، وسيرة الرسول ﷺ.
٢. الاطّلاع على كيفية نزول الأحكام التشريعية وتدرّجها بحسب ما تقتضيه أحوال المخاطبين واستعداداتهم للقبول والتنفيذ.
٣. الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم؛ إذ أن معرفة مكان نزول الآية تعين على فهم المراد بالآية ومعرفة مدلولاتها، وما يراد فيها.
٤. التمكين من فهم القرآن من خلال الواقع الذي كان ينزل فيه، وبذلك يستطيع المسلم أن يضع نصوص الكتاب في مواضعها، فالخطاب المكي مثلاً يراعى فيه حال الاستضعاف للمؤمنين، بخلاف الخطاب المدني ففيه مراعاة القوة والتمكين للمؤمنين، وما يقتضيه كل وضع من تلك الأوضاع المختلفة قاعدة عظيمة لفقه شرائع الإسلام، وتنزيل كل شئ منزلته[١].
٥. معرفة بعض الأبحاث القرآنية والعقدية والتاريخية، من قبيل: مسألة الإمامة وما يرتبط بها من حوادث تاريخية، كحادثة غدير خم[٢].
٦. علم المكي والمدني يُعين الدارس على معرفة تاريخ التشريع والوقوف على سُنة الله الحكيمة في تشريعه، بتقديم الأصول على الفروع، وترسيخ الأسس الفكرية والنفسية، ثم بناء الأحكام والأوامر والنواهي عليها، مما كان له الأثر الكبير في تلقي الدعوة الإسلامية بالقبول، ومن ثم الإذعان لأحكامها.
٧. تمييز الناسخ من المنسوخ، يرى النحاس[٣]، والزركشي[٤]، والسيوطي[٥]، وتبعهم كثيرون من المعاصرين، أن من فوائد العلم بالمكي والمدني تمييز

(١) ظ: عبد الله بن يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص٥٩.
(٢) ظ: مركز نون للتأليف والترجمة، الوجز في علوم القرآن، ص٩.
(٣) ظ: الناسخ والمنسوخ، ص٢١٤.
(٤) ظ: البرهان في علوم القرآن، ١٨٧/١.
(٥) ظ: الإتقان في علوم القرآن، ٤٨/١.

الناسخ من المنسوخ. ولكن المتتبع للآيات المنسوخة في القرآن الكريم لا يجد في الحقيقة آيات مكية منسوخة[١].

٨. الوقوف على أحد أبعاد إعجاز القرآن الكريم وتعذّر تحريفه، من خلال التأمّل والتدبّر في خصائص السور المكية والمدنية وضبط تاريخ نزولها.

٩. تذوق أساليب القرآن الكريم والاستفادة منها في أسلوب الدعوة.

سابعاً: الخصائص والمميزات الموضوعية في السور المكية والسور المدنية:

أولاً: خصائص المكي ومميزاته الموضوعية:

أ) خصائص السور المكية:

١. قصر حجم السور المكية وقصر آياتها وإيجاز خطابها، واشتمالها على كليات الشريعة، بلا تفصيل[٢].

٢. شدة لهجة الآيات، وأسلوبها التقريعي، وفيها لفظ (كَلَّا) ولا سيما في مجادلة المشركين وتفنيد معتقداتهم[٣].

---

(١) بالغ بعض العلماء في النسخ فأدخلوا فيه ما ليس منه فزعموا أن آية السيف وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ سورة التوبة، الآية: ٥، ناسخة للآيات المكية التي تدعو الى كف الأيدي والعفو والصفح، وهذا غير صحيح، فالعفو والصفح عند الضعف والقلة ولا يجوز اللجوء الى الشدة والعنف في ظل النظام الذي يمكن المسلم من الدعوة الى الله تعالى ولا يُضيق عليه. وقد فصّل السيد الخوئي في هذا المبحث. ظ: البيان في تفسير القرآن، ص٣٠٥.

(٢) ومثالنا على هذا بسورة الأنعام (المكية) التي استوعبت أصول الدعوة المكية، وسورة البقرة التي نزلت بعدها تفصيلا وتقريرا لها؛ يقول الشاطبي: (ثُمَّ لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَ مِنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَهِيَ الَّتِي قَرَّرَتْ قَوَاعِدَ التَّقْوَى الْمَبْنِيَّةَ عَلَى قَوَاعِدِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ). الموافقات، ٢٥٧/٤.

(٣) جاءت (كَلَّا) في ثلاثة وثلاثين موضعاً من القرآن تضمها خمس عشرة سورة تقع جميعها في النصف الثاني من القرآن، ومنها:

١. المعنى الأول: وهو معنى الرد والإنكار والردع؛ مثل قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾. سورة الهمزة، الآية: ٣.

٢. والمعنى الثاني: بمعنى " حقاً " نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾. سورة المطففين، الآية: ١٨.

٣. والمعنى الثالث: أن تأتي للاستفتاح بمنعنى(ألا) نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾. سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

٣. كل سورة وردت فيها عبارة: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ وهي صيغة استفهامية تفيد التهويل، والتفخيم، لما يذكر بعدها، وقد وردت في القرآن كله ١٣ مرة في ١٠ سور.

٤. كثرة استعمال خطاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾. عدا سورة الحج فإنها مكية مع أن آخرها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾.

٥. كل سورة فيها ذكر آدم عليه السلام وإبليس فهي مكية سوى سورة البقرة.

٦. كل سورة مفتتحة بـ(الحمد) فهي مكية، وهي خمس سور.

٧. كثرة ذِكر قصص الأنبياء السابقين عليهم السلام وأممهم.

٨. كثرة ورود القسم فيها، كالقسم بالله، ويوم القيامة.

٩. الحروف المقطعة في أوائل السور مثل (آلم) (حم) من سمات السور المكية عدا سورتي البقرة وآل عمران.

١٠. كل سورة فيها سجدة فهي مكية (الأعم من السجدات المستحبة والواجبة).

ب) المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب فيمكن إجمالها فيما يلي:

١- الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده، وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء، وذكر القيامة وهولها، والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية، والآيات الكونية.

٢- وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع، وفضح جرائم المشركين في سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ظلماً، ووأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات.

٣- ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجراً لهم حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم، وتسلية لرسول الله ﷺ حتى يصبر على أذاهم ويطمئن إلى الانتصار عليهم.

٤- قصر الفواصل مع قوة الألفاظ، وإيجاز العبارة، بما يصخ الآذان، ويشتد قرعه على المسامع، ويصعق القلوب، ويؤكد المعنى بكثرة القسم، كقصار المفصل إلا نادراً.

ثانياً: خصائص المدني ومميزاته الموضوعية:

أ) خصائص السور المدنية:

١. كل سورة فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ فهي مدنية.
٢. كثرة استخدام الأدلّة والبراهين على الحقائق الدينية.
٣. كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية سوى العنكبوت فإنها مكية.
٤. كثرة تشريع آيات الأحكام في ما يتعلّق بالفرد والمجتمع، من حدود وفرائض ومعاهدات وشؤون الحكم والشورى والإرث[١].
٥. الأمر بالجهاد أو الإذن به أو الحديث عن أحكامه.
٦. مجادلة أهل الكتاب ودعوتهم إلى عدم الغلو في دينهم.

ب) المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب فيمكن إجمالها فيما يأتي:

١- السور المدنية تفصيل للسور المكية وتقرير لها. فهي بيان للإمامة، والعبادات، والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواريث، وفضيلة الجهاد، والصلات الاجتماعية، والعلاقات الدولية في السلم والحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع.

---

(١) ظ: د. محمد بن عبد الرحمن الشايع، المكي والمدني في القرآن الكريم، ص٢٨.

٢- مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى الإسلام، وبيان تحريفهم لكتب الله، وتجنيهم على الحق، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم.

٣- يغلب على الآيات والسور المدنية أنها طويلة وأسلوبها هادئ يقرر الشريعة ويوضح أهدافها ومراميها[١].

٤- الكشف عن سلوك المنافقين، وتحليل نفسيتهم، وإزاحة الستار عن خباياهم، وبيان خطرهم على الدين.

ثامناً: منهج معرفة المكي والمدني:

بعد ان عرضنا بعض من خصائص المكي والمدني كان لبعض العلماء رأي في المنهج المؤدي الى معرفة المكي والمدني، وقد وقع الخلاف بينهم في ذلك فبعضهم اعتمد على:

١. **منهج سماعي نقلي استقرائي:** يستند إلى الرواية الصحيحة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام والصحابة والتابعين الذين عاصروا الوحي وشاهدوا نزوله، أو عن التابعين الذين تلقوا عن الصحابة وسمعوا منهم كيفية النزول ومواقفه وأحداثه. وسند ذلك ماورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: (ما نزلت من القرآن آية إلا وقد علمت أين نزلت، وفيمن نزلت، وفي أي شئ نزلت، وفي سهل نزلت، أو في جبل نزلت)[٢].

وأيد هذا المنهج جملة من العلماء منهم القاضي أبو بكر الباقلاني (ت:٤٠٢هـ) إذ قال: (إنما يرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين، ولم يرد عن

(١) ظ: د. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص١٨٢.
(٢) الصدوق، الأمالي، ص٣٥٠.

النبي (ﷺ) في ذلك قول، لأنه لم يؤمر، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة)[١].

ويمكن أن نستخلص من كلام الباقلاني الآتي:

١. أنه لم يرد عن النبي ﷺ شئ في تحديد المكي والمدني لأنه لم يؤمر به.
٢. أنه يرجع في معرفة ذلك لما ورد من نقل صحيح عن المعصوم عليه السلام والصحابة والتابعين مما يُعرف من خلاله المكي والمدني.
٣. أنه علم اجتهادي يجوز الاجتهاد فيه ولذا يسوغ وقوع الاختلاف فيه.
٤. أن علمه ليس واجباً على كل مسلم، وإنما هو فرض كفائي يقوم به بعض العلماء لمعرفة الناسخ والمنسوخ وتاريخ التشريع وتدرجه، وسير الدعوة.

أما **سبب** عدم وجود روايات عن النبي ﷺ في بيان السور المكية والمدنية ومن ثم الرجوع الى الأخذ بمرويات عن أهل البيت عليهم السلام والصحابة والتابعين!

فذلك ان النبي ﷺ لم يُبين السور المكية والمدنية لأن بيانها يُعد من البديهيات الواضحة لجميع المعاصرين لزمن نزول النص القرآني وظروفه، فلم يكن حينها ما يوجب بيانه لهم.

وقد أحسن الزرقاني في هذا المقام حيث قال: (لم يرد عن النبي ﷺ وسلم بيان المكي والمدني، وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان، كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل، ويشهدون مكانه وزمانه، وأسباب نزوله عيانا، وليس بعد العيان بيان)[٢].

٢. **منهج اجتهادي استنباطي (عقلي):** يستند إلى خصائص المكي وخصائص المدني، فإذا ورد في السورة المكية آية تحمل طابع التنزيل المدني أو تتضمن شيئاً

(١) نقله السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١/٣٥.
(٢) مناهل العرفان، ١/١٨٩.

من حوادثه قالوا: إنها مدنية، وإذا ورد في السورة المدنية آية تحمل طابع التنزيل المكي، أو تتضمن شيئاً من حوادثه قالوا: إنها مكية، وهذا قياسي اجتهادي، ولهذا نجدهم يقولون: كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية فهي مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حدّ فهي مدنية.

قال المفسر الغرناطي (ت:٧٤١هـ) محمد بن أحمد بن جزي: (واعلم أنّ السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد والردّ على المشركين، وفي قصص الأنبياء. وأنّ السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية، وفي الردّ على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين، والفتوى في مسائل، وذكر غزوات النبي ﷺ. وحيث ما ورد: يا أيها الذين آمنوا فهو مدني، وأما: يا أيها الناس، فقد وقع في المكيّ والمدنيّ)[١].

وقد أيد هذا المنهج العلامة الطباطبائي، إذ قال: (فإذاً الطريقة الوحيدة لمعرفة المكي والمدني هو التدبر في الآيات والنظر في مدى موافقتها لما جرى قبل الهجرة أو بعدها هذه الطريقة مفيدة إلى حد ما للتمييز بين المكي والمدني، فان مضامين سورة الإنسان والعاديات والمطففين تشهد بأنها مدنية بالرغم من أنها ذكرت في بعض الأحاديث على انها مكية)[٢].

ولعل سبب اللجوء الى هذا المنهج يعود الى ندرة الروايات الموضحة للمكي والمدني، وضعف أغلب الروايات الواردة، وتعارض بعضها مع البعض الآخر، ويؤكد هذا المعنى المفسر محمد عزة دراز؛ إذ قال: (بعض ما روي مدنيه من السور أولى أن يكون مكّياً أو بالعكس)[٣]، مع هذا ربما نجد في كتب الإمامية بعض الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام – وإن كانت قليلة وربما ضعيفة سنداً – يستفاد منها أو نص فيها على أن هذه السورة أو الآية مكية أو مدنية، منها ما رواه زرارة

(١) التسهيل في علوم التنزيل، ١٤/١.
(٢) القرآن في الإسلام، ص١٣٢.
(٣) التفسير الحديث، ١٣/١.

بن أعين (ت:١٤٨هـ) عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: (نزلت سورة المائدة قبل أن يقبض النبي صلى الله عليه وآله بشهرين أو ثلاثة)[١].

٣. **الجمع بين المنهج النقلي والمنهج العقلي:** ولعل هذا الطريق هو الاسلم، ولكن بشرط التأمل في الآيات والسور بالاضافة الى الاعتماد على بعض الروايات الصحيحة عندها يمكن القول بصحة هذا الطريق.

وأيد هذا المنهج الدكتور داوود العطار، إذ قال: (فإنه بهذا الجمع تكون النتائج أقرب إلى العلم، وأبعد عن الظن والتخمين. إذ أن الطريقه الاستقرائيه عاجزه تقريباً عن تمييز كثير من السور والآيات المكيه، لفقدانها الأحداث المهمه، والنصوص التى تعوّل عليها في التمييز. كما أن الطريقه الاستنباطيه طريقه قياسيه أو تخمينيه، فالخصائص المستنبطه إنما هي غالبه، وليست قطعيه خاصه بالمكي أو بالمدني. لذا رجح لدينا الجمع بين السماع والقياس في التمييز)[٢].

تاسعاً: عدد السور المكية والمدنية:

١. السور المكية:

وهي اثنان وثمانون (٨٢) سورة، وعلى النحو الآتي: الأنعام، الأعراف، يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، النحل، الإسراء، الكهف، مريم، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، سبأ، فاطر، يس، الصافات، ص، الزمر، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، ق، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الواقعة، الملك، القلم، الحاقة، المعارج، نوح، الجن، المزمل، المدثر، القيامة، الإنسان، المرسلات، النبأ، النازعات، عبس، التكوير، الانفطار، الانشقاق، البروج، الطارق، الأعلى،

(١) ظ: العياشي، تفسير العياشي، ٢٨٨/١، المجلسي، بحار الأنوار، ٢٧٤/٨٩.
(٢) ظ: موجز علوم القرآن، ص١٤٢.

الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، الانشراح، التين، العلق، العاديات، القارعة، التكاثر، العصر،الهمزة، الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، الكافرون، والمسد.

٢. السور المدنية:

وهي عشرون (٢٠) وعلى النحو الآتي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، النور، الأحزاب، محمد، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الجمعة، المنافقون، الطلاق، التحريم، والنصر.

٣. السور المختلف فيها:

وهي اثنا عشر (١٢). وعلى النحو الآتي: الفاتحة، الرعد، الرحمن، الصف، التغابن، المطففين، القدر، البينة، الزلزلة، الإخلاص، الفلق، والناس.

عاشراً: أسباب الاختلاف في تعيين المكي والمدني:

هناك أسباب أدت إلى اختلاف أهل العلم حول تعيين المكي والمدني، وتنحصر تلك الأسباب فيما يلي:

أولاً: عدم التنصيص من الرسول ﷺ على هذا الأمر، فلم يرد عن النبي ﷺ أنه قال: هذه السورة أو الآية مكية، وتلك السورة أو الآية مدنية.

ثانياً: الاختلاف في تحديد مصطلح المكي والمدني.

ثالثاً: عدم التمييز بين ما هو صريح في السببية وما هو غير صريح فيها. يعني أنه وقع من بعض الرواة لأسباب النزول – لعدم تمييزهم بين القصة الصريحة في السببية وبين القصة التي ذكرت كتفسير للآية وبيان معناها – أن ألحق بعض الآيات المكية في السور المدنية، كما ألحق بعض الآيات المدنية في السور المكية، اعتماداً على تلك الأسباب غير الصريحة.

رابعاً: توهم قطعية بعض الضوابط وخصائص المكي والمدني، مع أن تلك الضوابط والخصائص مبناها على الغالبية، لا على التحديد القاطع الذي لا يقبل التخلف أو الاستثناء.

خامساً: الاعتماد على الروايات الضعيفة التي لا ترتقي بمستوى الاحتجاج رغم وجود روايات صحيحة في الموضوع.

أحد عشر: أمثلة للآيات المكية في سور مدنية وبالعكس:

١: آيات مكية في سور مدنية:

أ- سورة الأنفال كلها مدنية ما عدا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ...﴾[١].

ب- سورة المجادلة كلها مدنية ما عدا قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَة﴾[٢].

٢: آيات مدنية في سور مكية:

أ- سورة يونس كلها مكية ما عدا قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ..﴾[٣]. وقوله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلْ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُمْتَرِينَ، وَلا تَكُونَنَّ مِنْ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ فَتَكُونَ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾[٤].

ب- سورة الكهف مكية واستثنى من أولها إلى ﴿جُرُزاً﴾[٥]. وقوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾[٦]. و ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلا...﴾[٧] إلى آخر السورة.

ملاحظة: ان السور المكية قد تحتوي على آيات مدنية، أما العكس فلا يتحقق القول فيه بوجود سور مدنية فيها آيات مكية، إذ لا يُعقل أن تتنزل آيات مكية وتبقى من دون انتماء لأية سورة تُحيط بها الى أن تنزل السورة المدنية فتلتحق بها، ولو قلنا

---

(١) سورة الانفال، الآية: ٦٤.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ٧.
(٣) سورة يونس، الآية: ٤٠.
(٤) سورة يونس، الآية: ٩٤-٩٥.
(٥) سورة الكهف، الآية: ١-٨.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٢٨.
(٧) سورة الكهف، الآية: ١٠٧.

بذلك لكانت الآية أو الآيات في سور مكية ما، ثم تنزع منها وتلتحق بسورة أخرى، وهذا بعيد، أو ان الضابط المعتمد ليس الضابط الزماني!

اثنا عشر: أثر المكي والمدني في تربية الإنسان تربية قرآنية:

على المسلم أن يفيد من معرفة خصائص ومميزات المكي والمدني في مجال الدعوة الى الله ﷻ، وأن يستلهم منهج التربية الإسلامية من النبي ﷺ، والتي منها:

أن يركز على الأصول العامة وأولها الإيمان بالله ﷻ واليوم الآخر، فإذا تحقق لدى المدعويين الإيمان بالله واليوم الآخر نتدرج بعد ذلك معهم فنذكر الأحكام التفصيلية.

إن فهمَ القرآن الكريم بهذه الرؤية المنهجية، وإدراكَ تضمن القرآن المكي لكليات الشريعة، وتضمن القرآن المدنيِّ لجزئياتها؛ له الأثر البالغ في تربية الإنسان تربية قرآنية؛ فإن المسلمين الذين عايشوا نزول القرآن المكي، وتربوا بهداياته كانوا أكثر اجتهاداً ورسوخاً لتعاليم الإسلام. لهذه التربية مثالاً عن رجل سُئل عن نصاب الزكاة، وهو قد تربى بالقرآن المكي، الذي كان يدعو ويشجع على الإنفاق في سبيل دعوة الإسلام بلا قيد ولا شرط؛ فيقول: (فإذا سمعت مثلاً أن بعضهم سئل عما يجب من الزكاة في مائتي درهم، فقال: أما على مذهبنا؛ فالكل لله، وأما على مذهبكم؛ فخمسة دراهم)[١].

إن لكل مرحلة من مراحل التربية موضوعاتها وأساليب الخطاب فيها، فالخطاب يختلف باختلاف أنماط الناس ومعتقداتهم وأحوال بيئتهم، ويبدو هذا واضحاً جلياً في أساليب القرآن الكريم المتنوعة في مخاطبة المؤمنين والمشركين والمنافقين وأهل الكتاب.

---

(١) الشاطبي، الموافقات، ٣٦٧/١.

من خلال التأمل في القرآن المكي والمدني ومراحل النزول يظهر بجلاء سمو السياسة الشرعية في تربية الأفراد والأمم حيث اعتمد القرآن الكريم سياسة التدرج في التشريع حسب ما تقتضيه أحوال المخاطبين واستعداداتهم للقبول والتنفيذ(١).

ان معرفة خصائص ومميزات القرآن المكي والمدني تعطي منهجاً تربوياً مميزاً لطرائق الخطاب في الدعوة الى الله تعالى بما يلائم نفسية المخاطب، ويمتلك عليه لبه ومشاعره، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (ما كلم رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قط). وقال عليه السلام: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم)(٢).

إن فهم الواقع من أهم دعائم التدرج، لأن المصلح إذا لم يفقه واقع المجتمع فلن يستطيع يحدد كيف يتدرج ومن أين يبدأ التدرج وما هو الذي يعالجه التدرج، والذي لا يعالجه.

ثالثة عشر: ردُّ شبهةٍ أثيرت حولَ خصائصِ كلٍّ من القرآن المكي والمدني:

لقد كان موضوع المكّي والمدني من جملة الموضوعات القرآنية التي أثار حولها بعض أعداء الإسلام من المستشرقين الشُبهة والجدل، وأثارة الشبهات والجدل هو الطابع العام والغالب على دراسات المستشرقين، إذ أن الكثير من هذه الدراسات (لم تخل من الحقد والتعصب والافتراءات والمغالطات والبُعد عن الموضوعية، وهي تجعل من مجمل التراث العربي الإسلامي والحضارة الإسلامية تبعاً للمسيحية والفلسفة اليونانية)(٣)؛ وهي محاولة إثبات كون القرآن الكريم ليس وحياً وأنه من كلام النبي محمد صلى الله عليه وآله.

---

(١) ومثالنا في ذلك ان الباحث المدقق في سياسة التشريع الإسلامي للجهاد يجد (أن السمة البارزة فيه هي: التدرج، فقد شرَع الله في مكة جهادَ النفس والهوى والشيطان، كأساس لكل أنواع الجهاد، ثم شرع جهاد الكفار في مكة ثانياً بالصبر على أذاهم، وتوضيح الحُجة لهم، والاستمرار في دعوتهم إلى دين الحق، ثم لَمَّا صاروا على العناد، شرَع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد)؛ د. جمال العمري، أدب الحرب والسلام في سورة الأنفال، ص١٢٤.

(٢) الكليني، الكافي، ١/٢٣.

(٣) د. مهدي فضل الله، الخطاب العربي المعاصر تجاه الإسلام والمسلمين، ص١٢٤.

ونكتفي هنا بإيراد شبهة واحدة مما قالوه، لعلها أبرزُ تلك الشُّبَهِ، وبنقضها يبطل ما وراءها[١].

وتنطلق الشُبهة هنا من أساسٍ هو:

إنّ الفروق والميزات التي تُلاحظ بين القِسم المكّي من القرآن الكريم والقِسم المدني منه، تدعو في نظر بض المستشرقين إلى الاعتقاد بأنّ القرآن قد خضع لظروف بشريّة مختلفة اجتماعية وشخصية تركت آثارها على أُسلوب القرآن وطريقة عرضه، وعلى مادّته والموضوعات التي عنى بها[٢].

ومكمن الشبهة المختارة: إن القرآنَ الكريمَ في القسمِ المكيِّ منه قد خلا من ذكر الأدلة والبراهين العقلية، بخلاف القسم المدني فإنه حافلٌ بتلك الأدلة مدعَّمٌ بتلك البراهين، وهذا إن دل على شيئ – في زعمهم– فإنما يدل على أن القرآنَ الكريمَ من إنشاء وصَنْعَةِ محمد ﷺ وليس وحياً، ووجهُ الاستدلال: أنه ﷺ قد تأثر بالوسط الذي عاش فيه في المرحلتين، فهو حينما عاش في مكةَ بين الأميين من أهلها أتى بالقرآن خالياً من الأدلة والبراهين، لأنهم ليسوا من أهلها، وعندما هاجر إلى المدينة وعاش بين أهل الكتاب بما لديهم من علم جاء بالقرآن حافلاً بالأدلة والبراهين العقلية.

وهذا كلام متهافت لا يصمد أمام أي نقد من مبتدئٍ في هذا المجال فضلاً عن المتمرس في العلم المتبحر فيه.

ونقض هذه الشبهة من وجوه:

أولها: لو كان الأمرُ كما يقولون لكان أولى الناسِ بإثارة هذا الكلام، وكشْفِ تلك الحقيقة –إن كانت كذلك– همُ الكفارُ الذين عايشوا النبي ﷺ، ولَزَعم أهل الكتاب أنهم هم الذين علموا النبي ﷺ ما جاء في القرآن من هذه الأدلة والبراهين، ولأبطلوا بذلك دعوتَه، وقد كانوا أحرصَ الناسِ على إبطالها، لشدة عداوتهم لرسول الله ﷺ.

---

(١) للمزيد من التفصيل في عَرْض الشبهات ومناقشتها ظ: الزرقاني، مناهل العرفان، ١٩٩/١، فتحي أحمد علي، فتح البيان في دفع الشبهات المثارة حول المكي والمدني في القرآن، ص٢١١.
(٢) ظ: محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٧٩.

ثانياً: أنه لو صح قولهُم لبطلت نبوة محمد ﷺ، ولكانت النبوة لمن تأثر بهم، أو لِأعْلَمِهم على اعتبار أنهم مصدرُ تلك النبوة، ولأيدت قريشٌ اليهود في ادعائهم الأحقية بالنبوة –لو ادَّعَوْها– وقد كانوا أحرص الناس على أن تكون النبوة في عظيم من عظمائهم وغني من أغنيائهم، وقد أورد القرآن هذا الحرص والتمني في قول الله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلا نـزلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾(١)، ويقصدون بالقريتين: مكةَ والطائف، وبالرجلين: الوليدَ بنَ المغيرة من مكة، وعروةَ بنَ مسعود الثقفي من الطائف.

ثالثاً: أن الشبهةَ بعد ذلك منقوضةٌ من الناحيةِ الموضوعية، فهي مبنيةٌ على ما زعموا من خلِّو القرآن المكي من الأدلة والبراهين العقلية، وذلك كذبٌ ظاهر وزيف مفضوح، لأن القارئ للقرآن يجدُ خلافَ ذلك تماماً، فقد جاء في القسمِ المكي من القرآن الكريم أدلةٌ وبراهينٌ بلغت الغايةَ وأوفَتْ في الاستدلال على أصول العقيدة في قضايا التوحيد والنبوةِ والبعث، فنلحظ في:

١. **أصل التوحيد:** قال الله تعالى في سورة الأنبياء المكية: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾(٢)، وفي سورة المؤمنون المكيةِ قال سبحانه: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾(٣).

وقد اتخذ العلماء من آية سورة الأنبياء ما يسمى بدليلِ التمانع، الذي مفادُه: أن العالم لو كان له صانعان لفسد نظامهُ، وذلك لو أراد أحدهُما إحياءَ جسم والآخرُ إماتَتَهُ، لأنه إما أن تَنْفُذَ إرادتهُما فتتناقض لاستحالةِ تجزُّؤِ الفعل على فرض اتفاقِهما، أو لامتناعِ اجتماعِ الضدين على فرض اختلافِهما، وإما أن لا تَنْفُذ إرادتهُما فيؤدى إلى عجزِهمَا، أو لا تَنْفُذَ إرادةُ أحدهمِا فيؤدى إلى عجزه، والإله لا يكون عاجزاً.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣١.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (وإن قلت: إنهما اثنان لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة أو مفترقين من كل جهة، فلما رأينا الخلق منتظماً والفلك جارياً واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر دل صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أن المدبر واحد..)(١).

٢. **أصل النبوة:** تأتي الآياتُ المكية لتقيمَ الدليل على صدق نبوة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ففي سورة العنكبوت المكيةِ يقول الله تعالى: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ. بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ**﴾(٢).

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن قارئاً ولا كاتباً، وذلك واقعٌ قررته تلك الآيات الكريمة فكيف يتلقى عن غيره قراءةَ أو كتابةَ أخبارِ الأولين، أوما جاء في القرآن من علم لا يتأتى لأُمِّي مثله، ولو كان قارئاً أو كاتباً لارتاب المبطلون في رسالته، فكيف يرتاب أحد فيها مع أميته.

٣. **أصل البعث:** يكفينا قولُ الحق تبارك وتعالى في سورة (يس): ﴿**أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٍ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ**﴾(٣).

وكذلك قولهُ سبحانه في سورة (ق): ﴿**وَنـزلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الحَصِيدِ. وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ. رِزْقاً لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ**﴾(٤).

---

(١) الكليني، الكافي، ١/٨١.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨-٤٩.
(٣) سورة يس، الآية: ٧٧-٨١.
(٤) سورة ق، الآية ٩-١١.

وهكذا يتهاوى ما ظنه الأعداء شبهات تعكر على القرآن، أو تشكك في كونه وحياً، وأنَّى لهم ذلك؟

بعض المؤلفات التي تتضمن المكي والمدني:

وفي عصر التابعين ظهرت مؤلفات لعلم المكي والمدني، وأصبح هذا العلم علماً مستقلاً، له مصادره الأصلية، وكان من الكتب المؤلفة فيه:

١. "تنزول القرآن" الهلالي الضحاك بن مزاحم (ت:١٠٤هـ).
٢. "تنزول القرآن" البربري عكرمة أبي عبد الله القرشي (ت:١٠٥هـ).
٣. "تنزول القرآن" البصري الحسن بن أبي الحسن (ت:١١٠هـ).
٤. "تتنزيل القرآن" الزهري محمد بن مسلم بن شهاب (ت:١٢٤هـ).
٥. "التنزيل في القرآن" الكوفي علي بن الحسن بن فضال (ت:٢٢٤هـ).
٦. "فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة" أبن الضريس البجلي أبي عبد الله محمد بن أيوب (ت:٢٩٤هـ).

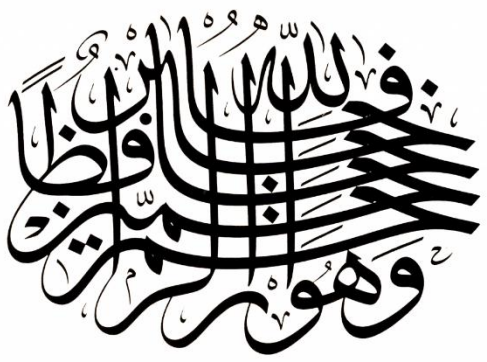

الفصل الرابع

علم أسباب النزول

علم أسباب النزول

علم أسباب النزول من علوم القرآن الكريم التأريخية المهمة والتي لا غنى للباحث المفسر لآيات الكتاب المجيد من معرفته والألمام به، فهو من الضرورات التي لابد ان تكون نصب أهتمام المتدبر لنصوص القرآن الكريم، وأكد هذا الأمر أمير المؤمنين علي عليه السلام في قوله: (ما دخل رأسي نوماً ولا غمضاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى علمت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما نزل به جبرئيل في ذلك اليوم في حلال أو حرام أو سنة أو أمر أو نهي فيما نزل فيه وفيمن نزل)[١]، وكذلك نلحظ المعنى ذاته في قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (واعلموا رحمكم الله أنه من لم يعرف من كتاب الله عز وجل الناسخ من المنسوخ والخاص من العام والمحكم من المتشابه والرخص من العزائم والمكي والمدني، وأسباب التنزيل ... فليس بعالم القرآن ولا هو من أهله)[٢].

لهذا اعتنى به علماء المسلمين قديماً وحديثاً، وقد دلَّ على مدى اهتمامهم بهذا العلم كثرة الجهود المبذولة في سبيل تدوينه، وإفرادهم له بالعديد من المؤلفات الخاصة[٣]، كذلك كان (الحضور البارز لأسباب النزول في كتب التفسير القرآني، وهو حضور يمتد في الزمان لاقترانه بتاريخ التفسير نفسه)[٤]، كما وان لأسباب النزول (تأثيرها الواضح في علوم القرآن كالعام والخاص والمطلق والمقيد وغيرها، فبامكانها تخصيص العام القرآني وتقييد مطلقه وتفصيل مجمله)[٥].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ١٩٦/٢٣.
(٢) المصدر نفسه، ٤/٩٠.
(٣) قد اورد أحد الباحثين جملة من المؤلفات الخاصة بأسباب النزول وقسمها على مستويين قديمة ومعاصرة وهو بحث ظاهره لا يعدو كونه دراسة بيوغرافيا للتوسعة ظ: عبد الستار جبر غايب، علم أسباب نزول القرآن وصيغه وطرائق معرفته وفوائده وجهود العلماء في تطوره، ص٣٤٥ – ٣٤٨.
(٤) د. بسام الجمل، أسباب النزول علماً من علوم القرآن، ص١٢.
(٥) د. فاضل مدب المجدي، أثر أسباب النزول في تفسير النصوص، ص٣٢١.

وبعد الاطلاع على بعض كتب أسباب النزول والتفسير سواء القديمة منها[١] أو الحديثة[٢] تبين للباحث أنه من المهم أن نتناول بالدراسة والبحث هذا العلم، حيث تعددت الأقاويل الخاصة بهذه القضية وتضارب آراء العلماء فيه، لأن كلاً منهم يرى تصوراً خاصاً لفروض وتصورات هذا العلم من ناحية مختلفة، حتى إنَّ الناقد البصير ليرَى في كثير مِن روايات أسباب النزول في كتب التفسير وغيرها أثرَ ما كان مِن القرون الإسلامية الثلاثة مِن خلافات سياسيَّة، ومذهبيَّة، وعنصريَّة، وفقهيَّة..[٣] ومن ثم توظيف هذه الخلافات في فهم الآية على وفق معطيات مسبقة تسلمها بعض الباحثين المعاصرين تسلم المسلمات بلا تمحيص ولا تدقيق في سبر غور علم أسباب النزول.

معلومات أساسية حول أسباب النزول:

١. لم تكن عبارة أسباب النزول معروفة في زمن الرسول ﷺ.
٢. للقرآن الكريم سبب نزول رئيس هو الهداية والإرشاد.
٣. أسباب النزول تلحظ أكثر في السور المدنية لكثرة الأحداث والأحكام الشرعية.
٤. أغلب آيات القرآن الكريم نزلت من غير سبب نزول بالمعنى المصطلحي.

(١) ظ: أسباب النزول: علي بن المديني (ت:٢٣٤هـ)، أسباب النُّزول: الواحِديّ أَبِي الحَسَن (ت:٤٦٨هـ)، العُجَاب في بيان الأسباب: ابنِ حَجَرٍ العَسقَلانِي ت:٨٥٢هـ)، لُباب النَّقُول في أسباب النُّزول: السّيُوطِيّ جَلالِ الدِّين (ت:٩١١هـ)، أسبابُ النزول: للقطب الراوندي (ت:٥٧٣هـ)، ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين ع: أبي نعيم الإصفهاني (ت:٤٣٠هـ).
(٢) ظ: أسباب النزول بين الدراية والرواية: عبد الله ابراهيم المغلاج، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول: لخالد عبد الرحمن العك، المحرر في أسباب نزول القرآن في الكتب التسعة للدكتور خالد المزيني، الصحيح من أسباب النزول: للدكتور عصام بن عبد المحسن الحميدان. أسباب النزول القرآني: للدكتور غزي عناية.
(٣) ظ: المؤلف، علم أسباب النزول – دراسة في النظرية والتطبيق –، ص٣٨.

أولاً: بيان الآيات التي لها سببُ نزول من غيرها:

لحظنا من قبل أن القرآن الكريم أنزله الله ﷻ على قلب رسول الله ﷺ مفرقاً على مدى سنوات البعثة المحمدية كلها.

ومن خلال ذلك التنزيل ندرك أن القرآن الكريم ينقسم من حيث سبب نزوله على قسمين:

١- قسم ما نزل ابتداء من غير سبق سبب نزول خاص، وهو كثير في القرآن الكريم، وذلك مثل الآيات التي اشتملت على الأحكام والآداب، التي قصد بها ابتداء هداية الخلق وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، إذ (أن الأهداف القرآنية العالية التي هي المعارف العالمية الدائمة .. لا تحتاج كثيراً أو لا تحتاج أبداً إلى أسباب النزول)[١].

٢- قسم ما نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب الخاصة، وهو موضوع فصلنا الآن، وليس من قصدنا في هذا الفصل استيعاب آيات القرآن التي نزلت لأسباب خاصة وذكر أسبابها، إنما قصدنا ذكر مباحث كلية تعين على تفسير كتاب الله ﷻ، ومعرفة القواعد والاصطلاحات في هذا الباب.

ثانياً: معنى أسباب النزول:

الأسباب لغة: جمع مفرده: سبب، والسبب لغة: كل ما يُتَوَصّل به إلى غيره، فكل شيء يتوصل به إلى الشيء فهو سبب، والأصل في استعماله: الحبل الذي، يتوصل به إلى الماء، ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء[٢]، فمن خلال هذا التعريف اللغوي للسبب نقول: سبب النزول من خلاله نتوصل إلى المعنى الصحيح

(١) محمد حسين الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص١٢٦.
(٢) ظ: ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، ١/١٣١. مادة: (سَبَب).

والدقيق للنص القرآني. ولهذا نجد أن هناك علاقة بين مدلول معنى السبب من الناحية اللغوية والاصطلاحية، لكن الدلالة اللغوية أعم وأشمل.

أما تعريف **سبب النزول اصطلاحاً:** فقد عَرَّفَه السُّيُوطيُ (ت:٩١١هـ) بانه: (ما نَزَلتْ الآية أيام وقوعه)[١]، أو بِمَعْنى أدق هو (الأمر أو الحادثة التي تعقب نُزول آية أو آيات في شخصٍ أو واقعة)[٢]. فتكون الآية أو الآيات النازلة متحدثة عنه، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه كحادثة أو سؤال.

والمعنى: أن حادثة وقعت، أو سؤالاً وجه إلى النبي ﷺ فنزل الوحي بتبيان ما يتصل بهذه الحادثة، أو بجواب هذا السؤال، وذلك مثل حادثة خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت فنزلت بسببها آيات الظهار، ومثل ما حدث بين الأوس والخزرج من خصومة، بسبب تأليب أحد اليهود العداوة بينهما، فقد نزل عقبها قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ...**﴾[٣].

وسواء أكان هذا السؤال يتعلق بأمر مضى مثل قوله تعالى: ﴿**وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً**﴾[٤]، أم يتصل بحاضر؛ مثل قوله تعالى: ﴿**وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[٥]، أم يتصل بمستقبل؛ وذلك مثل قوله تعالى: ﴿**يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ..**﴾[٦].

---

(١) الاتقان في علوم القرآن، ٩٤/١.
(٢) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٤٢/١، ظ: الزرقاني، مناهل العرفان، ٦٤/١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٠ – ١٠٣.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٨٣.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

والمراد بأيام وقوعه أن تنزل بعده مباشرة، أو بعد ذلك بقليل، مثل الآيات المتعلقة بقصة أهل الكهف وذي القرنين، فقد نزلت بعد خمسة عشر يوماً من سؤالهم النبي ﷺ، ومثل حادثة الإفك، فقد نزلت الآيات المتعلقة بذلك بعد شهر.

وهذا القيد في التعريف: يخرج الآيات التي تنزل ابتداء، بينما هي تتحدث عن قصص الأنبياء، وأحوال الأمم معهم، أو عن بعض الحوادث الماضية، كسورة الفيل مثلاً، أو تتحدث عن مستقبل كاليوم الآخر وما فيه من نعيم أو عقاب؛ فإن هذه القصص والأحداث لا تعتبر أسباب.

ثالثاً: العلاقة بين سبب النزول وشأن النزول:

قيل إن سبب النزول أخص من شأن النزول؛ لأن المراد من الشأن كلّ أمر نزل القرآن الكريم ليعالج شأنه بالشرح والبيان سواء كان أمراً مقارناً لعصر النزول أو كان سابقاً عليه، بخلاف السبب فإنه حدث مقارن لعصر النزول أدّى إلى نزول آية أو آيات، فالحدث في قصص الماضين يعتبر شأناً – وليس سبباً – لنزول الآيات التي قامت بعلاجه[١]، ومن أجل ذلك قيل: ليس لنزول جميع آيات القرآن الكريم سبب.

نعم فلو امعنا النظر في آيات القرآن الكريم نلحظ ليس لجميعها سبب لنزولها، وان (تسعة أعشار آيات المصحف ليست لها أسباب نزول)[٢].

ولكن هذا النظر والامعان في عنوانه الأولي، اما في العنوان الثانوي فان كل آيات القرآن الكريم لها سبب إذا ما علمنا ان سبب نزول القرآن الكريم جملة وتفصيلاً هو لسبب الهداية والارشاد للناس جميعاً.

(١) ظ: محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ١/٢٥٤.
(٢) د. بسام الجمل، أسباب النزول علما من علوم القرآن، ص٤٤٣.

رابعاً: طريق معرفة سبب النزول:

ان أسباب النزول مسألة ليست عقلية، بل هي سمعية، فلا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا النقل الصحيح، ولا مجال للعقل فيه إلا بالتمحيص والترجيح.

وهذا ما يُؤدّي إلى التَّصرف في الرِّواية والنَّقل، وانعكاس ذلك على مفهوم النَّص ودلالته، حَتىَّ عاد لبعض الآيات إذ لم يكن أغلبها أكثر من روِاية وأكثر من سبب نُزول.

فضلاً عن دخول الإسرائيليات إلى ساحة التَّفسيرِ، وتضلُّع رجال مِمَّن أُغرِمَ بها وتكلَّف الجمع والإحاطة في كُلِّ ما قِيْل في الآيات، فأورد بذلك الغث والسَّمين والمقبول والمردود، وقد بَانَ لنا موقف بعضهم.

قال الدهلوي (ت:١١٧٦هـ) بشأن الكلبي (ت:١٥١هـ): (وأمَّا إفراط محمد بن إسحاق الكلبي في هذا الباب، حيث أورد تحت كُلِّ آية قصة تروي، أو حكاية تذكر، فإنها لا تصح لدى المحدثين وفي أسانيدها نظر)[١].

ويقول السَّيِّد عبدالله شبر (ت:١٢٤٢هـ): (وأمَّا الرّجوع في التَّفسيرِ وأسْبابِ النُّزول إلى أمثال عِكرمة ومجاهد وعطاء وضحاك كما ملئت كتب التَّفسير بأقوالهم المرسلة، فهو مِمَّا لا يعذر فيه المسلم في أمر دينه فيما بينه وبين الله ولا تقوم به الحُجَّة...)[٢].

ويؤكد هذا المعنى أيضاً الأستاذ محمد عزة دروزة بقوله: (إنَّ هناك رواياتٍ كثيرةً في أسباب النزول ومناسباته، وقد حشرتْ في كتب التفسير التي كتبت في مختلف الأدوار، لا تثبت على النقد والتمحيص طويلاً)[٣]

---

(١) الفوز الكبير في أصول التفسير، ص١٠٨.
(٢) تفسير القرآن الكريم، ص٢٩.
(٣) التفسير الحديث، ١/١٠١.

وحتى بعد ان دونت أسباب النزول إلا انها لم تكن مدونة في كتب مستقلة وانما في بطون كتب وعلوم شتى حتى القرن الخامس الهجري، إذ استقل هذا العلم، ويُعد كتاب (أسباب النزول) للواحدي النيسابوري (ت:٤٦٨هـ) أول تأليف كامل أفرد لهذا العلم، وكان دافعه لهذا العمل هو شيوع وذيوع الأخبار الموضوعة المنسوبة لهذا العلم، والرغبة في تنقيته منها، حتى لا تتزعزع ثقة العلماء فيه، لكونه لا غنى لأحد عنه في فهم آيات الأحكام، وهذا ما أشار إليه بقوله: (فأما اليوم فكل واحد يخترع للآية سبباً ويخلق إفكاً وكذباً، ملقياً زمامه إلى الجهالة، غير مفكر في الوعيد لجاهل سبب الآية، وذاك الذي حداني إلى إملاء الكتاب الجامع للأسباب، لينتهي إليه طالبوا هذا الشأن، والمتكلمون في نزول القرآن، فيعرفوا الصدق ويستغنوا عن التمويه والكذب، ويجدوا في تحفظه بعد السماع والطلب)[١].

ومع ما قام به الواحدي من جهد كبير لم يرتق إلى مستوى الهم الذي حمله على عاتقه، وهو تأسيس علم جديد مستقل بذاته، فصنيعه يدل على عدم قدرته على تجاوز ما كتبه السابقون، فلم يستطع إلا أن يتأثر بهم وأن يغرف من معينهم، فأغلب الروايات التي ساقها في كتابه هي موجودة في كتب تفسير شتى كتفسير السدي والكلبي ومقاتل والطبري وغيرهم، وأضاف إلى ذلك مصادرأخرى، مثل كتب الحديث والتاريخ والمغازي.

ويزداد العجب عندما نجد الواحدي يذكر عِدَّة أسْبَاب لنزُول قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ وَاللهُ رءُوفٌ بِالْعِبادِ**﴾[٢]، ولم يذكرْ رواية واحدة بشأن أمير المؤمنين علي عليه السلام، مع ان هناك بعض المفسرين من مدرسة الصحابة ذكروا انها نازلة بحق الإمام علي عليه السلام[٣]، في حين ان الواحدي قد أَخذَ على نفسه

(١) أسباب النزول، ص١١٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.
(٣) ظ: الثعلبي، الكشف والبيان، ١٢٥/٢، الحاكم النيسابوري، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ١٢٣؛ الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ٢٢٣/٥، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢١/٣.

في مُقدّمة كتابه أن يذكر سبب نزول كُلّ آية؛ إذ قال: (ثم نفرغ للقول مفصلاً في سبب نزول كل آية رُوِيَ لها سبب مقول مروي منقول)[١]!!.

إذن ما رسمه الواحدي في خطبة كتابه من منهج يتتبع الروايات ويمحصها، لم يكن موفقاً في كثير منه على حد قول الحافظ ابن حجر (ت:٨٥٢هـ)، فقد وقع في أغلاط كثيرة عابها عليه غيره[٢]، إضافة لعدم استيعابه لكثير من روايات أسباب النزول[٣]، كما يعد مؤلفه متضمناً لجملة من الأغلاط المنهجية.

البعض التمس له العذر، بأنه لم يكن من فرسان هذا الميدان، بل كان لغوياً ماهراً، ولم يكن محدثاً مؤرخاً حازماً، واستدلوا على ذلك بأدلة، منها ما ذكره الذهبي عنه أنه كان بارعاً في اللغة[٤].

نعم شُحنت كتب أسباب النزول والتفسير، بأخبار ضعيفة ووقائع موضوعة، وقصص واهية، وأقوال سقيمة غير لائقة، ولأجل هذا قال أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ): (ثلاثة ليس لها أصل: التفسير، والمغازي، والملاحم)[٥]، وقال الخطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ): (ولا أعلم في التفسير كتاباً مصنفاً سلم من علة فيه أو عري من مطعن عليه)[٦].

وسبب هذا عدم التمحيص للروايات والتدقيق فيها وتمييزالصحيح والسقيم منها، قال ابن خلدون (ت:٨٠٨هـ): (وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع، لأعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف

---

(١) أسباب النزول، ص٦.
(٢) ظ: العجاب في بيان الأسباب، ٢٠٠/١.
(٣) ظ: المصدر نفسه.
(٤) ذكر ذلك عنه الذهبي حيث وصفه كان من أئمة اللغة العربية. ظ: تاريخ الإسلام، ٢٥٩/٣١.
(٥) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٤١٧/٢.
(٦) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ١٦٣/٢.

على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط، ولاسيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات، إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر، ولا بد من ردها إلى ألإصول وعرضها على القواعد)[١].

وبرهان هذا ما ورد في كثيرمن كتب التفسير من روايات في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[٢]، وخلاصتها أن هم يوسف عليه السلام بلغ منه أنه تصرف تصرفاً مريباً، وقد أورد بعض المفسرين هذه الروايات وأيدها، وصرف بعض التفسيرات المعارضة لها، ومن ذلك ما ذهب إليه البغوي (ت:٥١٠هـ) بعد أن ذكر الروايات التي ذكرنا مضمونها آنفاً، قال: (وهذا قول أكثر المتقدمين ... والقول ما قال متقدموا هذه الأمة، وهم كانوا أعلم بالله من أن يقولوا في الأنبياء من غير علم)[٣].

إلا أن المفسر فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ) تنبه لهذه الروايات فردها ونقضها، وذب عن براءة النبي يوسف عليه السلام من العمل الباطل والهم المحرم[٤]، وذلك ما فعله من ذي قبل علماء ومفسري مدرسة أهل البيت عليهم السلام في تنزيه الأنبياء عليهم السلام.

وأمثال هذه الروايات كثير في كتب التفسير، وأسباب النزول، لهذا على أهل العلم التثبت من الروايات واعمال العقل العلمي في الترجيح فيها، وسبر غورها وظروفها.

وان الطَّريق الصَّحيح لمعرفة أَسْبَاب النُّزُول هو ما كان موثق الصدور من أهل البيت عليهم السلام والصحابة، ومن أخذ عنهم من التابعين، بحيث يقطع معه من صحة

(١) مقدمة ابن خلدون، ص١٠.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٤.
(٣) معالم التنزيل، ٤١٨/٢.
(٤) ظ: تفسير مفاتيح الغيب، ٨٢/١٨.

الحادثة أو متواتراً وإلاّ يجب عرضه على القُرْآنِ الكريمِ، بحيث يكون السَّببُ (مِمَّا يرفع الإبهام عن وجه الآية تماماً، ويحلُّ مشكلة تفسيرها على الوجه الأتم، على قيد أن لا يكون مخالفاً لضرورة دين أو متنافراً مع بديهة العقل الرَّشيد. الأمر الذي يكفي بنفسه شاهد صدق على صحَّة الحديث أيَّاً كان الإسناد)[١].

وما يذكره الصحابي في باب النزول إنما يكون عن علم وجداني حصل عندهم بمشاهدة القضايا، ووقوفهم على الأسباب، فيكون إخبارهم عنها من باب الشهادة، لا من باب الرواية والحديث.

ولهذا وضعت ضوابط لقبول هذه الشهادة، كما أن القرآن الكريم كله متواتر وقطعي الصدور وهو بهذا يمتاز على أي حديث مروي؛ وعليه ان (سبب النزول الوارد حول آية من الآيات لو لم يكن متواتراً أو قطعي الصدور يجب عرضه على القرآن، مما وافقه مضمونه مضمون الآية يؤخذ به ويعمل عليه. ومعنى هذا أن الحديث هو الذي يعرض دائماً على القرآن لا القرآن يعرض على الحديث)[٢].

وهذه الطريقة تسقط أكثر أحاديث أسباب النزول عن الاعتبار، إلا أن الباقي منها يكسب كل الاعتبار والوثوق.

خامساً: أهمية معرفة أسباب النّزول عند المفسِر:

إنَّ لمعرفة أسباب النُّزُول الأثر الأكبر في توجيه معاني النَّص القُرْآني وبَيان دلالاته، إذ إنَّه اتّخذ مدخلاً أساسياً من مداخل التَّفسير القُرْآني، وهذا ما حَدَا بالواحديّ (ت:٤٦٨هـ) إلى أن يتشدد في امتناع فهم الآية إلاّ بمعرفة سبب نزولها،

(١) محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ١/١٠٤.
(٢) محمد حسين الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص١٢٦.

فقال: (... لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نُزُولها)[١]، فهي بذلك (طَّريقَ قوي في فَهْمِ معاني القُرْآن)[٢].

لهذا نجد المفسرين يصدرونها ويقدمونها فيجعلونها في أول شيء يذكر في دراسة النص القرآني وذلك بعد ذكرهم لمناسبة النص لما قبله وبعده. وإن علم أسباب النزول علم مستقل ومتكامل له نظريته وتطبيقاته ومسائله المحددة المقننة، وقد يكون سبب النزول في بعض الأحيان تفسيراً بحد ذاته.

ولولا هذا العلم لزلّت أقدام كثير من المفسرين في إدراك معنى كثير من آيات كتاب الله تعالى والوصول الى مراده في كلامه، وأكد الأئمة عليهم السلام على هذا الاهتمام، والاعتناء به، ومن هنا نعرف سر عناية الإمام علي عليه السلام بأمر نزول القرآن ومعرفة أسبابه ومواقعه، فقد كان يعلن دائماً عن علمه بذلك، ويصرح باطلاعه الكامل على هذا القبيل من المعارف الإسلامية، إذ قال عليه السلام: (والله ما من آية نزلت في رجل من قريش ولا في الأرض في بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل إلا أنا أعلم فيمن نزلت، وفي أي يوم وفي أي ساعة نزلت)[٣].

قال عنه ابن عطية الأندلسي (ت:٥٤٢هـ): (فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب عليه السلام)[٤].

إذن أهمية أسباب النزول ومعرفتها تكون واضحة، حيث تعد من الشروط الأساسية لمن يريد التعرف على القرآن.

ويمكن أن نرصد **أهمية العلم بأسباب النزول** في الفوائد الآتية:

---

(١) أسباب النزول، ص٨.
(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢٢/١، ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٨٨/١.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ١٨٦/١.
(٤) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، ٤١/١. ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٨/١.

أولاً: الوقوفُ على المعنى وإزالةُ الإشكال، ومثالنا هنا ان مروان بن الحكم (ت:٦٥هـ) وقع في لبس واشكال حين قرأ قوله تعالى: ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[١]، فبعث إلى ابن عباس (ت:٦٨هـ) يسأله: لأن كان كل امرئ فرح بما أوتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون! فقال ابن عباس: هذه الآية نزلت في أهل الكتاب؛ ثم تلا قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ**﴾[٢]، ثم قال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شئ فكتموه وأخبروه بغيره؛ فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه؛ فاستحمدوا بذلك إليه؛ وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ما سألهم عنه[٣].

ثانياً: استنباط الأحكام الفقهية اعتماداً على الظروف المحيطة بالنُّزول المبيَّنة بالسَّبب. مثلاً: قد يتصور أن التعبير بـ "لا جناح" في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما**﴾[٤]، يفيد أن السعي بين الصفا والمروة ليس واجباً، بينما لو لوحظ سبب نزولها لعُلم أن هذا التعبير لم يكن إلا لرفع توهم حرمته فلا يدلّ على عدم الوجوب.

ثالثاً: بيان الحكمة التي دعت الى تشريع حكم من الأحكام الشرعية. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٣) ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢٧/١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٨. توضيح سبب النزول في هذه الآية: أن العرب كانوا قد وضعوا على الصفا صنما على صورة رجل يقال له "أساف" وعلى المروة صنما على صورة امرأة يقال لها "نائلة" وكانوا يعتقدون بأنهما زنيا في الكعبة فمسخهما الله ﷻ، لكن لمّا طالت المدة عبدهما العرب جهلا وتبرّكوا بمسحهما، ثم لمّا جاء الإسلام وكسرت الأصنام زعم المسلمون أن السعي بين الصفا والمروة من بِدَع الجاهلية، فنزلت الآية لترفع هذه الشبهة عن أذهان المسلمين لا للحكم بجواز السعي. ظ: محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ٢٤٢/١.

﴿جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾[١]، فقد نزلت هذه الآية لما كانت النساء المسلمات يخرجن بالليل الى حاجاتهن، وكان المنافقون يتعرضون لهن ويؤذونهن[٢].

رابعاً: تيسيرُ الحفظ وتسهيلُ الفهم في ذهن كلِّ مَن يسمع الآية إذا عَرَف سببها.

خامساً: في نزولِ بعضِ آياتِ القرآن الكريم عند الحوادث قطعُ دعوى مَن ادَّعوا أنه أساطير الأوَّلين.

سادساً: من خلال سبب النزول ندرك مراعاة التشريع الإسلامي لمصالح العباد العامة عند معالجة الحوادث وذلك رحمة بالأمة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾[٣]، عن ابن عباس: أن نفراً من الصحابة حين أمروا بالنفقة في سبيل الله أتوا النبي ﷺ فقالوا: إنا لا ندري ما هذه النفقة التي أمرنا بها في أموالنا، فما ننفق منها؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ وكان قبل ذلك ينفق ماله حتى ما يجد ما يتصدق به ولا مالاً يأكل حتى يتصدق به[٤].

وعن يحيى: أنه بلغه أن معاذ بن جبل وثعلبة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله إن لنا أرقاء وأهلين فما ننفق من أموالنا؟ فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾[٥].

والعفو: هو ما تيسر انفاقه من حيث الوسط أو الكفاف والفضل من أموالهم، وهو المروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام[١]. فنلحظ ان التشريع الإسلامي يُريد اليسر بالناس ولا يكلفهم ما لا يطيقون من الانفاق رحمة بهم.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.
(٢) ظ: الواحدي، أسباب النزول، ص٢٤٥.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.
(٤) ظ: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٢٥٣/١.
(٥) ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٦٣/١.

سابعاً: في معرفةِ أسبابِ النُّزول إعانةٌ للدَّارس على معرفةِ التناسبِ بين بعضِ الآي والسُّور.

ثامناً: معرفة من نزلت فيه الآية بعينه، حتى لا يُبرّأ المُتهم أو يتهم البريء.

ومن ذلك لما بايع معاوية لأبنه يزيد؛ مدح مروان هذا الصنع منه فقال: سُنة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سُنة هرقل وقيصر، فقال مروان: هذا الذي أنزل الله تعالى فيه: ﴿**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا**..﴾[٢]، فبلغ ذلك عائشة فغضبت فقالت: كذب مروان والله ما هو به ولو شئت أن أسمي الذي أنزلت فيه لسميته ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروانٌ فضَضٌ[٣] من لعنة الله.[٤].

وكان كذب مروان في سبب نزول الآية الآنفة ليضعف موقف عبد الرحمن أمام الناس، قال الآلوسي (ت:١٢٧٠هـ): (وكان ذلك من فضض اللعنة إغاظة لعبد الرحمن وتنفيراً للناس عنه لئلا يلتفتوا إلى ما قاله وما قال إلا حقاً فأين يزيد الذي تجل اللعنة عنه وأين الخلافة)[٥].

تاسعاً: معرفةُ هل الآية مكيّة أو مدنيّة، ومعرفةُ مكانِ نزولها في بعض الأحيان.

عندما نعلم ان قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[٦]. نزل في أهل نجران الذين كانوا أعظم قوم من النصارى قولاً في

---

(١) ظ: الكليني، الكافي، ٢٦/٤.
(٢) سورة االاحقاف، الآية: ١٧.
(٣) ومعنى فضض: قطعة.
(٤) ظ: ابن الجوزي، زاد المسير، ١٣٨/٧، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٩٦/١٦، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٧١/٤.
(٥) تفسير روح المعاني، ٢٠/٢٦.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

عيسى بن مريم، وكانوا يجادلون النبي ﷺ فيه. فأمر بملاعنتهم، فواعدوه لغدٍ، فغدا النبي ومعه علي والحسن والحسين وفاطمة، فأبوا أن يلاعنوه وصالحوه على الجزية[١].

يتضح من أجواء الآية وما فيها من شخصيات ان نزولها كان في المدينة، فهي بهذا مدنية[٢].

سادساً: ضوابط قبول روايات أسباب النزول

بما ان أسباب النزول هي روايات لهذا يَنْبَغِي التَّثبت مِمَّا بلغنا منها وعدم التَّسليم بها دائماً، إذ إنَّ لمنع تدوين الحديث، ونَقل المعارف في ثقافة شفوية – أي النَّقل بالمعنى – كان سبباً رئيساً ان تواجه حجية أسباب النزول مشاكل عديدة والتي منها[٣]:

١. وجود الدس والتزوير فيها.
٢. وقوف الرواية على بعض الصحابة والتابعين.
٣. قلة الروايات الواردة في هذا المجال.
٤. دخول البُعد السياسي وتأثيره على أسباب النزول.
٥. ما دسه أصحاب المذاهب الباطلة والنحل الزائفة.
٦. دخول الإسرائيليات إلى ساحة التَّفسيرِ، وتضلُّع رجال مِمَّن أُغرِمَ بها وتكلَّف الجمع والإحاطة في كُلِّ ما قِيْل في الآيات.

---

(١) ظ: السيوطي، الدر المنثور، ٣٩/٢.
(٢) وعليه لا يمكن ان نجعل من آية مدنية انها نازلة في شخصية كان وفاتها في مكة! كما وظف بعضهم ذلك في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾. سورة التوبة، الآية: ١١٣. إذ ذكر أنها نزلت في أبي طالب عندما حضرته الوفاة. ظ: الواحدي، أسباب النزول، ص٣٨١، هو غير صحيح لكون السورة مدنيّة إجماعاً. ولا دليل عليه ولا يساعد عليه الاعتبار من ان وفاة أبي طالب "رضي الله عنه" على الكفر وقد ثبت عندنا أنه مات على الإيمان.
(٣) ظ: المؤلف، مناهج المفسرين، ص٨٦، نذيرالحسني، دروس في علوم القرآن، ص١٣١.

لهذا يهدي النَّظر إلى أنَّ قبول روايات أسباب النُّزول مقرونٌ **بضوابط** منها:

أوَّلاً: يُقبَل في أسباب النُّزول النَّقل، ولا يُقبَل فيها احتمالات العَقل.

ثانياً: يُقبَل في أسباب النُّزول النَّقل المقبول بميزان أهل الحديث، ولا يُقبَل فيها المردود بميزان أهل الحديث (شروط قبول الرواية من عدمها).

ثالثُاً: يُقبَل في أسباب النُّزول الواقعةُ العَيْنيَّة، ولا يُقبَل الوقائع غير المحدَّدة، وغير المعيَّنة. إذ إن (ما ذكروه من أسباب النزول كلها أو جلها نظرية بمعنى أنهم يروون غالباً الحوادث التاريخية ثم يشفعونها بما يقبل الانطباق عليها من الآيات الكريمة فيعدونها أسباب النزول وربما أدى ذلك إلى تجزئة آية واحدة أو آيات ذات سياق واحد ثم نسبة كل جزء إلى تنزيل واحد مستقل وإن أوجب ذلك اختلال نظم الآيات وبطلان سياقها وهذا أحد أسباب الوهن في نوع الروايات الواردة في أسباب النزول)[١].

رابعُاً: يُقبَل في روايات أسباب النُّزول ما صُرِّحَ فيه بالسَّببيَّة، أو احتُمِلت فيه السَّببيَّة، ولا يُقبَل خلافُهما.

خامساً: اتباع طريقة تجميع القصاصات الوثائقية من خلال معرفة القرائن المختلفة للوصول الى السبب الموضوعي العلمي من خلال العرض على الآية والمواقف وما شابه ذلك.

حجية قول التابعي في أسباب النزول:

أختلف العلماء في حجية قول التابعي على قولين:

١- لا يقبل قول قول التابعي في بيان أسباب النزول.

٢- يقبل قول التابعي في أسباب النزول لكن بشروط؛ هي:

---

(١) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٧٤/٤.

١. صحة السند.
٢. أن يكون من أئمة التفسير.
٣. أن يتقوى بمرسل آخر.

سابعاً: قواعد في أسباب النزول

من المهم في كل فن أن يتعلم المرء من أصوله ما يكون عوناً له على فهمه وتخريجه على تلك الأصول، ليكون علمه مبنياً على أسس قوية ودعائم راسخة، وقد قيل: من حُرِم الأصول حرم الوصول.

ونريد ههنا بالأصول القواعد العامة التي لابد على المنشغل بعلوم القرآن والتفسير ادراكها، ومن هذه القواعد:

أولاً: قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ونطاقها:

١. قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

إذا نزلت الآية بسبب خاص، وكان اللفظ فيها عاماً فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلا يتقيد بالمدلول القرآني في نطاق السبب الخاص للنزول أو الواقعة التي نزلت الآية بشأنها، بل يؤخذ به على عمومه، لأن سبب النزول يقوم بدور الإشارة لا التخصيص.

فمن المعلوم لو كانت الآيات النازلة بسبب النزول مفادها خاص بالسبب لفقدت الكثير من آيات القرآن الكريم تطبيقاتها، ولغدا القرآن كتاباً للماضين ولا يحمل اية رسالة للآتين، ولمات القرآن (وانقطع الحجاج به في واقعة من الوقائع التي بعد عصر التنزيل، و–هذا– لا يوافقه كتاب ولا سُنة ولا عقل سليم)[١]، لهذا تبين من هذه القاعدة ان سبب النزول الخاص لكل آية تبيّن أحكاماً عامّة وشمولية عابرة لزمان ومكان سبب النزول، وقد أكد الإمام محمد الباقر عليه السلام مضمون هذه القاعدة بقوله: (إن القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في

(١) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٥/٣٧٠.

الأقوام ماتوا ماتت الآية، لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين)[١]، وفيما يأتي أمثلة توضح هذه القاعدة، والتي منها:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ**﴾[٢]؛ فاللفظ عام، وسببها خاص؛ فسبب نزولها: ظِهار أوس بن الصامت من زوجته، وقد كان في الجاهلية إذا غضب رجل من زوجته وأراد أن يطلقها قال لها: (أنتِ عليَّ كظهر أمي)، وهذا ما يُعرف بالظِّهار، فغضب ذات يوم منها زوجها أوس بن الصامت، فظاهَرها، وكانت أول حادثة ظهار في الإسلام، فذهبت خولةُ إلى النبي ﷺ تشكو إليه ظِهار زوجها، وأنه لم يذكر طلاقاً، فقال لها النبي ﷺ: (ما أراكِ إلا قد حرُمْتِ عليه)، فأخذت تجادل النبي ﷺ وتقول: كبرت سني ودق عظمي، وان أوساً تزوجني وانا شابة، فلما علت سني يريد أن يطلقني![٣] فنزل قوله ﷻ: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾[٤]. فلا نقول: إن آيات الظهار نزلت لحل مشكلة هذا الرجل فقط، بل حكمها عام؛ لأن لفظها عام، و(العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب).

المثال الثاني: في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[٥]، ذكر ابن عباس: أن معاذاً سأل اليهود عما في التوراة من ذكر النبي ﷺ فكتموه إياه، فأنزل الله ﷻ هذه الآية[٦].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ٤٠٤/٣٥.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢.
(٣) ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٥٤١/٩.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ١-٢.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٤.
(٦) ظ: الأندلسي ابو حيان، تفسير البحر المحيط، ٦٣٣/١.

إذن كان سبب النزول هم اليهود الذين كتموا صفة النبي ﷺ في كتبهم التي بأيديهم، مما تشهد له بالرسالة والنبوة، فكتموا ذلك؛ لئلا تذهب رئاستهم، وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتُّحَف على تعظيمهم إياهم، فخشُوا – لعنهم الله – إن أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتركوهم، فكتموا ذلك إبقاءً على ما كان يحصل لهم من ذلك، وهو نزرٌ يسير، فباعوا أنفسهم بذلك، واعتاضوا عن الهُدى وإتباع الحق وتصديق الرسول والإيمان بما جاء عن الله ﷻ بذلك النَّزْر اليسير، فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة.

والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب؛ فالآية الكريمة وإن نزلت في اليهود، لكنها عامة في حق كل مَن كتم شيئاً من باب الدِّين.

المثال الثالث: في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**﴾[١]، الآية نزلت بالمدينة في شهداء أُحد؛ وذلك أن المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أُحد؛ من تبقير البطون، والمُثْلة السيئة، حتى لم يبقَ أحَد من قتلى المسلمين إلا مُثِّل به، غير حنظلة بن الراهب، فإن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان، فتركوا حنظلة لذلك، فقال المسلمون حين رأوا ذلك: لأن أظهَرَنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم، ولنُمثِّلنَّ بهم مُثلةً لم يفعلها أحَد من العرب بأحَد[٢].

والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب؛ فالآية الكريمة وإن نزلت في قول المسلمين بحق شهداء أُحد، لكنها عامة فيمن أراد القِصاص؛ فالقِصاص بالمِثل ولا زيادة عليه، والصبر والعفو خير وأبقى.

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٦.
(٢) ظ: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٦/٢١٠.

٢. نطاق قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

هذه القاعدة ليست مطلقة في كل آيات القرآن الكريم المنزلة بسبب النزول، ولا يمكن حمل الآية على عمومها وذلك في حالتين:

الحالة الأولى: أن بعض الآيات تحمل مضامين خاصة لأنها نزلت في أشخاص مُعينين بناءاً على حوادث خاصة، أي إنها نزلت لسبب معين. وعليه لا يُراد منها العموم.

الحالة الثانية: الآيات التي وقع فيها النسخ، إذ ان نسخ الآية يقضي على عمومها.

وأمثلتنا في الحالتين كالآتي:

الحالة الأولى:

١. أن يكون لفظ الآية لا يقتضي العموم كما في قوله تعالى: ﴿**وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [١]. فهذه الآية خاصة بالنبي ﷺ. إذ كان سبب نزولها ان أم شريك الدوسية (غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية) عرضت نفسها على النبي ﷺ بلا مهر وكانت جميلة فقبلها ﷺ.

فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك: فأنا تلك فسماها الله مؤمنة فقال تعالى: (**وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ**) فلما نزلت الآية قالت عائشة: ان الله يسرع لك في هواك[٢]. إذ ان الله تعالى جعل هبتها نفسها جواباً

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٠.
(٢) ظ: السيوطي، لباب النقول، ص١٦١.

للاستنكاح وهو طلب النكاح وبلا مهر وهو مضمون الهبة، ولا يمكن أطلاق الآية على سائر المسلمين لأنها من مختصات النبي الخاتم ﷺ.

٢. نزل قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[١] على النبي ﷺ وهو في بيته فخرج رسول الله ودخل إلى (المسجد والناس بين قائم وراكع، فنظر سائلاً؛ فقال: هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم خاتم من ذهب، قال: من أعطاكه؟ قال: ذلك القائم، وأومأ بيده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: على أي حال أعطاك؟ قال أعطاني وهو راكع، فكبّر النبي ﷺ..)[٢].

وعليه لا يمكن حمل الآية على عمومها وتجاهل سبب النزول وإنما الآية مرتبطة تحديداً بسبب نزولها وبداعي الشخص الذي نزلت من أجله وهو الإمام علي عليه السلام وعليه ههنا لا يمكن أطلاق قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ لأن (اطلاقها يقتضي أن نتولى أي مؤمن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، وهذا محال لأننا لو حملنا اللفظ على عمومه فإنه يؤول الى أن يكون المؤمنون جميعاً أولياء ولا نجد من سيتولاهم؛ لأنهم جميعاً يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة)[٣]، ولكن حينما قيدها سبحانه وتعالى بقوله: (**وَهُمْ رَاكِعُونَ**) دل ذلك بأن العبرة في هذه الآية بخصوص السبب، وعليه فإن الولاية تحددت بالإمام علي عليه السلام دون غيره.

الحالة الثانية: أن تكون الآية منسوخة؛ كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾[٤]. فهذه الآية الكريمة عامة في ألفاظها، وان سبب نزولها ان الأغنياء من الصحابة كانوا يأتون النبي ﷺ

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٢) الواحدي، أسباب النزول، ص١٣٤.
(٣) د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، تأريخ القرآن وعلومه، ص١٧٨.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ١٢.

فيستكثرون من السؤال عليه ﷺ وكان الواحد منهم يتناجى مع رسول الله طويلاً، ويغلبون الفقراء على المجالس حتى شق على رسول الله ﷺ طول جلوسهم ومناجاتهم، فأراد الله ﷻ أن يخفف عن نبيه فأنزل هذه الآية، وأمر بالصدقة عند المناجاة، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً، وأما أهل الميسرة فبخلوا(١).

إلا ان هذه الآية نُسخت فيما بعد بقوله تعالى: ﴿**أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾(٢)، وبهذا فإن النسخ يقضي على العموم بعد ان أباح الله تعالى لهم المناجاة دون تقديم الصدقة، ولا معنى ههنا لقاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لأنتفاء العمل بالآية الكريمة، قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

(إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي – **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ** – كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، وكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى نفذ، فنسخت بالآية الأخرى –**أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ**–)(٣).

ثانياً: قاعدة: القرآنُ نَزَلَ بإيَّاك أعني واسمعي يا جارة:

من المعلوم ان في القرآن الكريم أقسام من الخطابات سواء كانت للرسول ﷺ أو لغيره(٤). وندرج هذه القاعدة في أسباب النزول لكي لا يتوهم البعض ان كل ما نزل من القرآن مخاطباً حضرة النبي ﷺ يكون النبي هو المعني به بالضرورة.

---

(١) ظ: الواحدي، أسباب النزول، ص٢٧٦.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ١٣.
(٣) الواحدي، أسباب النزول، ص٢٧٦.
(٤) للتوسعة في هذه الخطابات ظ: د. حسن كاظم اسد ود. جاسم محمد علي، خطابات اللوم والعتاب للرسول ﷺ – سورة عبس الآية من (١–١٠) انموذجا –، ص٣٢.

وهذه القاعدة اشار إليها الإمام جعفر الصادق عليه السلام في قوله: (نزَلَ القرآنُ بإيَّاك أعني واسمعي يا جارة)[١].

وهذا مَثَلٌ يُضرَب لمَن يُخاطب شخصاً أو يتكلّم عن أمرٍ وهو يريد غيره، على سبيل الكناية أو التعريض.

وفي القرآن الكريم كثير ما يكون التنزيل مخاطباً النبي صلى الله عليه وآله ولكن المقصود به غيره، وهو ما يوضحه الإمام جعفر الصادق عليه السلام في قوله: (ما عاتبَ الله نبيّه فهو يعني به مَن قد مضى في القرآن، مثل قوله: ﴿**وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا**﴾[٢] عَنى بذلك غيره صلى الله عليه وآله)[٣].

فقوله عليه السلام: (مَن قد مضى في القرآن) أي: مضى ذِكره إشارةً أو تلويحاً وربّما نصّاً.

والأكثر أن يراد أُمّته صلى الله عليه وآله بالعتاب، ولاسيّما المؤمنون صدْر الإسلام، كانوا على قلق واضطراب في مواضعهم مع الكفّار.

ومثال ذلك أيضاً قوله تعالى مخاطباً النبي صلى الله عليه وآله: ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَّ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿**فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ، وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللهَّ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ**

(١) الكليني، الكافي، ٢/٦٣٠.
(٢) سورة الاسراء، الآية: ٧٤. في تفسيرها ينظر: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٩/١٣٤.
(٣) العياشي، تفسير العياشي، ١/١٠.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٥.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ١.

﴿إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى..﴾[٢]..

فمثل هذه الآيات وإن كانت موجه للنبي الأكرم ﷺ إلا أنَّ السبب الرئيس من نزولها هو أما أشخاص خاصين أو المعني بها عموم الناس. وهنا على أهل العلم والاختصاص التفحص والتدقيق في فهم هذه الآيات وخطاباتها الموجة للنبي ﷺ لكونها لا تنسجم مع الحيثيات العقائدية والأخلاقية للحبيب محمد ﷺ ومن ثم البحث في الأسباب الحقيقية التي دعت الى نزول هذه الآيات.

ولعل سائل يسأل ما سبب ان يكون الخطاب موجه للنبي ﷺ مع ان سبب النزول والمقصود غيره؟!

والجواب على ذلك ان الخطاب الموجه للمتلقي يكون أوقع في نفس مَن وصل إليه الخطاب مما لو كان هو المُخاطَب ابتداءً، وخصوصاً إذا كان المُخاطَب يحظى بموقعٍ متميز في نفوس المعنيين بالخطاب كما هو مقام النبي ﷺ في نفوس المسلمين، فهم يرون له مقاماً سامياً عند الله تعالى، فإذا خوطب وهو النبي الأحظى عند الله من سائر الأنبياء عليهم السلام بمثل قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ فإنَّ وقع ذلك على قلوب المؤمنين يكون بليغاً وسيدفعهم هذا الخطاب إلى التشدُّد في الحرص على عدم الوقوع في الشرك لأنَّه إذا كان وقوعه من النبي ﷺ موجباً لحبط عمله فوقوعه منهم أولى بحبط أعمالهم التي مهما تعاظمت فهي لن تضاهي معشار الصالحات من أعمال النبي الكريم ﷺ.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨٦ – ٨٨.

(٢) سورة عبس، الآية: ١–٣. ذهب اتباع مدرسة أهل البيت ع من المفسرين ان هذه الآيات لم تكن أصلاً مخاطبة للنبي ص إلا النادر منهم عن طريق بعض المرويات كالطبرسي. ظ: مجمع البيان، ١٩٧/١٠، وذهب جمهور مدرسة الصحابة الى انها كانت مخاطبة للنبي ص.

إذ من المعلوم ان قوله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ لا يعني إمكانية صدور الشرك من الرسول ﷺ فذلك مستحيل وقوعاً نظراً لعصمته فهو ليس معنيًّاً بهذا الخطاب وإنما الغرض من توجيه الخطاب إليه هو التعبير عن خطورة هذا الذنب والتأكيد على لزوم حذر المؤمنين من الوقوع فيه.

وبهذا المعنى ورد قول الإمام محمد الباقر عليه السلام: (إذا سمعتَ الله ذَكر أحداً من هذه الأمّة بخير فنحن هُم، وإذا سمعتَ الله ذكر قوماً بسوء ممّن مضى فهُم عدوّنا)[١].

لأنّ (القرآن يجري أوّله على آخِره مادامت السماوات والأرض، ولكلّ قومٍ آية يتلونها هُم منها من خير أو شرّ)[٢]،

وقال عليه السلام: (ظهْرُ القرآن الذين نزل فيهم، وبطْنُه الذين عملوا بمِثل أعمالهم)[٣].

وعليه ان الله عجل في القرآن الكريم خاطب الرسول ﷺ بعدة أنواع من الخطابات، فخطاب الله سبحانه وتعالى الموجه إلى النبي محمد ﷺ على مستويات وحيثيات واعتبارات متعددة، فبعضه يخص ذات الرسول الشريفة، وبعض يخص المسلمين، وبعض يخص به المشركين، وبعضه يخص المسلمين ولكن الخطاب موجه إلى الرسول ﷺ؛ فلأجل ذلك وجب على المفسر أن يكون موضوعياً في معرفة لمن وجه الله تعالى الخطاب من خلال معرفة استخدام الأسلوب المناسب وللشخص المعين والقرائن الدالة والتي منها سبب النزول وظروفه، فربما كان التعريض والتلويح والأسلوب غير المباشر أفضل من التصريح والأسلوب والتوجيه المباشر.

---

(١) العياشي، تفسير العياشي، ١٣/١.
(٢) المصدر نفسه، ١٠/١.
(٣) المصدر نفسه، ١١/١.

ثالثاً: قاعدة: تعدد الأسباب والنازل واحد وبالعكس:

أولاً: تعدد الأسباب والنازل واحد:

قد تعدد الأسباب الصحيحة المتكافئة التي لا نستطيع ان نرجح سبباً على سبب، فتنزل بموجبها آية واحدة، فترد روايات متعددة في سبب نزول الآية، وتذكر كل رواية سبباً صريحاً غير ما تذكره الاخرى.

ومثالنا هنا: ما يُروى في أنّ النبيَّ ﷺ سُئل مرّتين عمّن وجد مع زوجته رجلاً كيف يصنع؟

سأله عاصم بن عدي مرّة، وسأله عويمر مرّةً أُخرى، واتّفق في مرّةٍ ثالثة أنّ هلال بن أُميّة قذف امرأته عند النبيّ بشريك بن سمحاء، فكانت هذه أسباباً متعدّدة تستدعي نزول الوحي لتوضيح موقف الزوج من زوجته إذا اطّلع على خيانتها، وما إذا كان من الجائز له أن يقذفها، ويتّهمها بدون بيّنة أو لا يجوز له ذلك إلاّ ببيّنة، فإن اتّهم بدون بيّنة استحق حدّ القذف، كما هو شأن غير الزوج إذا قذف امرأةً أُخرى، ولأجل ذلك نزل قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[1]. فكان السبب متعدّداً والمُنْزَل واحد وهو آية اللعان.

وفي حالة تعدّد السبب قد يوجد فاصل زمني كبير بين أحد السببين والآخر، فيؤدّي السبب الأوّل إلى نزول الآية فعلاً، ثمّ يتجدّد نزولها حينما يوجد السبب الثاني بعد ذلك بمدّة، فيكون السبب متعدّداً والنزول متعدّداً وإن كانت الآية النازلة في المرّتين واحدة.

---

(١) سورة النور، الآية: ٦.

ويُقال: إنّ سورة الإخلاص من هذا القبيل إذ نزلت مرّتين؛ إحداهما: بمكّة جواباً للمشركين من أهلها، والأُخرى بالمدينة جواباً لأهل الكتاب الذين جاورهم النبي ﷺ بعد الهجرة[١].

قال الزرقاني: (ولا ريب أن إعمال الروايتين بهذا الجمع أولى من إعمال إحداهما وإهمال الأخرى، إذ لا مانع يمنع الأخذ بهما على ذلك الوجه. ثم لا جائز أن نردهما معاً لأنهما صحيحتان ولا تعارض بينهما، ولا جائز أيضاً أن نأخذ بواحدة ونرد الأخرى، لأن ذلك ترجيح بلا مرجح فتعين المصير إلى أن نأخذ بهما معاً، وإليه جنح النووي وسبقه إليه الخطيب فقال: لعلهما اتفق لهما ذلك في وقت واحد)[٢].

ضوابط قبول الرواية عند تعدد أسباب النزول:

من الضروري الاشارة الى الموقف الذي رسمه بعض المفسرين للتعامل مع الروايات التي تشير إلى أكثر من سبب نزول، مع الاستعانة بأمثلة تطبيقية لهذا المنهج المتمثل في الضوابط الآتية:

الضابط الأول؛ إذا كانت إحدى الروايتين صحيحة، والاخرى غير صحيحة اعتمدنا على الصحيحة.

مثاله: عن جندب قال: (قالت امرأة من قريش للنبي ﷺ: ما أرى شيطانك إلا ودعك، فنزل: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾)[٣].

وعن حفص بن سعيد القرشي قال: (حدثتني أمي عن أمها خولة، وكانت خادمة رسول الله ﷺ، أن جرواً دخل البيت، فدخل تحت السرير فمات، فمكث نبي الله ﷺ أياماً لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة ما حدث في بيتي. جبريل عليه السلام لا يأتيني؟ فقالت خولة: لو هيأت البيت وكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا شئ ثقيل فلم أزل حتى أخرجته، فإذا جرو ميت، فأخذته فألقيته خلف الجدار، فجاء

(١) ظ: محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٤٠.
(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، ص٨٧.
(٣) الواحدي، أسباب النزول، ص٣٠١.

نبي الله ﷺ ترعد لحياه، وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال: يا خولة دثريني، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾)[١].

فأهل العلم بين هاتين الروايتين يقدمون الرواية الأولى في بيان السبب لصحتها دون الرواية الثانية لأنهم يلحظون في إسناد الثانية من لا يُعرف[٢].

الضابط الثاني: إذا كانت كلتاهما صحيحة ولأحداهما مرجح اعتمدنا في بيان السبب على الراجح دون المرجوحة. كأن أن تكون إحداهما أصح من الأخرى أو أن يكون راوي إحداهما مشاهداً للقصة دون راوي الأخرى، أو ان ينسجم سبب النزول مع مضمون الآيات.

مثاله:

١. ما ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[٣]، فعن ابن مسعود قال كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم: لو سألتموه فقالوا: حدثنا عن الروح فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي ثم تلا الآية[٤].

وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل؟ فقالوا: اسألوه عن الروح فسألوه فأنزل الله تعالى الآية[٥].

فهذا الخبر الثاني يدل على أنها بمكة وأن سبب نزولها سؤال قريش إياه أما الخبر الأول فصريح في أنها نزلت بالمدينة بسبب سؤال اليهود إياه، وهو أرجح من حيث أن راوي الخبر الأول وهو ابن مسعود كان مشاهد القصة من أولها إلى آخرها كما تدل على ذلك الرواية الأولى بخلاف الخبر الثاني فإن رواية ابن عباس لا تدل

---

(١) الواحدي، أسباب النزول، ص٣٠٢.
(٢) قال ابن حجر: (قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية غريب وفي إسناده من لا يُعرف). السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٩٥/١.
(٣) سورة الاسراء، الآية: ٨٥.
(٤) ظ: الواحدي، أسباب النزول، ص٣٠١.
(٥) ظ: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ١٥٧/٣.

على أنه كان حاضر القصة، ولا ريب أن للمشاهدة قوة في التحمل وفي الأداء وفي الاستيثاق ليست لغير المشاهدة، وكذلك ان السؤال ومضمون الآية لا تتحمله ثقافة المشركين وواقع حالهم(١)، ومن هذه الأمور أعملنا الرواية الأولى وأهملنا الثانية.

٢. ان ينسجم سبب النزول مع مضمون الآيات: وهو كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾(٢)، عن الكلبي والسّدي ومقاتل وعطاء: قالوا نزلت هذه الآية في الأخنس بن شريق الثقفي، وكان رجلاً وسيماً عذب البيان يتظاهر بالإسلام وحب الرسول ﷺ، وكان كلما جلس عند النبي ﷺ أقسم بالله على إيمانه وحبه للرسول، وكان الرسول ﷺ يغدق عليه من لطفه وحبه كما هو مأمور به، ولكن هذا الشخص كان منافقاً في الباطن وإنه يضمر خلاف ما يظهر، ثمّ إنه كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيّتهم ليلاً وأهلك مواشيهم واحرق زرعهم وكان حسن العلانية سئ السريرة(٣).

وفي رواية عن ابن عباس انها نزلت في كفّار قريش بعثوا إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة، إنّا أسلمنا فابعث إلينا نفراً من علماء أصحابك يعلموننا دينك، وكان ذلك مكراً منهم فبعث إليهم رسول الله ﷺ جماعة من الدعاة؛ فساروا يريدون مكّة فنزلوا منطقة (بطن الرجيع) فدبّرت لهم مؤامرة لئيمة استشهدوا فيها(٤).

وهنا نلحظ ان سبب النزول الأول(٥) أكثر انسجاماً مع محتوى الآيات التي تصف في مضمونها شخص واحد بصفات معينة، لا حاكية عن صفات جماعة،

---

(١) إذ ان المشركين من أهل مكة لم يكن لديهم ثقافة بهذا المستوى بسبب بيئتهم وكذلك انهم لم يكونوا أهل كتاب، وكانوا لا يعتقدون بعالم غير ملموس ومشاهد؛ (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ). سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.

(٣) ظ: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ١١٩/٢، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ١٢٢/٢، وذكر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ان أسمه: (الاخنس بن شريف) ولعله خطأ مطبعي، ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤٨/٢.

(٤) ظ: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ١٨٠/١.

(٥) وهنا نخالف الرازي في اختياره للرواية الأولى، إذ يرى ان (القول الثاني: في الآية وهو اختيار أكثر المحققين من المفسرين). تفسير مفاتح الغيب، ٢١٦/٥.

وهو الواضح من الآيات التي تلتها أيضاً؛ إذ قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[١]، وعلى أي حال فالدرس الذي تقدمه الآية عام وشامل.

الضابط الثالث: إذا استوت الروايتان في الصحة ولا مرجح لأحداهما على الأخرى وأمكن الاخذ بهما معاً، اخذنا بهما معاً وحكمنا بنزول الآية عقب حصول السببين كليهما. فحكم هذه الصورة أن نحمل الأمر على تعدد السبب لأنه الظاهر ولا مانع يمنعه.

مثاله: ما تقدم من أسباب نزول آية اللعان إذ توافق ان سأل عاصم بن عدي مرّة، وسأل عويمر مرّةً أُخرى، واتّفق في مرّةٍ ثالثة أنّ هلال بن أُميّة سأل النبي ﷺ أيضاً فنزل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٢].

الضابط الرابع: إذا استوت الروايتان في الصحة ولا مرجح ولا يمكن الاخذ بهما معاً، حكمنا بنزول الآية عقب كل سبب منهما، أي بتكرار نزولها.

مثاله: ما رُوي عن ابي هريرة: أن النبي ﷺ وقف على حمزة حين استُشهد وقد مُثِّل به، فقال: (لأمثِّلنَّ بسبعين منهم مكانك)، فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بخواتيم سورة النحل، قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[٣]... إلى آخر السورة، فهذا يدل على نزولها يوم أُحد.

وفي رواية أخرى عن أُبي بن كعب قال: لما كان يوم أُحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً ومن المهاجرين ستة فيهم حمزة فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لأن

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥-٢٠٦.
(٢) سورة النور، الآية: ٦.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربين عليهم، قال: فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[١].

والسورة مكية، فجمع بين ذلك، بأنها نزلت بمكة قبل الهجرة مع السورة، ثم بأُحد، ثم يوم الفتح، ولا مانع من ذلك لما فيه من التذكير بنعمة الله على عباده واستحضار شريعته، فخواتيم سورة النحل التي معنا مثلاً نلاحظ أن الحكمة في تكرارها هي تنبيه الله لعباده أن يحرصوا على العمل بما احتوته من الإرشادات السامية في تحري العدالة وضبط النفس عند الغضب ومراقبة الخالق حتى في القصاص من الخلق والتدرع بالصبر والثبات والاعتماد على الله ﷻ والثقة بتأييده ونصره لكل من اتقاه وأحسن في عمله جعلنا الله منهم أجمعين آمين.

أضف إلى هذه الحكمة ما ذكره الزركشي في قوله: (وقد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشانه، وتذكيراً عند حدوث سببه خوف نسيانه، كما قيل في الفاتحة، نزلت مرتين: مرة بمكة، وأخرى بالمدينة)[٢].

ثانياً: تعدد النازل والسبب واحد:

وكما يتعدّد السبب والنزول واحد كذلك قد يتّفق كون السبب واحداً لآيات متفرّقة.

فقد روي أنّ أمّ سلمة قالت للنبي ﷺ[٣]: يا رسول الله! لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فنزل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[٤].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٦.
(٢) ظ: البرهان في علوم القرآن، ٢٩/١.
(٣) ظ: الواحدي، أسباب النزول، ص٩٣.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥. وذهب بعض أهل العلم من مدرسة أهل البيت عليهم السلام انها نزلت: (في علي عليه السلام لما هاجر ومعه الفواطم – فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت محمد ﷺ وفاطمة بنت الزبير – ثم لحق بهم في ضجنان أم أيمن ونفر من ضعفاء المؤمنين – فساروا وهم يذكرون الله

وكذلك عن مجاهد عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله ما يذكر النساء فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ..﴾[١]، إلى آخر الآية[٢].

فهاتان آيتان متفرّقتان نزلتا بسبب واحد ادرجت إحداهما في سورة آل عمران، والاخرى في سورة الأحزاب، وبذلك كان السبب في النزول واحداً وهو حديث أمّ سلمة مع النبيّ ﷺ والمُنزل متعدد.

رابعاً: قاعدة: تُرجح أسباب النزول عند اختلاف الآراء

إذا صح سبب النزول الصريح فإنه يعتبر دليلاً مرجحاً إذا صح سبب النزول ما وافقه من أوجه التفسير، وقد مر من قبل أن المفسرين قرروا أن من أهم فوائد معرفة أسباب النزول، أنها تعين على فهم الآية على وجه صحيح، والغفلة عنها توصل صاحبها إلى الخروج عن مقصود الآيات.

فإذا تنازع المفسرون في تفسيرهم لآية من القرآن فتعددت آراؤهم فيها، فأولى هذه الأقوال في تفسير الآية ما وافق سبب نزولها الصحيح الصريح في السببية، وهذه قاعدة يُعتَمدُ عليها في ترجيح الأقوال بين المفسرين والعلماء.

في جميع أحوالهم حتى لحقوا بالنبي ﷺ وقد نزلت الآيات: (**فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا**...). ظ: القمي، تفسير القمي، ١٢٩/١، الطوسي، الأمالي، ص٤٧١، الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ٤١٠/١، إلا ان السيد محمد حسين الطباطبائي لم يعتد بجميع أسباب النزول الوارد في المدرستين، وقال: (فهذه جميعا روايات تطبق الآيات على القصص وليست بأسباب للنزول حقيقة). الميزان في تفسير القرآن، ٩١/٤. وبالجملة ههنا نوافق العلامة الطباطبائي في رأيه مع مخالفته للمشهور عند أهل التفسير وأدرجنا في المتن على سبيل الدرس وعلى أمل التحقيق مستقبلاً ان شاء الله تعالى.

(١) سورة الاحزاب، الآية: ٣٥.

(٢) ظ: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٩/٨. ولقد رويت بضع روايات في مناسبة نزول الآية اختلفت فيها الأسماء والكيفيات واتفقت الغاية وهي تساؤل بعض المسلمات عن سبب اختصاص القرآن الرجال بالذكر والتنويه. أو مراجعة بعضهن النبي ﷺ في ذلك وممن ذكرت الروايات أسماءهن أم سلمة أم المؤمنين وأسماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبي طالب وأم عمارة الأنصارية. ظ: محمد عزة دروزة، التفسير الحديث، ٣٨٤/٧.

ونكتفي هاهنا على مثال واحد وهو في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١].

اختلفت آراء المفسرين في تحديد وتفسير (البيوت) من هذه الآية على ثلاثة آراء سنذكرها، ثم نرجح الرأي المناسب لسبب النزول مع بيانه.

الرأي الأول: المراد بالبيوت في الآية هنا: المنازل المعروفة، وإتيانها بمعنى المجيء إليها ودخولها وهذا القول محمول على الحقيقة.

الرأي الثاني: المراد البيوت النساء، أمرنا الله بإتيانهن من القُبل لا من الدبر. وسمي النساء بيوتاً للإيواء إليهن، كالإيواء إلى البيوت، وهذا التفسير محمول على المجاز.

الرأي الثالث: أنها مَثَل، فيصبح المعنى: ليس البر أن تسألوا الجهال ولكن اتقوا الله واسألوا العلماء، فهذا كما يقال أتيت هذا الأمر من بابه. فأمر الله الناس أن يأتوا الأمور من وجوهها، وقيل غير ذلك.

وأُولى هذه الآراء بالصواب والصحة هو الرأي الأول، فقد صح في سبب نزول الآية عن البراء بن عازب قال: (نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاؤوا، لم يدخلوا من قِبَل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قِبَل بابه، فكأنه غير ذلك، فنزلت هذه الآية)[٢].

ورجح هذا الرأي حسب القاعدة المذكورة مجموعة من المفسرين والعلماء[٣].

بكلمة.. أن اهتمام العلماء والباحثين بهذا الفن كان نتيجة لأهميته البالغة، ودوره الحاسم في تحديد تاريخ النزول، ومن ثم معرفة الناسخ والمنسوخ، ومعرفة المكي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.
(٢) ظ: الواحدي، أسباب النزول، ص٣٢.
(٣) منهم: ابن عطية، المحرر الوجيز، ٩٩/٤ – ١٢٢، أبو حيان، بالبحر المحيط، ١٤/٤، محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٤٩/٢.

والمدني، وحيثيات النزول بأكملها، وهذا الإقناع جعل البحث يتجه إلى أسباب النزول، والعمل على تدوين كل الروايات المنسوبة له، فبقدر معرفة الفقيه لهذه الأسباب بقدر ما تكامل عنده الوعي بالآية، وهذا أمر في غاية الأهمية.

أهم المصنفات في أسباب النزول:

١) أسباب النُّزول: الواحِدِيّ أَبِي الحَسَن (ت:٤٦٨هـ).
٢) العُجَاب في بيان الأسباب: ابنِ حَجَرٍ العَسقَلانِي (ت:٨٥٢هـ).
٣) لُباب النُّقول في أسباب النُّزول: السّيُوطيّ جَلالِ الدِّين (ت:٩١١هـ).
٤) أسباب النزول: للقطب الراوندي (ت:٥٧٣هـ).
٥) ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين عليه السلام: أبي نعيم الإصفهاني (ت:٤٣٠هـ).

الفصل الخامس

علم جمع القرآن الكريم

علم جمع القرآن وتأليفه

في هذا العلم يرى جمع كبير من العلماء أن النبي الخاتم ﷺ انتقل الى الرفيق الأعلى ولم يجمع القرآن، ويرى بعضهم الآخر ان الجمع كان في عهد النبي ﷺ، إلا ان الغالبية العظمى يرون أن جمع القرآن الكريم قد تم في العهود التي تلت عهده ﷺ، وسبب هذا الاختلاف في الآراء مرجعها الاضطراب في الروايات.

وقد شغلت هذه الروايات هموم الباحثين سرداً وتقصياً وتحليلاً فأخذت مأخذاً كبيراً في بحوثهم فكانت ثقلاً في الوصول الى نتيجة حتمية يطمئن لها القارئ، يقول أحد الباحثين: (نتيجة لدراستي لهذه الروايات دراسة عميقة، فقد تحصل لدي تسعاً (هكذا) وأربعين رواية من غير المكرر منها، وما عدا ما تفرع منها من أسانيد..)[١]، ويقول باحث آخر: (إن روايات جمع القرآن الكريم بمعنى تدوينه أسفرت عن نتائج متعارضة)[٢].

وبسبب هذه الروايات التي أدرجت في بعض كتب المسلمين في علوم القرآن كانت باب الطعن بالقرآن الكريم مفتوحة للمبشرين والمستشرقين والحاقدين على الإسلام من نفوس حاقدة، كما وأضافت اليها ما يخدم اجنداتها وخيالهم الواهم، وقد كان للاستشراق قصب السبق في تأسيس الطعن بالقرآن الكريم ونبوة النبي الخاتم ﷺ وزرع بذوره في المحافل العلمية والمؤلفات قبال تخلف الحركة العلمية العربية والإسلامية عند مطلع القرن السادس عشر[٣] ومثالنا هنا المستشرق الألماني نولدكه (ت:١٩٣٠م) الذي عنون في كتابه (تاريخ القرآن) فصلاً بعنوان: (ما لا يتضمنه القرآن مما أُوحي إلى محمد)[٤]، ومنه أخذت دائرة المعارف الإسلامية أولى تدويناتها

(١) د. أكرم عبد خليفة الدليمي، جمع القرآن: دراسة تحليلية لمروياته، ص٣٤٢.
(٢) د. هدى علي عباس الخالدي، حقيقة القرآن من القرآن، ص١٣٠.
(٣) للتوسعة: ظ: د. عبد الجبار ناجي، سر اهتمام المستشرقين الواسع بعملية جمع القرآن الكريم، ص ١٦.
(٤) تاريخ القرآن، ص٢١٠.

عن القرآن الكريم وذلك في طبعتها عام ١٩٢٩م تحت عنوان: (موجزات استشراقية)[١].

والغريب أنَّ هذه الافتراءات الآثمة تناقلها الناس حتى أصبحت تُدرس في مقررات دراسية، وهذا شيء مؤسف أن تدرس مثل هذه الافتراءات في مدارس حديثة وجامعات عصرية؛ وعلى سبيل المثال فقد قام الدكتور محمد بن عبد القادر برادة بمراجعة حوالي (١٦٨) كتاباً مدرسياً في إسبانيا، فوجدها كلها مليئة بالمغالطات لتشويه سمعة العرب والمسلمين[٢].

ويصدق فيهم قول الشاعر[٣]:

ما يضير البحر أمسى زاخراً أن رمى فيه غلامٌ بحجر؟!

وقد غفلوا أن الله تعالى قد حفظ قرآنه الكريم، وعصم نبيه الحكيم من الكذب قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[٤]. ولو أنهم وقفوا من هذا الأمرِ موقفَ المنصف لرأوا أن تلك الشبه المزعومة أضعف من بيت العنكبوت لو كانوا يعقلون.

ولكن الأغرب ان الذي مهد لهذه الافتراءات والمغالطات بعض من ألف في علوم القرآن من علماء المسلمين فكانوا عوناً لهم (بما ذكروه في كتبهم بحسن نية وأوردوا في رواياتهم، مع إمكان تأويلها بما يتفق والحق)[٥].

---

(١) وقد كان نولدكه (الذي كتب مادة القرآن في تلك الطبعة) كما وصفه المستشرق السويسري ستيفان فيلد Stefan Vild أجهل علماء عصره وأشدهم عداوة للإسلام. ظ: ثابت عيد، الإسلام في عيون السويسريين، ص٢١٨.
(٢) ظ: د. عبد القادر براده، دراسات إسبانية للسيرة النبوية، ص٣٤.
(٣) البيت للأخطل كما في ديوانه، ص٤٠٧.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ٩.
(٥) د. عبد المجيد مطلوب، مباحث في علوم القرآن والحديث، ص١٠٠.

وسنحاول في هذا الفصل – ان شاء الله تعالى – بيان رعاية وأهتمام النبي الخاتم ﷺ ومن بعده في تدوين وجمع القرآن المجيد، ولهذه الأهمية يُعد جمع القرآن بمعنى حفظه هو أول علم نشأ من علوم القرآن الكريم التاريخية.

أولاً: كتابة الوحي:

لا ريب في أن النبي ﷺ حرص على تدوين الوحي، فاشتهر العشرات من أصحابه بأنهم من كتاب الوحي في حياة رسول الله ﷺ، وقد عدّ بعضهم ثلاثة وأربعين كاتباً ممن شاركوا في كتابة الوحي. وهذا يدل على شدة اهتمام الرسول ﷺ بأمر الكتابة والتدوين، نظراً لأهمية القرآن الكريم وضرورة الدقة في الحفاظ عليه بكل ما فيه من خصوصيات(١).

ثانياً: جمع القرآن في اللغة والاصطلاح:

الجمع في **اللغة:** جمع الشئ عن تفرقة يجمعه جمعاً وجمعه واجمعه، فأجتمع، واستجمع السيل: أي اجمتمع من كل موضع، وأمر جامع يجمع الناس، وفي القرآن قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوه**﴾(٢).

وكما جاء في قول النبي ﷺ: (أوتيت جوامع الكلم)(٣)، ومنه الحديث في صفته ﷺ إنه كان يتكلم بجوامع الكلم: أي إنه كان كثير المعاني قليل الألفاظ(٤).

قال الجوهري(ت:٣٩٣هـ): (أجمعتُ الشيءَ: جعلته جميعاً، والمجموع: الذي جُمِعَ من هاهنا وهنا وإن لم يجعل كالشيء الواحد)(٥).

---

(١) للتوسعة ظ: المؤلف، علم جمع القرآن الكريم –دراسة في معاني جمع القرآن–، ص٤٧٩، د. أكرم عبد خليفة الدليمي، جمع القرآن دراسة تحليلية لمروياته، ص٣٨.
(٢) سورة النور، الآية: ٦٢.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٧٤/٧٠.
(٤) ظ: ابن منظور، لسان العرب، ٤٩٨/١.
(٥) الصحاح، ١١٩٩/٣.

إذن نلحظ في هذه المعاني أن اشتقاق كلمة "جَمَع" تدل على الجمع والاجتماع والتأليف، وضم المتفرق فجمع الشيء استقصاؤه والإحاطة به.

الجمع في **الاصطلاح:** جمع القرآن الكريم يطلق في علوم القرآن على معنيين:

أحدهما: جمعه بمعنى حفظه في الصدور عن ظهر قلب، ويدل له قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[١]، أي: جمعه في صدرك، وإثبات قراءته في لسانك.

الثاني: كتابته كله حروفاً وكلمات وآيات وسوراً، فهذا جمع في الصحائف والسطور، وذاك جمع في القلوب والصدور.

ثالثاً: معنى جمع القرآن الكريم:

ان الجمع قد يستعمل بمعانٍ متعددة – كما تقدم –، وهذا من شأنه أن يوقع الباحث في الاشتباه مما يستوجب الدقة، ومن تلك المعاني:

المعنى الأول: الجمع بمعنى حفظ الجميع، أي الجمع في الصدر.

وقد فسّر البعض الأحاديث الواردة في أنّ بعض الصحابة جمع القرآن في عهد رسول الله بأنّهم قد حفظوه، مثل ما روي عن عبد الله بن عمرو انّه قال: (جمعتُ القرآن فقرأت به كل ليلة، فبلغ النبي ﷺ فقال: اقرأه في كل شهر..)[٢].

وكذلك ما أخرجه ابن أبي داوود قال: (حدثنا شعبة عن قتادة قال: سمعت أنساً يقول جُمع القرآن على عهد رسول الله (ﷺ) أربعة أبي بن كعب ومعاذ وزيد بن ثابت وأبو زيد قال: قلت لأنس ما أبو زيد قال: أحد عمومتي)[٣].

---

(١) سورة القيامة، الآية: ١٧.
(٢) احمد بن حنبل، مسند أحمد، ١٦٣/٢.
(٣) ابو داوود، مسند أبي داوود، ص٢٧٠، ظ: الزرقاني، مناهل العرفان، ٤٤٤/١.

ويبدو أنّ هناك عدداً من الصحابة كانوا يحفظون القرآن الكريم، وفي مقدّمتهم الإمام علي عليه السلام كما اشارت إليه مجموعة من النصوص[١].

دواع حفظ القرآن الكريم في الصدور:

هناك مجموعة من الدوافع التي شجعت المسلمين الأوائل لحفظ القرآن الكريم في صدورهم، منها[٢]:

١. **بلاغة القرآن:** فقد كانت العرب تهتم بحفظ الكلام البليغ، ولذلك فهم يحفظون أشعار الجاهلية وخطبها، فكيف بالقرآن الذي تحدى ببلاغته كل بليغ، وأخرس بفصاحته كل خطيب لسن، وقد كانت العرب بأجمعهم متوجهين إليه، سواء في ذلك مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمن يحفظه لإيمانه، والكافر يتحفظ به لأنه يتمنى معارضته، وإبطال حجته.

٢. **إظهار النبي صلى الله عليه وآله رغبته بحفظ القرآن،** والاحتفاظ به: وكانت السيطرة والسلطة له خاصة، والعادة تقضي بأن الزعيم إذا أظهر رغبته بحفظ كتاب أو بقراءته فإن ذلك الكتاب يكون رائجاً بين جميع الرعية، الذين يطلبون رضاه لدين أو دنيا.

٣. **إن حفظ القرآن سبب لارتفاع شأن الحافظ بين الناس،** وتعظيمه عندهم: فقد علم كل مطلع على التاريخ ما للقراء والحفاظ من المنزلة الكبيرة، والمقام الرفيع بين الناس، وهذا أقوى سبب لاهتمام الناس بحفظ القرآن جملة، أو بحفظ القدر الميسور منه.

---

(١) ظ: الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٥٤، محمد علي الأشيقر، لمحات من تاريخ القرآن، ص١١٥-١١٨.

(٢) ظ: رياض الحكيم، علوم القرآن -دروس منهجية-، ص٢١٦، د. السيد عبد السلام محمد حسين، دراسات قرآنية، ص٣٣، موسى ابراهيم الإبراهيم، بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، ص٤٦.

٤. الأجر والثواب الذي يستحقه القارئ والحافظ بقراءة القرآن وحفظه: هذه أهم العوامل التي تبعث على حفظ القرآن والاحتفاظ به، وقد كان المسلمون يهتمون بشأن القرآن، ويحتفظون به أكثر من اهتمامهم بأنفسهم، وبما يهمهم من مال وأولاد.

المعنى الثاني: الجمع بمعنى التدوين:

وقد دلّت النصوص والشواهد التاريخية على كتابة القرآن الكريم بمجموعه في عهد رسول الله ﷺ، وأنّه ﷺ كان يكلّف بعض الصحابة بكتابة القرآن حتى عُرفوا بكتّاب الوحي، ولا تميّز لبعض الآيات دون غيرها لتختص بالكتابة، كما أشارت مجموعة من النصوص الى ذلك، والتي منها:

١. عن زيد بن ثابت، قال: (كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع)[١]، قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وفيه الدليل الواضح انّ القرآن انّما جُمع على عهد رسول الله (ﷺ))[٢]، وقال البيهقي: (يشبه أن يكون انّ المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرّقة وجمعها فيه بإشارة النبي (ﷺ))[٣]. ويصح أن يستفاد من الحديث أنه كان يكتب ما ينزل به الوحي في رقاع منفردة ثم تنقل هذه الرقاع إلى صحف معدة كالسجل فتلحق فصولها ببعضها وفق ما كان يشير به النبي ﷺ.

٢. أخرج أحمد بن حنبل حديثاً عن عمر قال: (ما سألت رسول الله (ﷺ) عن شئ أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بإصبعه في صدري وقال تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء)[٤]. وهذا يفيد أن سورة النساء كانت مرتبة على

(١) احمد بن حنبل، مسند أحمد، ١٨٥/٥، الترمذي، سنن الترمذي، ٣٩٠/٥.
(٢) المستدرك، ٢٢٩/٢.
(٣) نقلاً عن: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢٥٦/١.
(٤) احمد بن حنبل، مسند احمد، ٢٦/١.

ما هو عليه في المصحف المتداول في حياة النبي ﷺ ولو لم يكن ترتيبها بتوقيف النبي وإشارته لوضعت الآية المذكورة في مكان أكثر مناسبة من السورة.

٣. عن السيدة فاطمة عليها السلام قالت: (أَسر إلي رسول الله ﷺ: إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين)[١]. كان النبي ﷺ يدارس جبريل القرآن الكريم في شهر رمضان من كل عام، ودارسه القرآن مرتين في سنته الأخيرة التي توفي فيها، وهذا يؤكد لنا شدة عناية النبي ﷺ بمدارسة القرآن الكريم، وفي هذا أن العناية بالقرآن كانت قضية محورية ومركزية في حياة النبي ﷺ، ولم تكن قضية هامشية أو قليلة الأهمية أو الأولوية، كما يزعم بعض المستشرقين وأذنابهم.

٤. كان الصحابة يحفظون من القرآن الكريم، ومنهم من يحفظ القرآن كاملاً، ويعرفون بأسم القُراء، ومما يدل على كثرتهم أنه قُتل منهم في بعض المعارك أكثر من ٧٠ حافظاً في معركة واحدة!![٢].

٥. كان النبي ﷺ قد خصص له مجموعة من الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن الكريم. وعرف هؤلاء الصحابة باسم كتبة الوحي وأقل عدد لهم أورده المحققون هو ١٣ رجلاً.

وكان النبي ﷺ يشرف عليهم ويأمرهم بضم الآيات في السورة الواحدة لبعضها البعض مع ترتيب الآيات في السور، فعن عثمان بن أَبِي العاص، قال: كنت عند رسول الله ﷺ جالساً، إذ شخص ببصره ثم صوبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض، قال: ثم شخص ببصره فقال: (أتاني جبريل عليه السلام فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا

---

(١) المصدر نفسه، ٢٨٢/٦.
(٢) احمد بن حنبل، مسند احمد، ٢١٠/٣.

الموضع من هذه السورة: ﴿انَّ اللهَّ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١])[٢].

٦. في آخر سنة من حياة النبي ﷺ دارس النبي جبريل القرآن مرتين، وبعدها قام النبي ﷺ بمدارسة بعض الصحابة من كتبة الوحي القرآن الكريم كله، وسميت هذه المدارسة بالعرضة الأخيرة.

يقول القسطلاني (ت:٩٢٣هـ) شهاب الدين: (وقد كان القرآن كله مكتوباً في عهده – ﷺ –، لكن غير مجموع في موضع واحد، ولا مرتب السور)[٣]، وذلك بسبب تنوع المادة التي كتب عليها القرآن الكريم بحسب مقدرات ذاك العصر، –كما سيأتي ذكرها –.

وقد أيد هذا الاتجاه جماعة من العلماء نذكر منهم القاضي أبو بكر (ت:٢٩٧هـ)[٤]، والبلخي (ت:٤٨٥هـ)[٥]، ومن المعاصرين مناع القطان إذ قال: (قد عرفنا أن القرآن كان مكتوباً من قبل في عهد النبي (ﷺ) ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسيب)[٦] والسيد الخوئي الذي عقد صفحات يثبت هذا المعنى من جمع القرآن الكريم[٧].

وهكذا يتبين لنا أن القرآن الكريم في زمن النبي ﷺ جمعته صدور الصحابة، وجمع مكتوباً كله ولكن ليس على شكل كتاب، وهذا من حفظ الله لكتابه الخاتم، وهذا ما تميز به القرآن على سائر الكتب أنه جُمع في حياة النبي ﷺ، في الصدور

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.
(٢) احمد بن حنبل، مسند أحمد، ٢١٨/٤.
(٣) إرشاد الساري في شرح البخاري، ٢٦٠/١١.
(٤) ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٦٢/١.
(٥) ظ: ابن طاووس، سعد السعود، ص١٩٧.
(٦) مباحث في علوم القرآن، ص٧٤.
(٧) ظ: البيان في تفسير القرآن، ص٢٣٨.

والسطور، بخلاف غيره من الكتب التي لم تدون إلا بعد قرون متطاولة، أو لم يتسن حفظها من قبل صدور المؤمنين به، ولذلك طالها التحريف والتبديل والضياع.

ويُشار إلى أنّ القرآن كُتب في زمن النبيّ ﷺ بأدوات الكتابة اليسيرة التي توفّرت آنذاك، التي منها:

- **الرِقاع:** ومفردها رقعةٌ؛ وهي من الجلد، وقِيل من غيره، كالقماش، أو الورق، وهي أغلب أدوات الكتابة.
- **الأكتاف:** ومفردها كتف؛ وهي العِظام العريضة التي تكون من أصل كَتِف الحيوانات.
- **العُسب:** ومفردها عسيب؛ وهي جرائد النخيل، كانت تُكشَط ثمّ يُكتب على المنطقة الواسعة منها.
- **اللخاف:** ومفردها لخفة؛ وهي صفائح من الحجارة.
- **الأقتاب:** ومفردها قتب؛ وهي قِطعٌ خشبيّةٌ تُوضَع على ظهر البعير الذي يركب الإنسان عليه.

السبب الباعث على كتابته في عهد النبي ﷺ:

١. معاضدة المكتوب للمحفوظ لتتوفر للقرآن كل عوامل الحفظ والبقاء، ولذا كان المعول عليه عند الجمع الحفظ والكتابة.
٢. تبليغ الوحي على الوجه الأكمل؛ لأن الاعتماد على حفظ الصحابة فحسب غير كاف؛ لأنهم عرضة للنسيان أو الموت، أما الكتابة فباقية لا تزول.

إذن إنّ كتابة القرآن في عهد النبي ﷺ أمر ضروري وواضح؛ لأنّ القرآن الكريم معجزة الإسلام ووثيقته والشاهد على صدقه، وإنّ أي إهمال لهذه المسألة المهمة والخطيرة، لا يتناسب ومقام رسول الله ﷺ، ولا نجد مسوغاً لأن يترك النبي ﷺ هذه المسؤولية الكبيرة إلى الآخرين. زيادة الى ذلك فإنّ الاعتماد على حفظ

القرآن في الصدور لا يؤدي إلى حصول الاطمئنان ببقاء هذا الكتاب السماوي سليماً من التحريف بسبب النسيان في الأقل. من هنا فقد اختار النبي ﷺ بعض الصحابة بغية تثبيت القرآن، وكان هو بنفسه يُشرف على أعمالهم.

المعنى الثالث: الجمع بمعنى حفظه (مكتوباً) من الضياع:

وذلك بجمع الآيات في داخل السور، فقد ورد لدينا الكثير من الأحاديث والروايات تشير الى أن هذه العملية تمت في زمن الرسول ﷺ. إذ ان من المعلوم ان جمع الآيات داخل السورة الواحدة في زمن الرسول ﷺ هو أمر توقيفي كما تبين.

والأدلة على جمع القرآن وكتابته في الصحف كثيرة، منها ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: (إن رسول الله ﷺ قال لعلي: يا علي القرآن خلف فراشي في المصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه)[١].

وما ذكره السيوطي بقوله: (وقد كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور)[٢].

وبعد عرض أدلة جمع القرآن في زمن رسول الله ﷺ وأهتمامه به، يقول السيد الخوئي: (ومع هذا الاهتمام كله كيف يمكن أن يقال: إن جمع القرآن قد تأخر إلى زمان خلافة أبي بكر!)[٣].

وهكذا يتبين لنا أن القرآن الكريم في زمن النبي ﷺ جمعته صدور الصحابة، وجمع مكتوباً كله ولكن ليس على شكل كتاب، وهذا من حفظ الله لكتابه الخاتم، وهذا ما تميز به القرآن الكريم على سائر الكتب أنه جُمع في حياة النبي ﷺ، في

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ٤٨/٨٩، هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ٨٦٦/٥.
(٢) الإتقان في علوم القرآن، ١٦٠/١.
(٣) البيان في تفسير القرآن، ص٢٥٥.

الصدور والسطور، بخلاف غيره من الكتب التي لم تدون إلا بعد قرون متطاولة، أو لم يتسن حفظها من قبل صدور المؤمنين به، ولذلك طالها التحريف والتبديل والضياع.

المعنى الرابع: الجمع ضمن مصحف واحد:

جمعت ورتبت آيات القرآن الكريم داخل السور في زمن الرسول ﷺ إلا أن ترتيب السور وجمعها في مصحف واحد هنا اختلف العلماء الى اتجاهين:

الاتجاه الأول: ان جمع السور في مصحف واحد حصل بعد رحيل الرسول ﷺ الى الرفيق الأعلى:

وهذا الاتجاه أيضاً منقسم على فريقين:

الفريق الأول: يرى ان الجمع كان على يد الإمام علي عليه السلام: وفي ذلك نصوص دالة على ان الإمام علي عليه السلام أول من جمع السور في مصحف واحد ومنها:

ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (ت:١٤٨هـ) انه قال: (إنّ رسول الله ﷺ قال لعلي: يا علي، القرآن خلف فراشي في المصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة، فانطلق علي فجمعه في ثوب أصفر، ثمّ ختم عليه في بيته، وقال: لا ارتدي حتى أجمعه، وإن كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه..)[١].

وروى المتقي الهندي (ت:٩٧٥هـ) عن محمد بن سيرين قال: (لمّا توفي النبي (ﷺ)، أقسم علي أن لا يرتدي برداء إلاّ الجمعة، حتى يجمع القرآن في مصحف، ففعل)[٢]، وقال ابن النديم (ت:٣٨٠هـ): (ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلى حمزة

(١) ظ: القمي، تفسير القمي، ص٧٤٥.
(٢) كنز العمال، ١٢٧/١٣.

الحسني رحمه الله مصحفاً قد سقط منه أوراق بخط علي بن أبي طالب، يتوارثه بنو حسن)[١].

وقال ابن شهرآشوب (ت:٥٨٨هـ): (وفي أخبار أبي رافع انّ النبي (ﷺ) قال في مرضه الذي توفي فيه لعلي: يا علي هذا كتاب الله خذه إليك، فجمعه علي في ثوب ومضى الى منزله فلمّا قبض النبي (ﷺ) جلس علي فألّفه كما أنزل الله وكان به عالماً)[٢].

الفريق الثاني: يرى ان الجمع كان عن طريق الصحابة والخلفاء: ومما ورد في ان جمع السور في مصحف واحد بعصر الخلفاء ما رواه البخاري عن عبيد بن السبّاق (انّ زيد بن ثابت رض قال: أرسل إليّ أبو بكر الصديق مقتَل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رض: انّ عمر أتاني فقال: انّ القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وانّي أخشى إنّ استحرّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإنّي أرى أنّ تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله (ﷺ)؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد قال أبو بكر: "إنّك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ﷺ)، فتتبّع القرآن فاجمعه" فوالله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ ممّا أمرني به من جمع القرآن.

قلتُ: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله (ﷺ)؟ قال: هو – والله – خير. لم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر.

---

(١) الفهرست، ص٤٨.
(٢) المناقب، ٢/٤٠.

فتتبّعت القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حتى خاتمة براءة. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثمّ عند عمر حياته، ثمّ عند حفصة بنت عمر رض)[١].

قال مناع القطان (ت:١٩٩٩م): (فكان أبو بكر أول من جمع القرآن بهذه الصفة في مصحف)[٢].

وسواء أكان الجمع حاصل من قبل الإمام علي عليه السلام[٣] أو ان هذا الجمع قد تمّ في عهد الخلفاء بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم – على اختلاف بينهم في تحديد الخليفة الذي تمّ هذا الجمع في عهده – اعتماداً على عدد من النصوص التي رووها في مصادرهم.

وممن يؤيد هذا الاتجاه العلامة محمد حسين الطباطبائي (ت:١٩٨٠م)، إذ قال: (فتأليف القرآن وجمعه مصحفاً واحداً انما كان بعد ما قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلا إشكال)[٤].

وان أصحاب هذا الرأي يعزون سبب عدم جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن في مصحف واحد لاعتبارات كثيرة، منها:

١. أنَّه لم يوجد من دواعي كتابته مجموعاً في مصحف فالْمسلمون وقتئذ بخير، والقراء كثيرون، والإسلام لم تتسع دولته، والفتنة مأمونة، والتعويل لا يزال على الحفظ أكثر من الكتابة، وأدوات الكتابة غير ميسورة، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بين

(١) البخاري، صحيح البخاري، ٩٨/٦.
(٢) مباحث في علوم القرآن، ص٧٤.
(٣) للتفصيل أكثر ظ: الفقرة الخامسة: أول مَن جمع القرآن الكريم فيما يأتي – ان شاء الله تعالى –.
(٤) الميزان في تفسير القرآن، ١٢٠/١٢.

أظهرهم، وعنايته باستظهار القرآن تفوق الوصف، فلا خوف على ضياع شيء منه في تلك الْمدة.

٢. أن النبي ﷺ كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله نسخه من القرآن، ولو جمع القرآن في مصحف واحد وقتئذ لكان عرضة لتغيير الْمصاحف كلما وقع نسخ.

٣. أن القرآن لم يَنْزِل جملة واحدة، بل نزل منجماً في مدى عشرين سنة أو أكثر، ولم يكن ترتيب الآيات والسور على ترتيب النُّزُول، ولو جُمِع القرآن في مصحف واحد وقتئذ لكان عرضة لتغيير الْمصاحف كلما نزلت آية أو سورة.

أما **الاتجاه الثاني:** يرى أنّ القرآن بصورته الحالية جمع في حياة الرسول ﷺ، ويرون ان حقيقة ان هذه الاعتبارات محل نظر ويمكن مناقشتها على النحو الآتي:

١. إن ما يمكن الاستدلال به على جمع القرآن هو أن الصحابة كانوا يحفظون القرآن على ظهر قلب بأجمعه؛ وهذا يدل على أن القرآن الكريم كان مجموعاً في زمنهم أي على عهد رسول الله ﷺ، ولو لم يكن مجموعاً فكيف للصحابي منهم أن يجمع كل القرآن مشافهة من النبي الأكرم ﷺ فهذا محال عقلا[١].

٢. أما اعتبار أن النبي ﷺ كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله نسخه من القرآن فإنه يمكن القول (بأن هذا الانتظار لا يضير في جميع القرآن؛ لأن الناسخ إنما يأتي بعد المنسوخ ليرفع حكم الأول؛ فلا غضاضة من أن يجمع الرسول القرآن على يد الصحابة في مدون واحد وكلما نزل من

(١) ظ: د. محمد حسين الصغير، تاريخ القرآن، ص٧٨.

القرآن شيء، فلهم أن يزيده الرسول عليهم حتى يكتمل القرآن مدوناً واحداً متكاملاً لديهم بالمحصلة)[١].

٣. وأما اعتبار ان القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة مما يؤدي نزوله المنجم الحاجة الى التغيير في صحائف الكتاب الجامع، وهذا الاعتبار لا نجد له أهمية بالغة، إذ ان نزول الآيات يكون تباعاً وبالترتيب أي انها جميعاً يكون ترتيبها في أواخر السور حتى تكتمل السورة ومن ثم لا يحتاج الى تغيير سوى الاضافة وهو بالأمر الطبيعي.

واستشهدوا كذلك بمجموعة من الشواهد، منها ان القرآن كان له حفظة ومدرّسون ممّا يكشف عن جمعه ضمن المصحف، وكذلك حديث الثقلين الدال على كونه مجموعاً ضمن كتاب جامع.

كما لم يعهد اختلاف المسلمين في القرآن في عصر الرسول ﷺ – إلاّ في إطار ضيّق كاللهجة ونحوها – ممّا يؤكد كونه مكتوباً ومحفوظاً، لأنّ فرضية الاقتصار على حفظه في النفوس تستدعي اختلافهم في آياته بسبب النسيان واضطراب الحافظة لدى الإنسان العادي.

كما ان كتابته على العسب واللخاف ونحوهما – من القراطيس البدائية – من دون حفظه يعرّضه للضياع، والاختلاف فيه.

ومن النصوص الدالة على هذا الاتجاه ما ورد عن النبي ﷺ قوله: (قراءة الرجل القرآن في غير المصحف الف درجة وقراءته في المصحف تضاعف على ذلك إلى ألفي درجة)[٢]. فدلالة الحديث واضحة على ان القرآن الكريم كان مجموعاً في زمن النبي ﷺ بدلالة لفظ (المصحف).

---

(١) د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، تأريخ القرآن وعلومه، ص٢٢١.
(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ٥١٦/١.

وكذلك ما قاله الصحابي عُبادة بن الصامت (ت:٣٤هـ): (كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل منا يعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا)[١].

وقد أيد هذا الاتجاه الشريف المرتضى (ت:٤٦٣هـ) إذ قال: (أن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن)[٢].

وعلى أي حال ليس هناك أثر عملي مهم يترتب على العصر الذي تمّ فيه هذا الجمع بعد أن اثبتنا انّ الجمع بالمعنى الثالث قد تمّ في عصر الرسول ﷺ. وأنه كان مكتوباً ومحفوظاً عنده ﷺ. ولا يهم أن يكون في قرطاس أو قراطيس ونحوها.

المعنى الخامس: جمع القرآن بمعنى توحيد المصاحف

ويبدو من مجموعة من النصوص انّ توحيد المصاحف كان من فكرة الصحابي حذيفة بن اليمان[٣]، وذلك ان (حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وآذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة ان أرسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا

---

(١) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص٣٢٤.
(٢) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٤٣/١.
(٣) حذيفة بن اليمان العبسي الغطفاني القيسي، صحابي جليل ولد في مكة وعاش في المدينة المنورة ومات سنة ٣٦ هجرية في المدائن بالعراق، حذيفة بن اليمان هذا كان يعرف كذلك ويكنى بحافظ سر الرسول، حيث أن الرسول ﷺ كان قد أسر له بأسماء كافة المنافقين المحيطين بهم ولم يفش بهذا السر لأي كان وهذا هو شأن كل حافظ لسر. ظ: الذهبي، اعلام النبلاء، ٣٦٢/٢.

نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة[١] فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف ان يحرق)[٢].

١. أسباب جمع القرآن الكريم في مصحف واحد:

إذن مما تقدم نلحظ أسباب جمع القرآن الكريم في مصحف واحد في:

١. اتساع الرقعة الجغرافية للمجتمع الإسلامي والتباعد عن مركز الدولة حيث وصلت الفتوحات الى أرض فارس والروم ومصر.
٢. دخول كثير من الأعاجم في الإسلام واختلاطهم بالعرب المسلمين.
٣. شيوع اللّحن وانتشاره في المجتمع المسلم العربي.
٤. اختلاط القراءات وعدم الثبات على ماهو ثابت متواتر وماهو شاذ مستهجن.
٥. وقوع بوادر للخلاف والشحناء بين القراء لا سيما بين قراء العراق وقراء الشام.

ولا إشكال في أن توحيد المصاحف تحقق في عهد عثمان بن عفان بعد ان أمر بجمع القرآن بالمعنى الخامس فقد قام بكتابة نسخة من المصحف سماها بالإمام، فصارت مرجعاً لمن يريد ضبط نسخته أو استنساخ نسخة منه.

---

(١) وهذا المصحف احرق أيضاً، فلما تولى مروان بن الحكم إمرة المدينة في خلافة معاوية، طلب الصحف من حفصة ليحرقها؛ حتى لا يرتاب في شأنها أحدٌ، فيظن أن فيها ما يُخالف المصحف الذي استقرَّ عليه الأمر، أو يظن أنَّ فيها ما لم يكتبه عثمان في المصاحف، فأبت حفصة أن تعطيها إياها، فبقيت تلك الصحف عندها إلى وفاتها، فلمَّا توفيت حضر مروان جنازتَها، ثم أرسل إلى عبد الله بن عمر بالعزيمة أن يرسل الصحف إليه، فنشرها بين الناس وأحرقها، ليعلم الجميع بذلك، ولا تتشوَّف نفس أحد إلى ما فيها ظنًّا أنَّها تختلف عن مصاحف عثمان. ظ: ابو داوود، كتاب المصاحف، ص٢٨، ابن حجر، شرح صحيح البخاري، ٦٣٦/٨، ابن كثير، فضائل القرآن، ص٤٦. وليت شعري أمروان أحرص على كتاب الله وأمة النبي ﷺ من السيدة حفصة أو من الخليفة الثالث الذي لم يحرقه دون سائر الصحف!! إذا ما علمنا ان مصحفها هو صحائف جمعها أبو بكر زمن خلافته ودفعه الى الخليفة الثاني وورثته حفصة عن ابيها.
(٢) البخاري، صحيح البخاري، ٩٩/٦.

واعتمد المسلمون بكل فرقهم ومذاهبهم واختلاف اوطانهم على تلك النسخ وتناقلوا نسخها من جيل الى جيل والى يومنا هذا، ولم نلحظ بعين الواقع نسخة من القرآن الكريم فيها زيادة أو نقصان في الآيات مع مرور هذه الاحقاب من السنين والظروف مخالفاً لما هو متداول عند المسلمين اليوم.

وقد أقره أمير المؤمنين علي عليه السلام على خطوة توحيد القراءة وقطع الخلاف فيها، خاصة أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان قد نهى عن الاختلاف في القرآن، والاختلاف في قراءته أوضح مصاديق الاختلاف المنهي عنه(١).

وقد أجمع علماء المسلمين (مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومدرسة الصحابة) على جواز القراءة بكل ما هو متداول بين القراء، وان (القرآن المتداول بين المسلمين هو المنزل من عند الله، بلا زيادة أو نقصان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما تنص على ذلك كتبهم وكلمات علمائهم وأحاديث أئمتهم الصحيحة)(٢).

نعم يؤاخذ الخليفة الثالث عثمان من جهة إحراقه المصاحف الأخرى وأمره باحراق ما جمع في الأمصار.

وقد ندم – فيما يبدو – قال البلاذري (ت:٢٧٩هـ): (وروى أبو مخنف: إنّ المصريين وردوا المدينة فأحاطوا وغيرُهم بدار عثمان في المرة الأولى فأشرف عليهم عثمان فقال: أيها الناس ما الّذي نقمتم عليَّ فإنّي معتبكم ونازل عند محبتكم. فقالوا... أحرقت كتاب الله.

قال: اختلف الناس في القراءة فقال هذا: قرآني خير من قرآنك. وقال هذا: قرآني خير من قرآنك. وكان حذيفة أوّل من أنكر ذلك وأنهاه إليّ فجمعت الناس

(١) ظ: رياض الحكيم، علوم القرآن – دروس منهجية –، ص٢١٦، د. عبد الرسول الغفاري، الميسر في علوم القرآن، ص١٤٢.
(٢) هاشم معروف الحسني، تاريخ الفقه الجعفري، ص١٢١.

على القراءة الّتي كتبت بين يدي رسول الله (ﷺ) قالوا: (فلم حرقت المصاحف؟ أما كان فيها ما يوافق هذه القراءة الّتي جمعت الناس عليها؟ أفهلاّ تركت المصاحف بحالها؟ قال: أردت أن لا يبقى إلاّ ما كتب بين يدي رسول الله (ﷺ)... وأنا أستغفر الله...)[١].

قال الدكتور طه حسين (ت:١٩٧٣م): (وربما تحرّج بعض المسلمين من تحريق ما حرّق عثمان من الصُحف، ولم يقبلوا اعتذاره بحسم الفتنة وقطع الخلاف، ولو قد كانت الحضارة تقدمت بالمسلمين شيئاً لكان من الممكن أن يحتفظ عثمان بهذه الصحف الّتي حرّقها على أنها نصوص محفوظة لا تتاح للعامة، بل تكاد تتاح للخاصة، وانما هي صحف تحفظ ظناً بها على الضياع...

وإذا لم يكن على عثمان جناح فيما فعل لا من جهة الدين ولا من جهة السياسة، فقد يكون لنا أن نأسى لتحريق تلك الصحف، لأنه إن لم يكن قد أضاع على المسلمين شيئاً من دينهم فقد أضاع على العلماء والباحثين كثيراً من العلم بلغات العرب ولهجاتها...)[٢].

وقال السيد الخوئي: (ولكن الأمر الّذي أنتقد عليه هو إحراقه لبقية المصاحف، وأمره أهالي الأمصار بإحراق ما عندهم من المصاحف، وقد اعترض على عثمان في ذلك جماعة من المسلمين، حتى سمّوه بحرّاق المصاحف)[٣].

وهكذا كانت مسألة حرق المصاحف ذات انتقاد من المسلمين قديماً وحديثاً.

ومهما يكن فإنه بعد توحيد المصحف أمر عثمان باستنساخ عدة مصاحف وأرسلها إلى الأمصار لتكون هناك مرجعاً يؤخذ عنه.

---

(١) نساب الأشراف، ٤/٥٥١.
(٢) الفتنة الكبرى، ص١٨٣.
(٣) البيان في تفسير القرآن، ص٢٧٧.

وأما عدد تلك المصاحف فقيل أربعة والمشهور أنها خمسة بل ذهب البعض إلى أنها سبعة مصاحف ارسلت إلى مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة وبقي أحدها في المدينة[١].

ومن **الجدير بالذكر** أن لا وجود لهذه المصاحف في عصرنا الحاضر.

٢. لجنة تدوين المصحف:

يوجد خلاف حول أعضاء لجنة تدوين المصحف العثماني وعددهم، فرأى البعض أن زيد بن ثابت كان مسؤولاً عنه، وذكر البعض الآخر أن سعيد بن العاص ساعده في ذلك، وعدّ ثالث أبيّ بن كعب معهم، وقال رابع إن اللجنة كانت تضمّ خمسة أشخاص، وهناك من يقول بأنها كانت تضمّ اثني عشر شخصاً من قريش والأنصار[٢].

ويعتقد البعض أن أوثق الروايات هي رواية أنس بن مالك وأسلم (مولى عمر بن الخطاب) الذين ساهما في التدوين[٣]، وبناء على هذه الرواية كانت لجنة التدوين تضم أربعة، وهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن زبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث.

وكان زيد بن ثابت رئيساً للجنة التدوين، وهو من الأنصار، وكان جديراً بالثقة لدى عثمان، كما كان متولياً على بيت المال مِن قِبَله، والثلاثة الأُخر كانوا جميعهم من قريش[٤].

---

(١) ظ: السجستاني، كتاب المصاحف، ص٤٣، د. محمد حسين الصغير، تاريخ القران، ص٩٣.
(٢) ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، علم جمع القرآن الكريم، ص٥٠٠.
(٣) ظ: راميار، تاريخ قرآن، ص٤١٧.
(٤) ظ: محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ٣٣٩/١.

واعترض الصحابي البارز عبد الله بن مسعود بشدة على اختيار هؤلاء الأشخاص، وكان ينتقد رئاسة زيد بن ثابت قائلاً: (يا معشر المسلمين أعزل عن نسخ كتابة المصاحف ويتولاها رجل، والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر)[١].

٣. مميزات التدوين في مصحف واحد:

تقدّمت في المصحف العثماني السور الطوال على غيرها كمصاحف الصحابة التي كتبت قبله، إلا أن هناك فرقاً صغيراً حيث إن سورة يونس تأخرت في هذا المصحف؛ لأن عثمان كان يتصور أن سورة الأنفال وسورة التوبة، سورة واحدة[٢]، وأثار صدور هذا الفعل من عثمان اعتراض ابن عباس[٣].

ولم يكن المصحف العثماني منقوطاً ومشكولاً؛ وذلك لأن الخط العربي في بدايته لم يكن منقوطاً ومشكولاً[٤]، فكان على القارئ أن يميز بين الحروف المتشابهة كالباء والتاء والياء والثاء وكذلك الجيم والحاء والخاء، وكان المصحف العثماني خالياً عن الإعراب والعلامات أيضاً، فتشابهت بعض الكلمات كـ"يُعلِّمه" و"نَعلَمُه"، ولهذا كانت قراءة القرآن آنذاك موقوفة على سماع القرآن، وتسبب هذا الأمر باختلاف القراءات.

وكذلك تجريده من كل ما كان في بعض المصاحف الخاصّة من تفسيرات وشروح أو ذكر أسباب نزول وغير ذلك.

---

(١) الترمذي، سنن الترمذي، ٣٤٩/٤.
ونحن في هذا المقام نتسائل كما تسائل عبد الكريم الشهرستاني (ت:٥٤٨هـ) إذ قال: (كيف لم يطلبوا جمع علي بن أبي طالب أوَ ما كان أكتبَ من زيد بن ثابت؟ أوَ ما كانَ أعرَبَ من سعيد بن العاص؟ أوَ ما كان أقربَ إلى رسول الله ﷺ من الجماعة؟! بل تركوا بأجمعهم جَمعَهُ واتخذوه مهجوراً ونبذوه ظهرياً وجعلوه نسياً منسياً ...). مفاتيح الأسرار ومصابيح الأنوار، ١٢٥/١.
(٢) ظ: محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ٣٥٤/١.
(٣) ظ: المصدر نفسه، ٣٥٥/١.
(٤) ظ: المصدر نفسه.

أن له إملاء خاصاً به من حيث كيفية كتابة بعض الحروف والكلمات، كالهمزة مثلا في كتابة (مائة) والأحرف اليائية والواوية كما في كلمات (الزكوة، والصلاة، والحيوة) وما شابه ذلك من الحذف أو الزيادة لبعض الحروف[١].

ويوجه ابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ) الرسم القرآني للحروف على انها أما (أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها، أو أن تكون غلطاً من الكاتب، ..، فإن كانت على مذاهب النّحويّين فليس هاهنا لحن بحمد الله، وإن كانت خطأ في الكتاب، فليس على رسوله ﷺ جناية الكاتب في الخطّ)[٢].

ومع كل هذا لا يضرّ بشأن القرآن الكريم؛ لأن حقيقة القرآن هو مضمونه وليس مكتوبه، والمضمون يتمثل في القراءة الصحيحة كما هو واضح.

إذن ان الجمع بمعناه الخامس بحسب ما تدل القرائن أنه (كتابة قرآن واحد عليه علامات التلاوة والإعجام، منعاً للاختلاف في القراءات، إذ لم يكن التنقيط معمولاً به حتى ذلك الوقت)[٣].

٤. وسائل النطق السليم بالقرآن الكريم وهو غير منقوط أو مشكل:

لقد كان المسلمون يهتدون إلى النطق السليم بالقرآن في ذاك الوقت بوسيلتين:

الأولى: سليقة اللسان العربي الأصيل الذي كانوا يتمتعون به، فلم يكن اللحن ليعرف سبيلاً إلى لسانهم، كما لم يكن المعنى ليستعجم على أذهانهم.

---

(١) ذهب بعض الباحثين الى القول: (إذا لم تكن متوافقة مع الرسم القرشي فهي بهذا أخطاء أملائية) وان في المصحف ٧٠ خطأ املائياً. ظ: محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ٣٦٦/١. د. محمود البستاني، دراسات في علوم القرآن، ص١٠٧، منها على سبيل المثال: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ سورة طه، الآية: ٦٣، روي أن عثمان كان يخطّئ "هذان" ولكنه لم يصحّحه؛ بدليلَ أنه لا يؤدي إلى إحلال حرام أو تحريم حلال. ظ: الثعلبي، الكشف والبيان، ٢٥٠/٦.

(٢) تأويل مشكل القرآن، ص٤٠.

(٣) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٤/١، ظ: الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٥٧.

الثانية: التلقّي والمشافهة، وقد علمنا أن المسلمين كانوا يعتمدون في أخذ القرآن وحفظه وضبطه على الكتابة والتلقي مشافهة من أفواه الرجال، وكانوا لا يكتفون بأحد الطريقين عن الآخر، فكان التلقي والمشافهة وسيلة لوضوح الكتابة، وعاصماً من اللبس في الكلمات التي تحتمل برسمها عدداً من وجوه القراءة والأداء.

وبهاتين الوسيلتين– السليقة والمشافهة– لم يكن عدم شكل رسم القرآن ونقطه عائقاً في طريق قراءته قراءة سليمة، وفهم مضمونه ومعناه فهماً صحيحاً.

رابعاً: أول مَن جمع القرآن الكريم:

يتضح من كثير من الحقائق التاريخية ان أول من جمع القرآن الكريم على ترتيب نزوله بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الإمام علي عليه السلام، والروايات في ذلك عن طريق أهل البيت عليهم السلام متواترة، ومن طرق أهل الحديث مستفيضة.

وأما قول المستشرق الألماني ثيودور نولدكه إلى عدم جمع القرآن وتدوينه من قبل الإمام علي عليه السلام، إذ قال: (تقول روايات مختلفة إن علياً بن أبي طالب .. كان وراء جمع القرآن.. لكي يأخذ الكرامة من أبي بكر .. لا شيء من الصحّة في هذا كله. فمصادر هذه الأخبار تفاسير قرآنية شيعية وكتب تاريخية سنية ذات أثر شيعي مشكوك بأمرها، ذلك أن كل ما يرويه الشيعة عن وليّ شيعتهم الأعلى غير موضوعي ومنحاز بجملته)[١].

فرأيه هذا لا يُعتد به ها هنا؛ إذ سيتضح بالأدلة ان أول من جمع القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو علي بن أبي طالب عليه السلام، والأحداث عديدة جرت في تلك المرحلة كان الإمام علي عليه السلام حاضراً وناظراً، ومؤثراً فيها. وحلفه عليه السلام: أن لا يرتدي رداء

(١) تاريخ القرآن، ص٢٤٤.

حتى يجمع القرآن، ثم تخلفه ليجمعه، ثم عتاب الخليفة الثاني عمر له على تخلفه عن بيعة أبي بكر، قد ذُكر في مصادر أخرى أيضاً [١].

فمما يدل على أن أول من جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ هو علي بن أبي طالب عليه السلام ما أخرجه ابن أبي داوود في المصاحف من طريق ابن سيرين قال: (قال علي: لما مات رسول الله (ﷺ) آليت أن لا آخذ على ردائي إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن فجمعته)[٢].

قال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): (وقد ورد عن علي (عليه السلام) انه جمع القرآن على ترتيب النزول عقيب موت النبي (ﷺ))[٣]، وقال محمد بن سيرين: (لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم)[٤] .

وروى المتقي الهندي عن الإمام علي عليه السلام قوله: (لما قبض رسول الله (ﷺ) أقسمت أو حلفت أن لا أضع ردائي على ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي حتى جمعت القرآن)[٥].

وعن ابن النديم (ت:٣٨٠هـ) بسنده عن عبد خير عن علي (عليه السلام) أنه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي (ﷺ)، فأقسم أن لا يضع على ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه، وكان المصحف عند أهل جعفر[٦].

وقال ابن شهرآشوب (ت:٥٨٨هـ): (ذكر الشيرازي إمام أهل السُنة في الحديث والتفسير في نزول القرآن، وأبو يوسف يعقوب في تفسيره عن ابن عباس في قوله

---

(١) ظ: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٣٨/٢، المتقي الهندي، كنز العمال، ٣٧٣/٢، حسن الصدر، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ٢٧/١.
(٢) ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١٨٣/١.
(٣) فتح الباري في شرح البخاري، ٤٧/٩.
(٤) ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص١٢٨.
(٥) كنز العمال، ١٥١/١٣.
(٦) فهرست ابن النديم، ص٣٠.

تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[١]، قال: ضمن الله محمداً ﷺ أن يجمع القرآن بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، قال ابن عباس: فجمع الله القرآن في قلب علي، وجمعه علي بعد موت رسول الله (ﷺ) بستة أشهر)[٢].

وروى أبو العلاء العطار (ت:٥٦٩هـ)، بالإسناد عن علي بن رباح: (أن النبي (ﷺ) أمر علياً بتأليف القرآن، فألفه وكتبه)[٣].

وقال ابن شهرآشوب: (الصحيح أن أول من صنف في الإسلام علي (عليه السلام)، جمع كتاب الله جل جلاله)[٤].

وعن ابن المنادي أنه عليه السلام: جلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه[٥].

وتشير بعض الروايات إلى أن الإمام علي عليه السلام قد جمع القرآن في عهد الرسول ﷺ، إلا أنه بعد وفاته قد جمعه بحسب ترتيب نزوله.

وقد اتفق الكل – كما يقول ابن أبي الحديد – على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ، ولم يكن غيره يحفظه، ثم هو أول من جمعه، نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعة أبى بكر، فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفة للبيعة، بل يقولون: تشاغل بجمع القرآن، فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن، لأنه لو كان مجموعاً في حياة رسول الله ﷺ لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته ﷺ.

---

(١) سورة القيامة، الآية: ١٧.
(٢) مناقب آل ابي طالب، ٤١/٢. وهذا بعيد.. فهناك أحداث عديدة جرت في تلك الفترة كان الإمام علي عليه السلام حاضراً وناظراً، ومؤثراً فيها. وحلفه عليه السلام: أن لا يرتدي رداء حتى يجمع القرآن، ثم تخلفه ليجمعه، ثم عتاب عمر له على تخلفه عن بيعة أبي بكر، قد ذكر في مصادر أخرى أيضاً. ظ: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٣٨/٢، المتقي الهندي، كنز العمال، ٣٧٣/٢، حسن الصدر، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ٢٧/١.
(٣) مناقب آل ابي طالب، ٥١/٢، المجلسي، بحار الأنوار، ١٥٥/٤٠.
(٤) معالم العلماء، ص٣٨.
(٥) للتوسعة ظ: محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٣٤٥/٧، علي الكوراني، تدوين القرآن، ص٣٤٤.

وإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه، كأبي عمرو بن العلاء، وعاصم بن أبي النجود وغيرهما، لأنهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي القارئ، وأبو عبد الرحمن كان تلميذه، وعنه أخذ القرآن، فقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهي إليه أيضاً[١].

وقال ابن شهرآشوب: والقُراء السبعة إلى قراءته يرجعون، فأما حمزة والكسائي فيعولان على قراءة علي وابن مسعود، وليس مصحفهما مصحف ابن مسعود، فهما إنما يرجعان إلى علي ويوافقان ابن مسعود فيما يجري مجرى الأعراب، وقد قال ابن مسعود: ما رأيت أحداً أقرأ من علي بن أبي طالب للقرآن.

وأما نافع وابن كثير وأبو عمرو فمعظم قراءاتهم ترجع إلى ابن عباس، وابن عباس قرأ على أبي بن كعب وعليّ، والذي قرأه هؤلاء القراء يخالف قراءة أبي، فهو إذا مأخوذ عن علي عليه السلام.

وأما عاصم فقرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، وقال أبو عبد الرحمن: قرأت القرآن كله على علي بن أبي طالب، فقالوا أفصح القراءات قراءة عاصم، لأنه أتى بالأصل وذلك أنه يظهر ما أدغمه غيره، ويحقق من الهمز ما لينه غيره، ويفتح من الألفات ما أماله غيره. والعدد الكوفي في القرآن منسوب إلى علي عليه السلام، وليس في الصحابة من ينسب إليه العدد غيره[٢].

وقال العلامة شرف الدين (ت:١٩٥٧م): (ان علياً جمع القرآن مرتباً على حسب النزول، وأشار إلى عامه وخاصه، ومطلقه ومقيده، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وعزائمه ورخصه، وسننه وآدابه، ونبّه على أسباب النزول في آياته البينات. أملى ستين نوعاً من أنواع علوم القرآن، وذكر لكل نوع مثالاً يخصه)[٣].

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤٣/١.
(٢) مناقب آل ابي طالب، ٥٢/٢.
(٣) المراجعات، ص٤١١.

وقال السيد محمد باقر الحكيم (ت:٢٠٠٣م): (وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الرجل الأول الذي أحرز قصب السبق في مضمار تدوين القرآن وتفسيره وبيان علومه وقد برع في هذا المجال حتى روي عنه انه أملى ستين نوعاً من أنواع علوم القرآن، وذكر لكل نوع مثالاً يخصه)[١] .

ومن النصوص الواردة عن طريق أهل البيت عليهم السلام فنكتفي ههنا ما ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام (ت:١١٤هـ)، إذ قال: (ما ادعى أحد من الناس: أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى، إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده)[٢].

وبهذا يتضح أن الإمام علي عليه السلام كان أول من جمع القرآن، وكان يحفظه عن قلب، وأن القُراء السبعة كانوا يرجعون إلى قراءة الإمام علي عليه السلام.

والجدير بالذكر أنّ جمع الإمام علي عليه السلام القرآن لا يعني أنّه لم يكن مدوّناً، بل كان مدوّناً في الرقاع والعسب ونحوها، وقام أمير المؤمنين عليه السلام بتدوينه مصحفاً، وذلك بترتيب (الجذاذات) المدوّن عليها وتوحيدها.

أين هو مصحف الإمام علي عليه السلام؟!:

بعد ان جمعه الإمام عليه السلام وعرضه على الأصحاب، تم رفضه منهم، ومنذ ذاك الزمن احتفظ به الإمام عليه السلام ولم يخرجه لأحد، وهو الواضح من قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام، إذ قال: (أخرجه علي عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه فقال لهم: هذا كتاب الله عزوجل كما أنزله [الله] على محمد صلى الله عليه وآله وقد جمعته من اللوحين. فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه، فقال أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبدا، إنما كان علي أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه)[٣] .

---

(١) علوم القرآن، ص٥.
(٢) الكليني، الكافي، ١/٢٨٤.
(٣) المصدر نفسه، ٢/٦٣٣.

وثمة نصوص، تفيد: أن هذا المصحف موجود الآن عند الإمام الحجة المنتظر، قائم آل محمد عليه السلام، وسيخرجه حين ظهوره، إن شاء الله تعالى[١].

ولعله هو القرآن الذي ورد في الروايات: أنه يعلّمه للناس، وأنه يخالف التأليف المعروف للمصحف..

خصائص مصحف الإمام علي عليه السلام:

معلوم ان الإمام علي عليه السلام ربيب الوحي وأفقه الناس بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله والنصوص على ذلك كثيرة، ومما يؤكد هذه الحقيقة الإمام عليه السلام حينما قال: (وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة ... ولقد كنت أتبعه اتِّباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري. ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما.

أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال هذا الشيطان أيس من عبادته. إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي، ولكنك وزير، وإنك لعلى خير)[٢].

وبعد كل هذه الملازمة للرسول الخاتم صلى الله عليه وآله فمن المؤكد ان أمير المؤمنين علي عليه السلام قد ملئ علماً وفقهاً وأخلاقاً ووعياً في كتاب الله عجل، ومن ثم لم يكتف عليه السلام بجمع القرآن الكريم وتدوينه في مصحف واحد فقط فيكون أول من جمعه في عالم الإسلام بل هو أول تفسير للقرآن الكريم يوضح آياته عاملاً فيه علوم القرآن في نصوصه، وأسباب نزول الآيات، وما شابه ذلك مما يحتاجه الفرد لفهم كلام الله العزيز. ولعلنا نكتفي ههنا بما ورد عن حبر الأمة عبد الله بن عباس إذ قال: (يشرح

---

(١) ظ: الكليني، الكافي، ٤٦٢/٢.
(٢) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١٥٧/٢.

لنا علي رضي الله عنه نقطة الباء من (بسم الله الرحمن الرحيم) ليلة فانفلق عمود الصبح وهو بعد لم يفرغ)[١].

وما نقل عن غيره من انه سمع الإمام علي عليه السلام يخطب ويقول: (أنه لو تكلم في الفاتحة من القرآن لحمل منها سبعين وقرا؟)[٢].

ولا نبالغ إذا ما قلنا: إن الإمام علي عليه السلام كان الصورة الناصعة المتجليّة فيها قيم القرآن المجيد ومفاهيم السُنة النبوية المقدسة، وهذا ما شهد به حتى معاوية بن أبي سفيان، وذلك لّما سمع بشهادة الإمام علي عليه السلام في الكوفة قال: (ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب)[٣].

ومما تقدم يظهر بان مصحف الإمام علي عليه السلام كان أول مصحف في عالم الإسلام وقد طالما تأسف الأصحاب بعد ذلك على عدم اطلاعهم عليه أو تقبلهم له بعد ان عرضه عليهم ووضعه أمامهم وجهاً لوجه..

فهذا الصحابي عبد الرحمن بن عوف (ت:٣٢هـ) يقول: (فسألت عكرمة عن ذلك الكتاب، فلم يعرفه)[٤]. وبعده محمد بن سيرين (ت:١١٠هـ) قال: (فلو أصبت ذلك الكتاب كان فيه علم)[٥].

يتضح من النصوص الآنفة أن مصحف الإمام عليّ عليه السلام، يمتاز بما يلي:

١. إنه كان مرتباً على حسب النزول.
٢. قدّم فيه المنسوخ على الناسخ.
٣. كتب فيه تأويل بعض الآيات بالتفصيل.

---

(١) القندوزي الحنفي، ينابيع المودة، ٢١٦/١.
(٢) ابن عربي(ت:٦٣٨هـ)، الفتوحات المكية، ٢٧١/٤.
(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب، ١١٠٨/٣.
(٤) محمد جواد البلاغي، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ١٨/١، وذكر المتقي الهندي (ابن عون)، ظ: كنز العمال، ٥٨٨/٢.
(٥) المصدر نفسه.

٤. كتب فيه تفسير بعض الآيات بالتفصيل، على حقيقة تنزيله. ولعله كتب فيه التفاسير المنزلة تفسيراً من قبل الله سبحانه على حد الأحاديث القدسية.
٥. فيه المحكم والمتشابه.
٦. لم يسقط منه حرف ألف، ولا لام. ولم يزد فيه حرف، ولم يسقط منه حرف.
٧. فيه أسماء أهل الحق والباطل.
٨. كان بإملاء رسول الله ﷺ وخط عليّ عليه السلام.
٩. كان فيه فضائح القوم من المهاجرين والأنصار أي: من الشخصيات التي لم تتفاعل مع الإسلام، كما يجب. ومنه ذِكر المنافقين بأسمائهم ونحو ذلك.
١٠. فيه كل ما نحتاج إليه، حتى الأرش في الخدش[١]، بمعنى أنه كان يشتمل على بعض التوضيحات والتفاسير.

أمران لابدّ من التنبيه عليهما:

الأول: إن ما ذكر من خصائص وميزات في مصحف الإمام عليّ عليه السلام، يوضح لنا السر في صعوبة تعلمه في زمن ظهور الحجة الإمام الثاني عشر عليه السلام؛ فقد روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، قوله: (إذا قام القائم من آل محمد ﷺ، ضرب فساطيط لمن يعلم الناس القرآن على ما أنزله الله عز وجل، فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم؛ لأنه يخالف فيه التأليف)[٢].

الثاني: اتضح: أن مصحف الإمام عليّ عليه السلام، لا يفترق عن القرآن الموجود بالفعل، إلا فيما ذكر.. وقد اعترف بهذه الفوارق، سائر علماء المسلمين، ومؤلفوهم، ومحدثوهم، كما يظهر من ملاحظة النصوص المتقدمة، ومصادرها..

فمحاولة البعض اعتبار ذلك من المآخذ على الشيعة الإمامية، على اعتبار: أن قرآناً آخر، يخرجه الإمام الحجة عليه السلام، يختلف عن القرآن الفعلي.

---

(١) دية الجراحات.
(٢) ظ: المفيد، الإرشاد، ص٣٦٥، النعماني، الغيبة، ص٣١٨، المجلسي، بحار الأنوار، ٣٣٩/٢.

إن هذه المحاولة بعيدة عن الإنصاف، وليس لها ما يبررها على الإطلاق؛ فالقرآن هو القرآن، وإضافة بعض التفسير والتأويل، وترتيبه حسب النزول، لا يوجب اختلافاً في أصله وحقيقته، فالصحيح هنا هو ان (تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل)[١]..

أثر الجهود السابقة في حفظ القرآن الكريم:

كان للجهود السالفة دورٌ جليلٌ في خدمة كتاب الله ﷻ، والاعتناء به؛ فمن عهد النبوّة كان القرآن محفوظاً بحفظ الله ﷻ له، ولم يدخله أيّ نقصٍ، أو تحريفٍ، أو تبديلٍ، سواءً في اللفظ أو المعنى، ممّا يدلّ على إخلاص الجهود الجبّارة في حمله ونقله جيلاً بعد جيلٍ، وقد رعاه الله وصانه بهم حتى بقي في شكله ومضمونه، بعيداً عن كلّ زَيغٍ وضلالٍ، وقد حرصت الأمّة الإسلاميّة على كتابها أعظم حرصٍ، من أيّ زيادةٍ أو نقصانٍ، حتى وإن كانت رموزاً وعلامات.

الأسباب التي دفعتهم إلى التدوين:

١. الرغبة في أن يكونوا مصاديق تتحقّق فيهم إرادة الله الأزلية في حفظ القرآن وتخليده بالبحث فيما احتواه من علوم وما تضمّنه من معارف لما يترتّب على ذلك من هداية وتعليم وتربية.
٢. تضييق فوهة الخلاف بين المسلمين بسبب اختلافهم في اللغة والبيئة لا سيما بعد اتساع رقعة الإسلام الجغرافية.
٣. خدمة الأمّة الإسلاميّة جيلاً بعد جيل بإشاعة العلم بينها، ونقله لها دون خطأ أو اشتباه بتدوينه، لا سيّما بعد أن اختلط العرب بغيرهم من الأعاجم.
٤. تزكية ما لديهم من العلم بنشره بين المسلمين، فإنّ في نشره زكاة له[٢].

---

(١) الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٢٣.
(٢) ظ: محمد الحسيني الشيرازي، تقريب القرآن الى الأذهان، ٣٦/١.

٥. نيل الثواب العظيم في طلب العلم ونشره وترويجه، حيث رفع الله سبحانه درجات العلماء في الدنيا والآخرة، وجعل طلب العلم في أعلى مراتب المستحبات والمندوبات، وفي بعض مراتبه من أهمّ الفرائض والواجبات، كما ظلَّل أهل العلم بأجنحة ملائكته، وسخّرهم للاستغفار عنهم والدعاء لهم كما هو في متضافر الأخبار على تفصيل لا يسعنا المجال لبيانه.

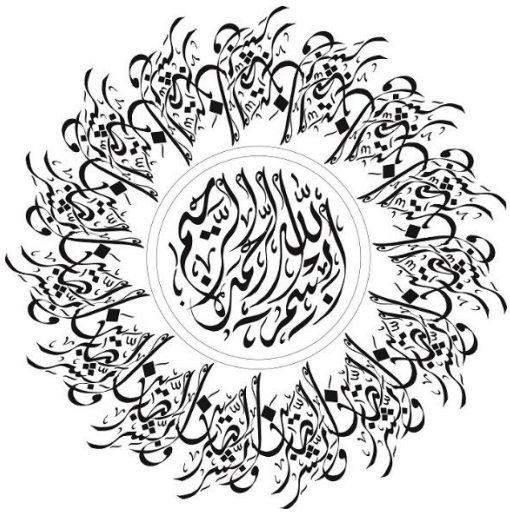

الفصل السادس

علم رسم المصحف وشكله

لا يضيف المرء الآواحد آخر

وكل عدل سوى الرحمن متهم

علم رسم المصحف وشكله

في هذا الفصل سيكون كلامنا عن **علم رسم المصحف وعلم التنقيط والشكل** للقرآن الكريم، وهي من العلوم التاريخية التي تعنى بطريقة رسم الكلمات في المصحف من ناحية عدد حروف الكلمة ونوعها، لا من حيث نوع الخط وجماليته، ويستند رسم الكلمات في المصحف على طريقة رسمها في المصاحف التي نُسخت في عهد الخليفة الثالث، وهي من المسائل التي شغلت فكر العلماء، ونالت قسطاً من أبحاثهم، أو بتعبير أبسط طريقة كتابة القرآن التي تمثل الأطار الخارجي للنص القرآني من حيث رسمه وإعجامه ونقطه، فمن المعلوم أن للقرآن الكريم منهجاً خاصاً في الكتابة، يختلف نوعاً ما عن الكتابة التي أَلِفَها الناس.

وهذا المظهر الخارجي للآيات القرآنية (يختلف عن القرآن نصاً متعبداً بتلاوته، فالقرآن ألفاظه ومعانيه، وتشريعه ومراميه، بسوره وآياته متواترة متكاملة، وشكله هو صورته المصحفية التي تواضع عليها الناس في الرسم والأعراب والنقط والأعجام للدلالة على ألفاظه في النطق، وعلى هيئته وتركيبه في التلفظ، فهو تسجيل ثانوي للوحي الأولي، بما يؤدي إلى صورة حقيقته المثلى حينما يتلى بالألسن معاداً كما أنزل)[١]، وهو ما نروم بيانه من خلال هذا الفصل – ان شاء الله تعالى – وعلى النحو الآتي:

(١) أستاذنا د. محمد حسين الصغير، تاريخ القرآن /دراسات قرآنية، ص١٢٩.

أولاً: علم رسم المصحف:

قسّم العلماء الرسم الكتابي –الخط الإملائي– إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: أطلقوا عليه اسم الرسم القياسي، ويقصدون به كتابة الكلمة كما تلفظ، مع الأخذ بعين الاعتبار حالتي الابتداء بها والوقف عليها.

أما **القسم الثاني** فأطلقوا عليه اسم الرسم القرآني، ويقصدون به الرسم العثماني، نسبة إلى عثمان، إذ هو الرسم الذي كُتبت به المصاحف.

وقد صنف العلماء في هذا المجال ما عُرف بـ "علم الرسم القرآني" ووضعوا كتباً خاصة في هذا الموضوع، منها على سبيل المثال لا الحصر، كتاب "المقنع في معرفة رسم مصاحف الأمصار" لأبي عمرو الداني (ت:٤٤٤هـ)، وكتاب "التنزيل" لأبي داود سليمان بن نجاح (ت:٤٩٦هـ).

أولاً: مصدر رسم المصحف؟

من خلال ما تقدم يبدو ان الصحابة كتبوا المصاحف على وفق السائد من نظام الكتابة والإملاء حينئذ، ومع هذا وجدنا قولين مفادهما: هل هذا الرسم بتوقيف من الشارع أم كان باجتهاد الصحابة واصطلاحاتهم؟ وذهبوا في ذلك الى مذهبين:

المذهب الأول: أنه توقيفي عُلم من الشارع، وليس للصحابة فيه شيء من اجتهاد أو اصطلاح، وبهذا لا تجوز مخالفته؛ فعن أحمد بن حنبل، قال: (تحرم مخالفة خط عثمان في واو أو ياء أو غير ذلك)[١].

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٧٩/١.

بل ويرى علماء آخرون ان هذا الرأي هو مذهب الجمهور؛ يقول المفسر محمد رشيد رضا (ت:١٩٣٥م): (من المسائل المتفق عليها بين العلماء أو الإجماعية أن خط المصحف الشريف (أي: رسمه) سماعي توقيفي)[١].

كما يرى ذلك أيضاً الشيخ الزرقاني (ت:١٩٤٨م)[٢] وتابعهم الشيخ محمد أبو شهبة (ت:١٩٨٣م)[٣].

وقد ذهب قوم إلى أن الرسم معجز، وله سر لا يعلمه إلا الله، وهذا القول لا يدل عليه دليل صحيح، وقد ذهب إلى هذا أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي (ت:٧٢١هـ) في كتابه: «عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل».

وكذلك ما ادعاه ابن المبارك في نقله عن شيخه عبد العزيز الدباغ أنه قال: (ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النبي وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة: بزيادة الألف ونقصانها، لأسرار لا تهتدي إليها العقول، وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضاً معجز)[٤].

وقد انبرى في الدفاع عن هذا المذهب بعض الباحثين وفي مناقشات مستفيضة في تأكيد ان رسم المصحف هو توقيفي ولا دخل للصحابة فيه[٥].

وعليه كان **الحكم** في اتباع رسم المصحف العثماني عندهم هو الوجوب، وان تكون كتابة المصحف للعامة على الاصطلاحات الشائعة عندهم، ويجب في ذات الوقت المحافظة على الرسم العثماني بين الآثار الموروثة عن السلف[١].

---

(١) كتاب مجلة المنار، فتاوى المنار، ص١١٤.
(٢) الزرقاني، مناهل العرفان، ٣٧٦/١.
(٣) ظ: المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص٣٤٣.
(٤) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٧٩/١.
(٥) للتوسعة بأدلة المؤيدين لهذا القول ظ: د. شعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، دار السلام للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٩٧م.

ويرون في هذا الرأي: هو ان يحتاط للقرآن الكريم من ناحية إبعاد الناس عن اللبس، ومن ناحية إبقاء الرسم المأثور ليقرأ به العارفون به.

المذهب الثاني: أنه اصطلاحي فتجوز مخالفته، وان الصحابة كتبوه على وفق الطريقة السائدة في وقتهم، كما كانت تُكتب سائر الأشياء في زمنهم.

وذهب الى هذا القول طائفة من العلماء؛ كان منهم: أبو عمر الداني (ت:٤٤٤هـ)[٢]، وابن خلدون (ت:٨٠٨هـ)[٣]، ومن قبلهم القاضي أبو بكر الباقلاني (ت:٤٠٣هـ) إذ قال: (وأما الكتابة: فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئاً؛ إذ لم يأخذ على كتاب القرآن وخطاط المصاحف رسماً بعينه دون غيره أوجبه عليهم وترك ما عداه؛ إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف. وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه، أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحدّ محدود لا يجوز تجاوزه، ولا في نصّ السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه، ولا في إجماع الأمة ما يوجب ذلك، ولا دلّت عليه القياسات الشرعية، بل السنة دلت على جواز رسمه بأي وجه سهل؛ لأن رسول الله ﷺ كان يأمر برسمه، ولم يبين لهم وجهاً معيناً، ولا نهى أحداً عن كتابته؛ ولذلك اختلفت خطوط المصاحف، – ويختم كلامه بهذه العبارة: – وبالجملة: فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص، وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه، وأنى له ذلك)[٤].

وإن رأي القاضي أبي بكر هذا لجدير أن يؤخذ به، وحجته ظاهرة، ونظره بعيد، فهو لم يخلط بين عاطفة الإجلال للسلف، وبين التماس البرهان على قضية دينية تتعلق برسم كتاب الله ﷻ.

---

(١) وهنا يبدي استغرابه الشيخ محمد طاهر الكردي (ت:١٤٠٠هـ) بقوله: (وإن لم ندرك حكمة كتابته على هذه الصورة من الرسم المخالف لقواعد الكتابة الإملائية). تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص١٠٥.
(٢) ظ: المقنع، ص١١٦.
(٣) ظ: المقدمة، ص٤٥٥–٤٥٦.
(٤) ظ: الزرقاني، مناهل العرفان، ٣٧٣/١.

ويؤكد هذا المعنى الدكتور صبحي الصالح في رده على الباحثين الذين يرون توقيفية وقداسة الرسم العثماني بقوله: (ولا ريب أن هذا غلوّ في تقديس الرسم العثماني، وتكلّف في الفهم ما بعده تكلّف، فليس من المنطق في شيء أن يكون أمر الرسم توقيفياً، ولا أن يكون له من الأسرار ما لفواتح السور، فما صحّ في هذا التوقيف حديث عن رسول الله ﷺ، ولا مجال لمقارنة هذا بالحروف المقطعة التي تواترت قرآنيتها في أوائل السور..)[١].

ويمكن ان نستدل على ان رسم المصحف ليس توقيفياً من خلال:

١. أن الله سبحانه لم يفرض على الأمة شيئاً في كتابته، ولم يرد في السُنة والإجماع ما يوجبه.
٢. الأختلاف الكبير بين الصحابة في قراءة القرآن، وكذلك أختلافهم في رسم المصحف عند جمعه في زمن الخليفة الثالث، ولو كان الأمر توقيفي لما حصل الاختلاف بينهم.
٣. ان عدم تسمية رسم المصحف: (بالرسم التوقيفي) أو (بالرسم النّبوي) دليل على أنه ليس توقيفي وإلا لم ينعتوه: (بالرسم العثماني) نسبة للخليفة عثمان بن عفان!
٤. يرى جمهور المسلمين أن من معجزات النبي ﷺ كونه أُمّيّاً لا يكتب ولا يقرأ كتاباً[٢]، وعليه لم نَر منقولاً أن النبي ﷺ كان يملي لكتاب القرآن ويوجههم بكيفية معينة في الرسم. ولو كان توجيه منه ﷺ لتواتر لنا ولكان الرسم توقيفي.
٥. ان الروايات الواردة في التوقيف أما غير صحيحة أو لا تدل على ان المراد هو القول بالتوقيف، بل تدل على وجوب التزام الرسم العثماني، وليس هذا

(١) مباحث في علوم القرآن، ص٢٧٨.
(٢) ان صح أنه ﷺ كان أمياً فهي في حقه كمال، وفي حق غيره نقص، وذلك أنه لو كان بادياً الكتابة والقراءة لقالوا: إن هذا القرآن ليس من عند الله، وإنما وضعه من نفسه بقوة علمه ومعرفته..

هو محل الخلاف هنا، وان احترام الرسم العثماني واستحسانه لا يلزم القول بأنه توقيفي.

٦. ان المصاحف التي كتبت في المدينة بزمن عثمان والتي توحدت عليها كل المصاحف التي أرسلها عثمان الى الأمصار (لم تكن كلها متطابقة تماماً، وفي كل حرف حرف)[١].

إذن الراجح: ان الرسم القرآني ليس توقيفيًّاً، ولم يُتلقَّ بوحي من الله تعالى وإنما كتبه الصحابة على نحو ما اتفق واصطلح الناس عليه في ذلك الزمن، ومعلوم ان الأمور التي يتفق عليها الناس لا مُشاحةَ فيها ولا منازعة، ولا يُنكَر فيها على أحد إذا حصل بها المقصود، وأدَّتْ الغرض من إيجادها.

كما ان رسم المصحف أمر شكلي لا يؤثر على مضمون القرآن وجوهره فلا تعني شيئاً ذا أهمية قصوى، ولم يزل علماء الأمة القدماء في مخطوطاتهم القديمة لا يلتزمون فيها بالرسم العثماني، والى اليوم نلحظ العلماء المعاصرين لا يلتزمون باقتباساتهم بذلك الرسم، لأن اختلاف بعض الخطوط لقواعد الهجاء لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً، ليتحقق بعد هذا كله التأكيد الإلهي بحفظ القرآن المجيد، سالماً من التحريف.

ثانياً: مخالفة الرسم العثماني للرسم القياسي:

اختلف العلماء في هذا الشأن على فريقين:

الفريق الأول: وجه هذا الاختلاف، بان الإملاء بالرسم العثماني يتفق في جملته مع الرسم القرشي في ذلك الوقت[٢]. كذلك أن القرآن فيه من الكلمات من اللغات الأخرى غير لغة قريش ما يفوق الحصر[٣]. ومن ثم توجيه النّحاة لكل الكلمات التي

(١) د. عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، ص١٥٩.
(٢) للتوسعة ظ: د. شعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه، ص١٠.
(٣) ظ: عبد الفتاح القاضي، جمع القرآن وتدوينه في عهد عثمانالمصاحف العثمانية، ص٢١.

جاء خطها على غير مقياس لفظها، وان هذه (الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها)[١].

بل وبالغ أحدهم – كما تقدم – في هذا التوجيه الى القول ان في الرسم القرآني أسرار لا تهتدي إليها العقول وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضاً معجز[٢].

الفريق الثاني: يرى جملة من الباحثين ان ما وقع من مخالفة في الرسم العثماني للرسم القياسي انما هو في حقيقته إخطاء املائية وقعت للشكل الخارجي للكلمة ولأسباب منها السهو عند التدوين[٣].

والقول ان رسم القرآن معجز كنظمه فيه (تطرف في إضفاء صفة التقديس على الكتَبْة الأولى، لا يعضده دليل نصي على الأطلاق)[٤].

إذن ان الرسم العثماني ليس مسألة توقيفية كما اتضح، وانه بهذا جهد بشري، والعمل البشري عرضة للخطأ والسهو والنسيان، والصحابة كان جهدهم حميد في تدوين القرآن الكريم ولا يقدح بهم بحال من الأحوال فهم بشر وعملهم معرض لما ينتاب الآخرين.

كما ان هذا لا يؤثر على القراءة الصحيحة للقرآن الكريم؛ فلتكن الكتابة بأي خط، فما الخطوط إلا علامات ورسوم تجري مجرى الإشارات والعقود والرموز، فكل

---

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٤٣٢/١.
(٢) يقول ابن المبارك: ان –زيادة الحروف ونقصانها في الرسم القرآني– (لأسرار إلهية وأغراض نبوية وانما خفيت على الناس لأنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الرباني فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المتقطعة التي في أوائل السور فإن لها أسراراً عظيمة ومعاني كثيرة وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها ولا يدركون شيئاً من المعاني الإلهية التي أشير إليها فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف). الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ٣١٤/١.
(٣) ظ: د. محمود البستاني، دراسات في علوم القرآن، ص١٠٧، محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ٣٦٦/١.
(٤) د. الصغير، دراسات قرآنية، ص١٣٨، ظ: محمد أبو شامة، المرشد الوجيز، ص١٧٣.

رسم يؤدي وظيفته في بيان معنى كلمة جائز اعماله وبأي صورة كانت، وبهذا فإن الخطوط والرسوم لا تضر شيئاً ما دامت القراءة باقية على سلامتها الأولى التي كانت تقرأ على عهد رسول الله ﷺ، فهي كانت وما زالت مما يتوارثه المسلمون بسماع وتواتر بدقة عالية، وعناية بالغة جيلاً بعد جيل.

ثالثاً: أهمية الرسم في التفسير

ويرى بعض العلماء ان أهمية الرسم تظهر حين نجد الآية تحتمل أكثر من معنى، فيكون ترجيح أحد المعاني تبعاً لطريقة رسم الكلمات في المصحف.

وعند تتبع كلمات المصحف يلحظ ان اختلاف رسمها على وجوه ثلاثة:

١. وجه يكون الرسم زائداً على اللفظ.
٢. وجه يكون في الرسم نقصاً عن اللفظ.
٣. وجه يكون الرسم مطابقاً للفظ القرآن.

وقد اهتم جملة من العلماء الى توجيه هذه الوجوه الثلاثة والإفادة منها في تفسير معاني الكلمات القرآنية، فكان منهم من أهتم بتفسير ظواهر الرسم العثماني على أساس اختلاف معاني الكلمات حسب دقائق الرسم؛ ولكن بتعليلات لا تستند في غالبها على قواعد لغوية ولا أسس علمية واضحة، وإنما تعتمد على الذوق[١].

وهنالك من العلماء من أهتم بتفسير ظواهر الرسم العثماني على أسس لغوية وتاريخية[٢].

---

(١) وهذه الدراسة انفرد بها أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان ابن البناء المراكشي (ت:٧٢١هـ) في كتابه: الدليل في مرسوم خط التنزيل، تحقيق: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

(٢) ظ: د. غانم قدوري الحمد، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، اللجنة الوطنية لإحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، العراق، ١٩٨٢م.وهو من أفضل المؤلفات الحديثة وأشملها في رسم المصحف، ولكن عدم وضوح الأسس التي قام عليها الرسم واضطرادها من ناحية لغوية جعل المضي فيه مضنياً على كلّ الباحثين، وجعل كلامهم لا يخرج عن تعليلات جزئية.

ويذكرون جملة من الأمثلة في أثر الرسم القرآني في بيان المعنى عند المفسرين، منها:

١. في قوله تعالى: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾[١]. قال ابن خالويه (ت:٣٧٠هـ): (سندع) فعل مستقبل، والأصل (سندعو) بالواو...[٢].

ويرى الزركشي: بأن الواو حذفت اكتفاء بالضمة قصداً للتخفيف فقوله (سندع الزبانية)، فيه سرعة الفعل، وإجابة الزبانية، وقوة البطش، وهو وعيد عظيم ذكر مبدؤه وحذف آخره، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[٣].

٢. قوله تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[٤]. قال الزركشي: زيدت الألف دليلاً على أن هذا المجيء هو صفة من الظهور ينفصل بها عن معهود المجيء...، هذا بخلاف حال ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾[٥].

حيث لم تكتب الألف، لأنه على المعروف في الدنيا، وفي تأوله بمعنى البروز في المحشر لتعظيم جناب الحق أثبتت الألف فيه أيضاً[٦].

٣. قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾[٧]. تباينت آراء المفسرين في معنى (فَلَا تَنْسَى) هل هي نهي للنبي ﷺ عن النسيان، أو أنها خبر فيكون معنى الآية تبشير للنبي ﷺ، بنفي النسيان عنه.

---

(١) سورة العلق، الآية: ١٨.
(٢) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ص١٤١.
(٣) سورة القمر، الآية: ٥٠.
(٤) سورة الفجر، الآية: ٢٣.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٩.
(٦) الزركشي، البرهان، ٣٨٤/١، ظ: ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة، ص٨٣.
(٧) سورة الأعلى، الآية: ٦.

إذ قال المفسر الطبري (ت:٣١٠هـ): (والقول الذي هو أولى بالصواب عندي قول من قال: معنى ذلك فلا تنسى إلا أن نشاء نحن أن ننسيكه بنسخه ورفعه، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن ذلك أظهر معانيه)[١].

وقال المفسر القرطبي (ت:٦٧١هـ): ((فلا) للنفي لا للنهي... فإن الياء مثبتة في جميع المصاحف وعليها القراء)[٢].

ورسم الكلمة يرجح أنها للنفي لوجود الألف المقصورة، ولو كانت لا للنهي لصار الفعل بعدها مجزوماً بحذف الحرف المعتل في آخره، وكتبت الكلمة هكذا (تنس) فدل بقاء الألف في الرسم على أن لا للنفي وليست للنهي[٣].

رابعاً: بعض غرائب رسم المصحف العثماني:

لقد ذكرنا فيما تقدم بعض من الكلمات المتنوعة، ونذكر هنا جملة من الكلمات التى تعد غريبة في بابها وطريفة في كتابتها فمن ذلك[٤]:

انهم رسموا كلمة: ﴿**لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ**﴾ بزيادة ألف بعد ألفها الاصلية.

ورسموا كلمة: ﴿**أَفَإِينْ مَاتَ**﴾ وكلمة: ﴿**أَفَإِيْن مِّتَّ**﴾ بزيادة ياء قبل النون في الكلمتين.

ورسموا كلمة: ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَييْدٍ**﴾، وكلمة: ﴿**بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ**﴾ بياءين في الكلمتين.

---

(١) جامع البيان، ٩٨/٣٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، ١٩/٢٠.
(٣) ظ: د. فهد الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ص١٣٩.
(٤) للتوسعة ظ: محمد طاهر الكردي، تاريخ القرآن الكريم، ص١٧٥.

ورسموا كلمة: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ بزيادة واو بعد الالف بخلاف ما يماثلها نحو: ﴿مَا أُرِيكُمْ﴾ بسورة غافر.

ورسموا كلمة: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ متصلة ببعضها بسورة طه بخلاف ما يماثلها في الاعراف فانها هكذا: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾.

ورسموا كلمة: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ بسورة الكهف بزيادة ألف بعد الشين.

ورسموا كلمة: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ بسورة الشعراء بحذف الالف بخلاف ما يماثلها بسورة ق فانها هكذا: ﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾.

ورسموا كلمة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ بسورة فاطر بوضع الهمزة على الواو وألف بعدها.

ورسموا كلمة: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ التى بأول سورة البقرة بدون ألف بعد الياء واما التي بآخر سورة الحج فانها بالالف هكذا: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

خامساً: قواعد رسم المصحف:

وكما أشرنا بداية، فإن الرسم العثماني خالف الرسم القياسي من بعض الوجوه، وهذه المخالفات عُدّت فيما بعد قواعد، من أهمها:

أولاً: الحذف: كأن تحذف الألف في الكثير من كلمات القرآن الكريم، كحذف الألف بعد الياء في كلمة (يأيها).

ثانياً: الزيادة: والحروف التي تزاد أحياناً هي: حروف المد الثلاثة؛ مثل زيادة ألف في عدد من الكلمات، ومن ذلك زيادة ألف في كلمة (مائة)، وفي كلمة (مائتين)، والواو في كلمة (تفتؤا).

ثالثاً: الهمزة: تعتبر من أوسع وأشكل أبواب الضبط، فأحياناً تكتب على الألف، وأحياناً على الواو، وأحياناً على الياء، وأحياناً توضع على السطر؛ ومن ذلك: (لتنوأ، يؤمنون، بئس، الخبء).

رابعاً: البدل: مثال ذلك أن تبدل الألف في (الصلاة) بواو فتصبح (الصلوة)، وترسم التأنيث تاء مفتوحة في بعض الكلمات، نحو: (شجرت)، و(فطرت).

خامساً: الوصل والفصل: كأن تأتي كلمة في القرآن تارة موصولة وتارة مفصولة، مثل لفظ إنما، كتب مرة مفصولة كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ**﴾(١)، ومرة موصولة في قوله: ﴿**إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ**﴾(٢). وقطع "أم" عن "من" في قوله تعالى: ﴿**أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا**﴾(٣)، أو وصلها بها في مثل قوله تعالى: ﴿**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ**﴾(٤).

سادساً: وجود قراءتين لنفس اللفظ: الكلمات التي اشتملت على أكثر من قراءة وكتابتها تحتمل كل قراءة، ومثال ذلك قراءة كلمة سكارى بالألف ودونها، فهي تحتمل وجود الألف وعدمها، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى**﴾(٥)، ومثالنا الآخر: ما قرأه من القراء السبعة عاصم الكوفي (ت:١٢٧هـ)

(١) سورة الانعام، الآية: ١٣٤.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٩.
(٤) سورة الملك، الآية: ٢٧.
(٥) سورة الحج، الآية: ٢.

والكسائي (ت:١٨٩هـ): ملك يوم الدين بألف فيقرؤونها هكذا: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[١]، بينما قرأ الباقون بغير ألف: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

هذه الوجوه (القواعد) التي أتينا على ذكرها، هي أهم الوجوه التي فارق فيها الرسم العثماني الرسم الإملائي، أو ما سُمي بالرسم القياسي، وقد عرضناها بالاختصار والتبسيط. وقد بقيت مسائل تتعلق بهذا المبحث تركناها مخافة السآمة.

وخلاصة القول: اننا لم ندرك السر في رسم المصحف العثماني كما لم يدركه من قبلنا من كبار العلماء وفحول المفسرين – وسواء فهمنا ذلك أو لم نفهم فالواجب علينا اتباعه حرفاً حرفاً وكلمة كلمة وما وسع القرون الأولى يسعنا وما أقره المعصوم عليه السلام نتبعه، ولاسيما ونحن على أبواب الفتن وفي آخر الزمن نسأل الله عز وجل لطفه ورحمته وفضله واحسانه انه لطيف خبير.

ثانياً: علم التنقيط والشكل:

كان العرب بما لديهم من أصالة الفصاحة، والمنعة الذاتية عن اللحن، والذوق الأصيل في النطق، في غنى عن الشكل والإعجام فيما يقرأون أو يكتبون.

وكانت كتابة القرآن الكريم في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمصاحف حتى العثمانية منها مجردة عن علامات الشكل والنقط والإعجام، حيث أن الخط الكوفي كان إلى ذلك الحين مجرداً عن الزوائد، وكذلك خلو الكتابة العربية في تلك الحقبة منها، وبقيت الكتابة العربية تُستعمل على ذلك النحو حتى النصف الثاني من القرن الأول الهجري، حين بدأت الدراسات اللغوية في العراق، بل لم يدوّن في تلك المصاحف أي نوع من أنواع الزيادة التوضيحية مثل أسماء السور وأرقام الآيات.

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

النّقْطُ: هو وضع النقطة أو النقطتين أو النقط فوق الحرف، والنقطة أو النقطتين تحت الحرف، تمييزاً له عمّا يُشبهه في صورته، مثل: (الباء والتاء والثاء والياء والزاي والقاف). ويُسمى (الإعجام).

و**الشَّكلُ:** هو الضبط بالحركات.

هذان الأمران كلاهما مُحدث لم يكن في المصحف في عهده الأول، وأُضيف الى رسوم المصاحف صيانة للقرآن الكريم عن اللحن والتصحيف، وذلك على وفق ما نقله مُتقنو القراء من الأداء.

وعليه فإن ذلك يختلف فيما بين المصاحف باختلاف القراء الذين ضبط المصحف على قراءاتهم، فأنت ترى مثلاً مصحفاً على رواية حفص (ت:١٨٠هـ) عن عاصم (ت:١٢٧هـ)، وآخر على رواية ورش (ت:١٩٧هـ) عن نافع (ت:١٦٩هـ)، يتفاوتان في النقط والشكل.

وأوّل من تصدّى لوضع الحركات الاعرابية هو أبو الأسود الدؤلي (ت:٦٩هـ)[١]، وانّ ابا الاسود الدؤلي قد اخذ هذا العلم عن الإمام علي عليه السلام، يذكر ابو حيان التوحيدي (ت:٤١٤هـ) بان (عليّ بن ابي طالب، رضوان الله عليه، سمع قارئاً يقرأ على غير وجه الصواب، فساءه ذلك فتقدم الى ابي الاسود الدؤلي، حتى وضع للناس اصلاً، ومثالاً، وباباً، وقياساً، بعد ان فتَّق له حاشية، ومهد له مهاده، وضرب له قواعده)[٢].

---

(١) أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني هو من أشهر سادات التابعين وفقهائهُم وشعرائهم، والذي اشتهر بأنّه واضع علم النحو في اللغة العربية، كما أنّه أول من شكّل أحرف المصحف الكريم من خلال وضعه للنقاط على الأحرف العربية، وقد ولد قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالدين الإسلامي إلا أنّ الفرصة لم تسنح له لمقابلة النبي الكريم، لذلك صنّف على أنّه من طبقات التابعين، وقد صَحِب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي عينه أميراً على ولاية البصرة، وقد شارك معه في العديد من الوقائع التاريخية لعل أهمها وقعة صفين، والجمل، وكذلك محاربة الخوارج، توفي في البصرة سنة ٦٩ هجري.
(٢) البصائر والذخائر، ١/١٧٥.

فاستعمل أبو الأسود مداداً يخالف لونه اللون الذي كتب به القرآن، وقال للكاتب: (إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وان ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة نقطتين (وفي نسخة: فاجعل النقطة من تحت الحرف))[١].

وقيل أنه جعل للفتح نقطة فوق الحرف وللضم نقطة إلى جانبه وللكسر نقطة أسفله وللتنوين نقطتين[٢]...

وقال أبو هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ): أبو الأسود أول من نقط المصحف[٣].

أما الدكتور جواد علي (ت:١٩٨٧م) فيقول: (أغلب روايات أهل الأخبار أن الخط العربي الأول لم يكن مشكلاً، وأن الشكل إنما وجد في الإسلام، وكان موجده أبو الأسود الدؤلي (ت:٦٩هـ)، فاستعمل النقط بدل الحركات، ثم أبدل الخليل بن أحمد الفراهيدي النقفط برموز أخرى هي الفتحة والكسرة والضمة)[٤].

والجدير بالذكر هنا أن أبا الأسود الدؤلي كان قد أخذ أصول النحو عن أمير المؤمنين عليه السلام الذي وضع له قواعده ولقنه أصوله وأمره بتفصيل ما أجمله له ليرجع إليه من كان في لسانه عجمة للتخلص من اللحن في الكلام.

وقد أكمل عمل أبي الأسود من بعده إثنان من تلامذته هما يحيى بن يعمر العدواني (ت:١٢٩هـ) ونصر بن عاصم الليثي (ت:٨٩هـ) حيث وضعا النقاط على الحروف أزواجاً وإفراداً، في عملية أطلق عليها اسم الإعجام، وذلك للتمييز بين الحروف المتشابهة في الرسم فصار لكل حرف صورة تميزه عن صورة غيره من الحروف كما هو المتعارف في كتابتنا اليوم[٥].

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٤٥.
(٢) د. محمد حسين الصغير، تاريخ القرآن، ص١٣١.
(٣) الأوائل، ١/١٣٠.
(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٨/١٩٠.
(٥) وبهذا تسقط الرواية التأريخية القائلة: أن عبيد الله بن زياد (ت:٦٧هـ) والحجاج بن يوسف الثقفي (ت:٩٥هـ) هما أول من نقط المصحف، والذين يؤكدون هذه الرواية المزعومة أرادوا بها

ثم تلا ذلك تطوير علامات الإعراب والشكل فوضع علامة للسكون وغيرها من العلامات[١].

وقد اعتمدوا في البداية للتمييز بين نقاط الاعجام ونقاط الحركات اختلاف اللّون فاستعملوا ثلاثة ألوان، لوناً للكتابة ولوناً للنقط التي تميز الحروف المعجمة من المهملة، ولوناً للنقط التي ترمز إلى الحركات، وربما وصل الأمر إلى استعمال أربعة ألوان كما نقل عن أهل الأندلس[٢].

لكن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٠هـ) ابتدع أشكال الحركات فميزها عن نقاط الحروف فجعل لكل حركة حرفاً صغيراً بدل النقط، فوضع للضمة واواً صغيرة وللكسرة ياءً مردفة تحت الحرف وللفتحة ألفاً مائلة فوق الحرف. وأضاف إلى ذلك علامة الهمز والتشديد والرّوم والإشمام[٣]. ثم أعقبه السجستاني سهل بن محمد (ت:٢٤٨هـ) فألّف كتاباً في نقط القرآن وشكله.

واستمرت حركة وضع الاصطلاحات والعلامات التوضيحية فوضعت علامات نهاية الآيات وقسمٌ القرآن إلى الأخماس والأعشار ووضعت إشارات إلى أحكام السجود الواجب والمندوب وعلامات الوقف والسكت وما يتصل بأحكام التلاوة، وهكذا كل ما تراه في المصحف من ذلك فهو مَزيدٌ بحسب ما عُلم من القرَّاء في الأداء أو من أئمة التفسير، وليس جزءاً من الرسم العثماني.

أما على صعيد الرسم القرآني أي الاملاء فقد بقي الرسم العثماني هو الأساس.

وقد أسهم الخطاطون الكبار في تجويد خط المصاحف وتحسين كتابتها، وأنَّ أول مَن كتب المصاحف في الصدر الأول، ووصف بحسن الخط، هو خالد بن أبي

منحهما وساماً لا يستحقانه، لأنهما من خصوم أهل البيت عليهم السلام. للتوسعة في مصادر الرواية ظ: د. محمد أمين فرشوخ، المدخل الى علوم القرآن والعلوم الإسلامية، ص١٢٨.

(١) ظ: عبد العظيم المشيخص، الموجز في علوم القرآن الكريم، ص٢٧٢، د. محمد حسين الصغير، تاريخ القرآن، ص١٣٤.

(٢) الزنجاني، تاريخ القرآن، ص٩٨.

(٣) ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٤٨١/٤، د. محمد حسين الصغير، تاريخ القرآن، ص١٣٥.

الهياج (ت:١٠٠هـ) – صاحب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام –[١]، وفي نهاية القرن الثالث الهجري بلغ رسم الخط ذروته في الإتقان والجودة والحسن، وقد (ظلّ الخطاطون يكتبون المصاحف بالخط الكوفي حتى أواخر القرن الرابع الهجري، ثم حلّ محله خط النسخ الجميل في أوائل القرن الخامس، وفيه جميع النقط والحركات)[٢]، واتسع على أثره نشاط استنساخ القرآن الكريم، وانتشر وشاع هذا الشكل الجديد من الخط والنقط والشكل، حتى عمّ وألفناه في المصاحف التي بأيدينا.

وان أول نسخة كاملة مطبوعة من القرآن الكريم كانت في مدينة البندقية بإيطاليا وذلك سنة: ١٥٣٠م.

آراء في شكل المصحف وإعجامه: وقد تباينت مواقف المسلمين في شكل المصحف وتنقيطه، وجملة الزيادات التوضيحية فيه، إذ كان العلماء في الصدر الأول يرون كراهة نقط المصحف وشكله ومنهم محمد بن سيرين (ت:١١٠هـ) والحسن البصري (ت:١١٠هـ)[٣].

وكان ذلك منهم مبالغة بعناية الحفاظ على الشكل الأول للمصحف، وقد يغلب على ظنهم احتمال التحريف لو أباحوا ذلك، وقد يكون ذلك بداعي المغالاة في تقديس الرسم الأول[٤].

ولكن الحال قد تغيرت عما كان في العهد الأول: فاضطر المسلمون إلى نقطه وشكله للمحافظة على القرآن الكريم من اللحن والتغيير والتصحيف، وللتيسير على الحفاظ والقارئين، وبعد أن كانوا يكرهون ذلك صار واجباً أو مستحباً عند العلماء،

---

(١) ظ: ابن النديم، الفهرست، ص٤٦، اليعقوبي، مروج الذهب، ٣/٣٠.
(٢) د. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص٩٩، ظ: نذير الحسني، دروس في علوم القرآن، ص١٩٧.
(٣) ظ: ابن أبي داود، المصاحف، ص١٤١.
(٤) ظ: الزرقاني، مناهل العرفان، ٢/٣٠٢، محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص٣٨٤، د. محمد حسين الصغير، تاريخ القرآن، ص١٢٢، د. داوود العطار، موجز علوم القرآن، ص١٩٢.

قال النووي (ت:٦٧٦هـ): (قال العلماء ويستحب نقط المصحف وشكله فإنه صيانة من اللحن فيه وتصحيفه)[١].

والحقيقة أن عملية التنقيط ووضع الحركات الإعرابية قدّمت خدمة عظيمة ووضعت حداً للاختلاف في القراءة التي كانت بلغت مستوىً خطراً، فصارت أمراً يفرضه الواقع والحاجة الماسة.

من الكتب المؤلفة في هذا العلم:

- ✓ المصاحف، السجستاني ابي داوود (ت:٣١٦هـ).
- ✓ المحكم في نقط المصاحف، الداني ابي عمر (ت:٤٤٤هـ).
- ✓ رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، الدكتور غانم قدوري الحمد.
- ✓ رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات، عبد الفتاح إسماعيل شبلي.

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، ص١٨٩.

الفصل السابع

علم قراءات القرآن الكريم

والأحرف السبعة

محمد رسول الله

علم القراءات والأحرف

من العلوم المرتبطة بفهم النص القرآني علم القراءات من حيث تنوع وجوه قراءته، ومن المعلوم ان تنوع وجوه قراءة النص له أثر بالغ في تنوع معنى النص وفهمه، وفي هذا الفصل سنوضح – ان شاء الله تعالى – هذا العلم مع مبحث الأحرف السبعة الذي طالما تداخل مع موضوع القراءات عند الباحثين.

أولاً: علم القراءات القرآن

أولاً: القراءات في اللغة والاصطلاح:

في **اللغة:** جمع قراءة، وهي الصوت الذي ينتج عن نطق المرء بالكلام المكتوب، وهي مصدر الفعل "قَرَأَ".

وفي **الاصطلاح:** مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القُراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها[١]، فهي بهذا: (علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوّاً لناقله)[٢]. ومن هنا فإن هذا العلم ذو علاقة مباشرة بأمرين هما:

١. كيفية القراءة؛ حيث الاعتماد على أصول هذه القراءات التي أُخذت بالسند عن رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن رب العزة سبحانه وتعالى.
٢. معرفة اختلاف هذه القراءات وتوجيهها والوقوف على حكمها.

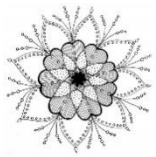

(١) ظ: محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ٩/٢.
(٢) ابن الجزري (ت:٨٣٣هـ)، منجد المقرئين، ص٣.

ثانياً: أهمية دراسة علم القراءات:

ترجع إلى العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية، وصيانتها عن التحريف والتغيير، والعلم بما يقرأ به كل من أئمة القراءة، والتمييز بين ما يقرأ به ومالا يقرأ به، ثم إلى الثقافة العالية العامة في القرآن الكريم، وإلى التسلح بالمعارف القيمة فيه؛ استعداداً لحُسن الدفاع عن حمى الكتاب العزيز.

وتنبع أهمية دراسة هذا العلم أيضاً من ارتباط القراءات بعلم التفسير، لذا كان من تمام كل مفسر ان يعرج على القراءات عرضاً وتوجيهاً، لأن مهمته هي بيان ألفاظ القرآن الكريم؛ إذ هو مثابة المفتاح للمفسرين؛ لذا عد من العلوم التي يحتاج إليها المفسر؛ إذ بمعرفة القراءة يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

وتتضح أهمية دراسة علم القراءات أكثر في واقعنا المعاصر لكونها أضحت من الشبهة التي يتخذها أعداء الإسلام وسيلة للدس والطعن في القرآن الكريم من خلال تعدد قراءاته واختلاف رواياته.

ثالثاً: أسباب نشأة القراءات:

ونشأة القراءات غير نشأة علم القراءات، وهذا أمر لا بدّ من التنبيه إليه والاهتمام به، فالقراءات وتعدُّدها برز جلياً في الصدر الأول للإسلام إذ مع كل الجهود التي بذلت لتوحيد المصاحف على قراءة واحدة ورسم واحد إلا انها (لم تنته مشكلة النّص القرآني نهاية حاسمة بعمل عثمان)[١] فقد أخذت تطفو على السطح بوادر الاختلاف كلما بعُد الزمن أكثر فأكثر[٢]، فتعددت القراءات لأسباب منها:

---

(١) د. عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، ص١٢٥.

(٢) يزعم البعض أن القراءات مروية بالأسانيد عن رسول الله ﷺ بغض النظر عن كتابة المصحف الشريف. وقد ادعى البعض تواتر القراءات السبعة المشهورة. ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٢٥٨/١.

١. **بداءة الخط:** لم تتعرف العرب على فنون الخط ورسم الحرف فكانت النون تشبه الراء، والدال الكوفية تشبه الكاف وهكذا، وحذفوا الواوات أو الياءات بلا سبب معقول.
٢. **الخلو من النقط:** فبعض المصاحف كتبت (ننشرها = ننشزها)، (فتبينوا = فتثبتوا)، (يتلوا = يبلوا = نتلوا).
٣. **الخلو من التشكيل:** كانت العرب تكتب الكلمة عارية عن الحركات الاعرابية والصرفية، (ربنا باعِد بين اسفارنا) (ربنا باعَد بين اسفارنا)، (واتخِذوا من مقام ابراهيم مصلى = واتخَذوا). وأثر ذلك في الحركات الاعرابية كما في آية الوضوء في كلمة (ارجلَكم) بالفتح أو الكسر، (إن الله بريء من المشركين ورسولُه) بالضم، وبالفتح، بالفتح عطفاً على لفظ الجلالة، وبالضم للاستئناف.
٤. **اسقاط الالفات:** كان الخط العربي منحدراً عن الخط السرياني وكانوا لا يكتبون الألفات الممدة، وقد كتبوا القرآن على الخط الكوفي بالمنهج نفسه (وما يخادعون = وما يخدعون)، (وحرام على قرية = وحرم على قرية)، (في غيابات الجب = في غياب الجب)[١].
٥. **اختلاف اللهجات:** كما هو اليوم من اختلاف لهجات البلد الواحد، أو اختلاف لهجات البلاد العربية كذلك كان ذلك في اللهجات انذاك مثل الإمالة والتفخيم والنبر بالهمزة أو التسهيل بدون الهمزة، واختلاف الصرفي للكلمة من قبيلة واخرى، والتقديم والتأخير بالأحرف مثلاً صاعقة، يقرؤها بنو تميم صاقعة، مثل لفظ الزواج = الجواز عند أهل الشام وهكذا.

---

(١) اشار المستشرق جولدزيهر (ت:١٩٢١م) في كتابه: (مذاهب التفسير الإسلامي) ص٨، الى ان نشأت الكثير من القراءات المختلفة يعود الى رسم المصحف أي الى خصوصية الخط العربي... وقد علق د. عبد الحليم نجار على ذلك بقوله: هذا مخالف للواقع واستخفاف بالقارئ لأن المعروف المدون من القراءات ضبطه العلماء وتحققوا من سنده.. وحسبك هذا دليلاً على أن الخط لم يكن هو العمدة في صحة القراءة. ظ: د. عدنان زرزور، علوم القرآن، ص١٨١.

٦. **الإضافة الشارحة والإضافة المؤولة:** عند بعض من جمع القرآن اضاف شرحاً أو تأويلاً[١].

٧. **الاجتهاد:** اجتهد بعض القراء بآرائهم وخالفوا الجمهور في بعض القراءات. بل وخالفوا الرسم القرآني، فقد نبر الكسائي (ت:١٨٩هـ) بالهمز في مسجد رسول الله ﷺ وقد انكر أهل المدينة عليه، وعقد مجلس استتابة لأبن شنبوذ (ت:٣٢٨هـ)[٢] لما قرأ خلاف رسم المصحف.

يقول القرطبي (ت:٦٧١هـ): (وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء، وذلك أن كل واحد منهم اختار مما روي وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى، والتزم طريقه ورواه، وأقرأ به، واشتهر عنه وعرف به)[٣].

أما **علم القراءات** فقد نشأ متأخراً بعد أن تعدّد أئمة القراءات، وتفرقوا في الأمصار، وأصبح لكل جهة إمام يقرأ الناس بقراءته، واحتاج الناس الى تدوين هذه القراءات وأئمتها وما يتعلق بذلك. فأصبحت بين أيدينا مصنفات، وموسوعات حتى زخرت المكتبة الإسلامية بها، ومؤلفات تتعلق بالقراءات، ووجوهها، وأئمتها ورواتها، وطرقها التي فاقت الحصر والعدّ.

(١) ظ: د. محمود البستاني، دراسات في علوم القرآن، ص١٠٢.
(٢) محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت، ومنهم من يقول ابن الصلت بن أيوب بن شنبوذ البغدادي. شيخ الإقراء بالعراق مع ابن مجاهد. قرأ القرآن على قنبل وإسحاق الخزاعي وهارون بن موسى الأخفش وغيرهم. وقرأ عليه عدد كثير منهم أحمد بن نصر الشذائي ومحمد بن أحمد الشنبوذي وعلي بن الحسين الغضائري وقد ذكر كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي واقعة استتابته للقراءة بالشاذ بحضرة الوزير أبي علي بن مقلة في زمن الخليفة العباسي الراضي بالله. ظ: د. سامي الماضي، ابن شنبوذ (ت:٣٢٨هـ) ومظاهر قراءته بين القراءات القرآنية، مجلة كلية الآداب، العدد ١٠٢.
(٣) جامع لأحكام القرآن، ٤٠/١٥.

رابعاً: أنواع القراءات:

صنف العلماء القراءات القرآنية الى أنواع، وذلك عائد حسب مشاربهم العلمية ومدارسهم، ويمكن ان نلحظ هذه الأنواع على النحو الآتي:

النوع الأول: المتواتر: وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن مثله إلى منتهاه.

النوع الثاني: المشهور: وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر ووافق العربية والرسم، واشتهر عند القراء، فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ... ومثاله ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة، فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض.

النوع الثالث: الآحاد: وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور، ولا يقرأ به.

النوع الرابع: الشاذ: وهو ما لم يصح سنده ومنه قراءة: ملك يوم الجنّة وهم هذا ينفقون رزقناهم المضاجع يستكبرون بصيغة الماضي ونصب يوم.

النوع الخامس: الموضوع: وهو ما ينسب الى قائله من غير أصل، ومثاله في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ﴾[1]، إذ نُسب الى الفقيه أبو حنيفة (ت:١٥٠هـ) انه قرأها برفع لفظ الجلالة، ونصب لفظ العلماء، ففسر الآية بأنه يجلهم ويعظمهم[2].

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.
(٢) ظ: الزمخشري، الكشاف، ٦٢٠/٣، النسفي، تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٣٦٠/٢.

خامساً: معنى القرَّاء والرواة:

هناك قراءات عديدة للآيات القرآنية، والمشهور منها سبع قراءات منسوبة لسبعة من القُراء، وقد تعدّدت الآراء حول القراءات المتعددة للقرآن الكريم، ومدى اعتبارها، والضوابط الدقيقة للقراءة المعتبرة(١).

فالقراءة هي الرواية أو التلاوة لكتاب الله العظيم، مثلاً نقل حفص على شيخه عاصم بن أبي النجود. إن هذا القارئ كان ممن التزم بهذه الطريقة في قراءته للقران الكريم، وأتقنها وصار شيخاً فيها بعد مُعلمه وله طلابه وتلاميذه الذين يأخذون عنه فالنسبة هنا نسبة التزام لطريقة القراءة وليست نسبة اختراع بمعنى أن حفصاً مثلاً أو غيره ليس هو الذي اخترع هذه الطريقة، وإنما لسبب اتقانه وبراعته وحفظه في عصره واشتهاره بتلاوته القرآن بها، وبذلك وقع الاختيار عليه لنسبة الرواية إليه لا إلى غيره ولم تعد تنسب هذه الرواية إلى الصحابي أو التابعي، وأما عاصم فهو شيخ حفص.

(١) إذ ان القراءات غير متواترة، وهي بين اجتهاد من القارئ وبين ما هو منقول بخبر الآحاد. للتوسعة ظ: الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص١٣٥.

سادساً: مراحل تطوّر القراءات:

مرّت هذه القراءات بمراحل مختلفة يمكن إيجازها على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: القراءة مباشرة من فم الرسول ﷺ: وهي المرحلة التأسيسية في القراءة، حيث كان صحابة رسول الله ﷺ يهتمّون بتعلّم القرآن الكريم وحفظه وتلاوته وسماعه مباشرة من فم النبي ﷺ ومن دون واسطة. ومن هؤلاء: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وعبد الله بن مسعود، وأُبَي بن كعب، وزيد بن ثابت، وغيرهم(١).

المرحلة الثانية: قراءة الصحابة: وتمتاز هذه المرحلة ببداية قراءة الصحابة على الناس وظهور مصاحف خاصّة بهم، بحيث اشتهرت قراءاتهم ومصاحفهم بين المسلمين في المناطق التي كانوا يتواجدون فيها، واصطبغت بأسمائهم في ما بين الناس، مثل: مصحف أُبَي بن كعب، ومصحف عبد الله بن مسعود، ومصحف المقداد بن الأسود(٢).

المرحلة الثالثة: قراءة الأمصار: بعد أن قام عثمان بن عفان بتوحيد المصاحف، أمر بنسخ عدّة مصاحف من النسخة الأمّ الموجودة في المدينة عاصمة الخلافة، وعيّن زيد بن ثابت قارئاً للمدينة، وأرسل النسخ الأخرى إلى الأمصار المختلفة، فبعث نسخة مع عبد الله السائب المخزومي (ت: تقريباً عام٧٠هـ) إلى مكة، ونسخة مع أبي عبد الرحمن السلمي (ت:٤٧هـ) إلى الكوفة، ونسخة مع عامر بن عبد القيس (ت:٥٥هـ) إلى البصرة، ونسخة مع المغيرة بن شهاب المخزومي (ت:٩١هـ) إلى الشام، وكان هؤلاء القرّاء يقومون بتعليم الناس كيفية تلاوة القرآن(٣).

---

(١) ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١٩٧/١.
(٢) ظ: المصدر نفسه.
(٣) ظ: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ٣٣٠/١.

المرحلة الرابعة: قراءة التابعين: وهم خصوص القرّاء الذين لم يأخذوا القرآن مباشرة من فم الرسول ﷺ، بينما أخذوه من الصحابة، وأبرزهم: سعيد بن المسيب (ت:٩٢هـ)، وعبيد بن عميرات (ت:٧٤هـ)، ومجاهد بن جبر (ت:١٠٣هـ)، وعلقمة بن قيس(ت:٦٢هـ)، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي (ت:٧٢هـ)، وزر بن حبيش (ت:٨٢هـ)، وسعيد بن جبير (ت:٩٥هـ)، وعامر بن عبد القيس (ت:٥٥هـ)، ويحيى بن يعمر العدواني (ت:٩٠هـ)، ونصر بن عاصم (ت: قبل ١٠٠هـ)، والمغيرة بن أبي شهاب المخزومي (ت: بعد ٧٠هـ)، وغيرهم[١].

المرحلة الخامسة: تأسيس علم القراءات: بدأت هذه المرحلة أوائل القرن الثاني للهجرة، فكانت مرحلة ازدهار علم القراءات وذروته، حيث ظهرت المدارس والمذاهب المختلفة في القراءات، ومن قرّاء هذه المرحلة: القرّاء السبع.

المرحلة السادسة: تدوين القراءات: بدأت هذه المرحلة أوائل القرن الثالث الهجري، حيث نشطت فيها حركة تدوين القراءات، بفعل ظهور الاختلافات الكثيرة بين القرّاء، ما استدّعى القيام بوضع ضوابط وقواعد لهذا العلم، فكان أوّل من كتب في قراءات القرآن: أبو عبيد القاسم بن سلام (ت:٢٢٤هـ)، ثمّ أبو حاتم السجستاني (ت:٢٥٥هـ)، ثمّ أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)، ثمّ إسماعيل القاضي (ت:٢٨٢هـ).

المرحلة السابعة: حصر القراءات رسمياً: بدأت هذه المرحلة أواخر القرن الثالث الهجري، حيث بدأت عملية حصر القراءات رسمياً على يد ابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس (ت:٣٢٤هـ)، الذي كان أوّل من أضفى صبغة رسمية على ما يسمّى بالقراءات السبع.

---

(١) ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١٩٧/١.

سابعاً: القراء السبعة ورواتهم وسبب شهرتهم:

اختلف في القراء وعددهم، وتضاربت الآراء في منزلتهم وشهرتهم، فكان من عدهم سبعة، وآخر عشرة، وأوصلهم آخر أربعة عشر، إلا ان المشهور عند اغلب الباحثين هو العدد سبعة، يختلف عند بعضهم باسم او اسمين من القراء، فهم بحسب الأقاليم الإسلامية على النحو الآتي:

١. شيخ أهل المدينة: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم المدني (ت:١٦٩هـ)، اشتهر بنقل قراءته: ورش عثمان بن سعيد (ت:١٩٧هـ).
٢. شيخ أهل مكة: عبد الله بن كثير بن عمرو الداري (ت:١٢٠هـ)، أشهر من نقل قراءته تلميذه: البزي أحمد بن محمد المالكي (ت:٢٥٠هـ).
٣. شيخ أهل البصرة: أبو عمرو بن العلاء المازني (ت:١٥٤هـ)، أشهر من نقل قراءته تلميذه: الدوري أبو عمر حفص بن عمر البغدادي (ت:٢٤٦هـ).
٤. شيخ أهل الشام: عبد الله بن عامر اليحصبي (ت:١١٨هـ)، أشهر من نقل قراءته تلميذه: هشام بن عمار أبو الوليد السُلمي (ت:٢٤٥هـ).
٥. شيخ أهل الكوفة: عاصم بن بهدلة ابن أبي النجود الأسدي (ت:١٢٧هـ)، أشهر من نقل قراءته تلميذه: حفص بن سليمان الأسدي الكوفي (ت:١٨٠هـ).
٦. شيخ أهل الكوفة: حمزة بن حبيب الزيات (ت:١٥٦هـ)، أشهر من نقل قراءته تلميذه: خلف بن هشام أبو محمد البزار (ت:٢٢٩هـ).
٧. شيخ أهل الكوفة: علي بن حمزة الكسائي (ت:١٨٩هـ)، أشهر من نقل قراءته تلميذه: أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي (ت:٢٤٠هـ).

سبب شهرتهم:

ويبدو للباحث وبحسب ما افاده من العلماء[١] ان سبب شهرة هؤلاء القراء السبعة والاخذ بقراءتهم دون غيرهم يكمن في عدة أسباب منها:

أولاً: اختصاصهم بقراءة القرآن الكريم، فكان ان اشتدت بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم، بخلاف غيرهم من العلماء ممن كان قبلهم، أو في زمانهم، ممن نسب إليه القراءة، وعدت قراءتهم في الشواذ، إذ انهم لم يختصوا بقراءة القرآن، بل كانوا على الغالب اختصاصهم بعلم الفقه، أو الحديث، أو غير ذلك من العلوم.

ثانياً: إن قراءتهم وجدت مسندة لفظاً، أو سماعاً، حرفاً حرفاً، من أول القرآن إلى آخره، مع ما عرف من فضائلهم، وكثرة علمهم بوجوه القرآن.

ثالثاً: الثقة والضبط والأمانة وطول العمر في الملازمة للقراءة، والاتفاق على الأخذ عنهم، وأجماع أهل مصره على عدالتهم فيما نقل.

ثامناً: لماذا عدد القرّاء سبعة؟

كان الناس ما قبل المئتين للهجرة (٢٠٠هـ) بالبصرة على قراءة أبي عمرو ويعقوب، وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم، وبالشام على قراءة ابن عامر، وبمكة على قراءة ابن كثير، وبالمدينة على قراءة نافع. واستمروا على ذلك.

وبما ان أنواع اختلاف القراءات ربما تفوق الحصر، كالاختلاف في الحركات الإعرابية والبنائيّة، والتقديم والتأخير، والزيادة والنقصان، والمد والقصر والتخفيف والتشديد، والتّرقيق والتفخيم، والإخفاء والإظهار، والفك والإدغام، والإمالة والروم والإشمام، على اختلاف أنواعه، وغير ذلك مما فصّلتها كتب القراءات، وحصل

(١) ظ: مكي بن أبي طالب (ت:٤٣٧هـ)، الابانة، ص٩٧-٩٨، الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٢٥/١، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١٩٧/١، العاملي محمد الجواد النجفي (ت:١٢٢٦هـ)، مفتاح الكرامة، ٣٩١/٢.

الاختلاف فيها بين أئمة القرّاء السلف والخلف ومن ثم ازداد عدد القراء وربما استقل كل تلميذ عن أستاذه.

فقد جمع أبو عبيدة بن سلام (ت:٢٢٤هـ) القراءات وبلغت نحو خمس وعشرين قراءة[١]، ولكن ابن مجاهد (ت:٣٢٤هـ) شيخ قراء عصره في بغداد، حاول أن يضبط القراءات الكثيرة التي انتشرت في البلاد الإسلامية، وكان بعضها ليس موثقاً، فحاول أن يجمع القراءات، وأن يستخرج منها ما كان ثابتاً عن طريق الرواية المتواترة بنقل الثقات من القراء، فاعتمد سبع قراءات[٢]، ووثقها، وثبت لديه أن قراءها عرفوا بالثقة والضبط والأمانة، وعرفت هذه القراءات بالقراءات السبع. فكان ابن مجاهد بهذا (أوّل مَن سبّع السبعة)[٣].

ولم يكن عمله هذا مرضياً عند كثير من العلماء، ولم يكن النقد من معاصريه وحسب، بل عارضه قُراء معروفون من بعده[٤].

وعليه فإن الثابت لدى علماء القراءات أن القراءات ليست هي مصطلح الأحرف السبعة، وكلمة القراءات السبع هي التي أوجدت ذلك اللبس في المصطلحات، والقراءات ليست منحصرة بسبع قراءات، فهناك أكثر من ذلك كما اتضح.

لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا

(١) ظ: كتاب القراءات، ص٢٣.
(٢) ظ: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٣٨/١.
(٣) ابن خالويه (ت:٣٧٠هـ)، الحجة في القراءات السبعة، ص٤، ظ: ابن الجزري (ت:٨٣٣هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، ١٤٢/١.
(٤) قال أبو بكر بن العربي: (ليست هذه السبعة متعينة للجواز حتى لا يجوز غيرها كقراءة أبي جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم فإن هؤلاء مثلهم أو فوقهم) وكذا قال غير واحد منهم مكي وأبو العلاء الهمذاني وآخرون من أئمة القراء. للتوسعة ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٢١٥/١.

تاسعاً: شروط القراءة الصحيحة:

وضع بعض علماء القراءات شروط لضبط القراءة المقبولة، وهي:

الشرط الأول: موافقة العربية ولو بوجه: ومعنى هذا الشرط أن تكون القراءة موافقة لوجه من وجوه النحو، ولو كان مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله، فلا يصح مثلاً الاعتراض على قراءة حمزة. ﴿**وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ**﴾[١] بجر الأرحام.

الشرط الثاني: موافقة خط أحد المصاحف ولو احتمالاً: وذلك أن النطق بالكلمة قد يوافق رسم المصحف تحقيقاً إذا كان مطابقاً للمكتوب، وقد يوافقه احتمالاً أو تقديراً باعتبار ما عرفنا أن رسم المصحف له أصول خاصة تسمح بقراءته على أكثر من وجه. مثال ذلك: {ملك يوم الدين} رسمت {ملك} بدون ألف في جميع المصاحف، فمن قرأ: (ملك يوم الدين) بدون ألف فهو موافق للرسم تحقيقياً، ومن قرأ: {مالك} فهو موافق تقديراً، لحذف هذه الألف من الخط اختصاراً.

الشرط الثالث: صحة السند: أي أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله حتى المنتهى، وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له، غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم.

وقد اختلف تعبير العلماء عن هذا الشرط، فعبر عنه بعضهم باشتراط التواتر؛ وهو أن تعلم القراءة من جهة راويها ومن جهة غيره ممن يبلغ عددهم التواتر في كل طبقة. وذلك لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر بالاتفاق.

والحقيقة أن مؤدى القولين واحد، وذلك لأن القراءات إنما نسبت لأشخاص معدودين لأنهم هم الذين تصدوا للإقراء واشتهروا بين الناس، وهذا لا يعني أن أسانيد

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

القراءات متوقفة على أولئك، بل الواقع أن كل قراءة إنما نقلت بنقل أهل المنطقة التي فيها هذا القارئ كلهم.

مما سبق يتبين من الشروط التي وضعها العلماء أن كل قراءة توفرت فيها الشروط السالفة الذكر فهي قراءة مقبولة، وهذه الشروط يجب ان تكون مجتمعة، ويبدو ان الشرط الأساس هو التواتر، ولكن لا بد من مراعاة الشرطين الآخرين[١].

عاشراً: سبعة أشياء يحتاجها من أراد علم القراءات:

١. علوم العربية من نحو وصرف.
٢. التجويد: وهو معرفة المخارج والصفات.
٣. علم رسم المصاحف.
٤. الفواصل: وهو فن عدد الآيات.
٥. الوقف والابتداء.
٦. علم الأسانيد: وهو من أعظم ما يحتاج إليه القارئ لأن القرآن سنة متبعة ونقل محض.
٧. علم الابتداء والختم: وهو الاستعاذة والتكبير ومتعلقاتهما.

(١) سيأتي الكلام – ان شاء الله تعالى – عن التواتر في القراءات من عدمه.

الحادي عشر: إشكالية العلاقة بين القرآن والقراءات

للعلماء والباحثين في القول بعلاقة القراءات بالقرآن نظرة متأرجحة بين التقديس والمناقشة، فمن يقدسها يعتبرها قرآناً، ومن يناقشها يعتبرها علماً بكيفية أداء كلمات القرآن، وفرق بين القرآن وأداء القرآن، ويمكن إجمال العلاقة بين القرآن والقراءات إلى ثلاثة آراء وعلى النحو الآتي:

الرأي الأول: القرآن والقراءات حقيقة واحدة، قال الباقلاني (ت:٤٠٣هـ): (أن القراءات قرآن منزل من عند الله تعالى، وأنها تنقل خلفاً عن سلف، وأنهم أخذوها من طريق الرواية، لا من جهة الاجتهاد، لأن المتواتر المشهور أن القراء السبعة إنما أخذوا القرآن رواية، لأنهم يمتنعون من القراءة بما لم يسمعوه)[١].

ومن المؤيدين المعاصرين لهذا الرأي الدكتور محمَّد سالم محيسن (ت:١٤٢٢هـ)، إذ يرى ان أحاديث نزول القرآن على الأحرف السبعة تدل دلالةً واضحة على أنَّه لا فرق بين كلٍّ من القرآن والقراءات، إذ كلّ منهما الوحي المنزل على النبي ﷺ[٢].

الرأي الثاني: القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، ذهب الى هذا الرأي الزركشي (ت:٧٩٤هـ)، واعتبر القرآن حقيقة، والقراءات حقيقة أخرى فقال: (والقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن: هو الوحي المنزل على محمد للبيان والإعجاز، والقراءات: اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما)[٣].

---

(١) نكنت الانتصار لنقل القرآن، ص٤١٥.
(٢) ظ: في رحاب القرآن، ٢٠٩/١.
(٣) البرهان في علوم القرآن، ٣١٨/١.

وقد وافقه من المتأخرين السيد الخوئي (ت:١٤١٣هـ) وازداد عليه حيث قال: (إنها غير متواترة، بل القراءات بين ما هو اجتهاد من القارئ وبين ما هو منقول بخبر الواحد)[١].

وقد حشد لهذا الرأي جملة من الأدلة – نذكرها لاحقاً – خلص منها إلى عدم تواتر القراءات، وأنها نقلت بأخبار الآحاد.

وبهذا الرأي أيضاً قال به أستاذنا الدكتور محمد حسين الصغير، إذ قال: (الحق أن لا علاقة بين حقيقة القرآن وحقيقة القراءات، فالقرآن هو النص الإلهي المحفوظ، والقراءات أداء نطق ذلك النص إتفاقاً أو اختلافاً، والقرآن ذاته لا اختلاف في حقيقته إطلاقاً)[٢].

الرأي الثالث: يرى أصحاب هذا الرأي ان القراءة التي تتحقق فيها شروط القراءة الصحيحة: (صحة السند، موافقة العربية، ومطابقة الرسم) تُعدّ قرآناً، والقراءة التي يتخلف فيها ولو شرط واحد، فتُعدّ قراءة فقط[٣].

والمشهور من هذه الآراء هو **الرأي الثاني**، وهو ما نميل إليه، وذلك لأسباب من أهمها ان القرآن الكريم مقطوع في تواتره وأما القراءات ففي تواترها نقاش، ومن ثم فهي ليست توقيفية، وبالتالي فهي غير القرآن الكريم.

العلماء القائلين بعدم تواتر القراءات:

ومن العلماء الذين يفهم منهم عدم تواتر القراءات المفسر الطبري (ت:٣١٠هـ) إذ كان غالباً ما يفضل قراءة على أخرى من القراءات المشهورة[١].

---

(١) البيان في تفسير القرآن، ص١٢٣.
(٢) تاريخ القرآن / دراسات قرآنية، ص١٢٣.
(٣) للتوسعة ظ: محمد عطا سعيد رمضان، خلاصة التحقيقات في الرد على الشبهات والتصورات، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص٢٦١، د. سيد محمد ولد عبد الله، السند القرآني دراسة وتأصيل السند الشنقيطي نموذجاً، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٣٣.

وكذلك ما نلحظه عند المفسر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) الذي كثيراً ما كان يطعن في القراءات المتواترة والتقليل من شأنها وتضعيفها أو الطعن في القراءة من خلال اتهام القارئ بالخطأ أو الراوي بالوهم وعدم الدقة بالنقل[٢].

واستشكل المفسر فخر الدين الرَّازي (ت:٦٠٦هـ) على القائلين بالتواتر، فقال: (اتفق الأكثرون على أن القراءات المشهورة منقولة بالنقل المتواتر وفيه إشكال: وذلك لأنا نقول: هذه القراءات المشهورة إما أن تكون منقولة بالنقل المتواتر أو لا تكون، فإن كان الأوَّل فحينئذٍ قد ثبت بالنقل المتواتر أن الله تعالى قد خير المكلفين بين هذه القراءات وسوى بينها في الجواز، وإذا كان كذلك كان ترجيح بعضها على البعض واقعاً على خلاف الحكم الثابت بالتواتر، فوجب أن يكون الذاهبون إلى ترجيح البعض على البعض مستوجبين للتفسيق إن لم يلزمهم التكفير، لكنا نرى أن كلّ واحد من هؤلاء القراء يختص بنوع معين من القراءة، ويحمل الناس عليها ويمنعهم من غيرها، فوجب أن يلزم في حقهم ما ذكرناه، وأما إن قلنا إن هذه القراءات ما ثبتت بالتواتر بل بطريق الآحاد فحينئذٍ يخرج القرآن عن كونه مفيداً للجزم والقطع واليقين، وذلك باطل بالإجماع، ولقائل أن يجيب عنه فيقول: بعضها متواتر، ولا خلاف بين الأمة فيه، وتجويز القراءة بكل واحد منها، وبعضها من باب الآحاد وكون بعض القراءات من باب الآحاد لا يقتضي خروج القرآن بكليته عن كونه قطعياً، والله أعلم)[٣].

أما أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن (ت:٦٦٥هـ) يقول في مسألة التواتر: (فالحاصل إنا لسنا ممن يلتزم التواتر في جميع الألفاظ المختلف فيها بين القراء، بل

---

(١) ظ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣٢٢/٣.
(٢) للتوسعة في الشواهد ظ: محمد محمود الدومي، القراءات المتواترة في تفسير الزمخشري – دراسة نقدية، ص٣٠٧.
(٣) تفسير مفاتيح الغيب، ٥٥/١.

القراءات كلها منقسمة إلى متواتر وغير متواتر، وذلك بين لمن أنصف وعرف وتصفح القراءات وطرقها)[١].

ومن المعاصرين الدكتور طه حسين (ت:١٩٧٣م) ذهب إلى عدم تواتر هذه القراءات عن النبي ﷺ بل هي – عنده – ليست من الوحي في شيء ويميل إلى انها مظهر من مظاهر اختلاف اللهجات، يقول: (وهنا وقفة لابدَّ منها، ذلك أن قوماً من رجال الدين فهموا أن هذه القراءات السبع مواترة عن النبي نزل بها جبريل على قلبه، فمنكرها كافر من غير شك وريبة. ولم يوفقوا لدليل يستدلون به على ما يقولون سوى ما روي في الصحيح من قوله (ﷺ): (أنزل القرآن على سبعة أحرف)، والحق أن ليست هذه القراءات السبع من الوحي في قليل ولا كثير وليس منكرها كافراً ولا فاسقاً ولا مغتمزاً في دينه، وإنما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها ... فانت ترى أنَّ هذه القراءات التي عرضناها إنما هي مظهر من مظاهر اختلاف اللهجات)[٢].

اما عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام، حيث أجمعت الإماميَّة على عدم تواتر هذه القراءات[٣].

وأن هذه القراءات اخبار آحاد تنسب إلى اجتهادات رواتها، والقراءات كثيرة، وهي مبتنية على اجتهادات ظنية توجب تغيير كيفية القراءة، واستمد الإماميَّة اجماعهم

---

(١) المرشد الوجيز، ص١٧٧.
(٢) في الأدب الجاهلي، ص٩٥.
(٣) خالف بعض علماء الإمامية هذا المشهور وقالوا بتواتر القراءات ومنهم: العلامة الحلي (ت:٧٢٦هـ) حيث قال: (يجوز أن يقرأ بأي قراءة شاء من السبع لتواترها أجمع)، المنتهى، ٢٧٣/١، وتابعه الشهيد الأول الشيخ محمَّد بن جمال الدين مكي العاملي (ت:٧٨٦هـ) من الإمامية إلى أن القراءات متواترة، ومجمع على جواز القراءة بها، وتابعه الخوانساري في ذلك، ونفى الخلاف في حجية السبع منهم مطلقاً، والثلاث المكملة للعشر في الجملة، بل اعتبر تواترها بوجوهها السبعة عن رسول الله ﷺ عند قاطبة أهل الإسلام، ظ: الخوانساري، روضات الجنات، ص٢٦٣، الشهيد الأول العاملي، ظ: ذكرى الشيعة، ص١٨٧، مفتاح الكرامة، ٢٩٠/٢.

هذا، من أحاديث صحيحة وردت عن أهل بيت العصمة عليهم السلام تثبت هذه الحقيقة وتؤكدها، فمن هذه الروايات:

عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: (إن القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الإختلاف يجيئ من قبل الرواة)[١].

وقال الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ) وهو يتحدث عن رأي الإمامية في الموضوع: (واعلموا أن العرف من مذهب أصحابنا، والشائع من أخبارهم ورواياتهم أن القرآن نزل بحرف واحد، على نبي واحد)[٢].

وقد حكى الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) الإجماع عليه فقال: (إعلم أن الظاهر من مذهب الإمامية أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما تتداوله القراء بينهم من القراءات، إلا أنهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء، وكرهوا تجريد قراءة مفردة)[٣].

وقال الشيخ محمد جواد البلاغي (ت:١٩٣٣م) (وأن القراءات السبع فضلاً عن العشر إنما هي في صورة بعض الكلمات لا بزيادة كلمة أو نقصها، ومع ذلك ما هي إلا روايات آحاد عن آحاد لا توجب اطمئناناً ولا وثوقاً فضلاً عن وهنها بالتعارض ومخالفتها للرسم المتداول بين عامة المسلمين في السنين المتطاولة..، فيا للعجب ممّن يصف هذه القراءات السبع بأنَّها متواترة!!)[٤].

ومن المعاصرين السيد الخوئي حيث فصل فيه القول، وبعد أن ساق أدلة الفريقين أصحاب التواتر وعدمه، رجَّح كون هذه القراءات غير متواترة بل التواتر

---

(١) الكليني، الكافي، ٦٣/٢.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، ٧/١.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، ٢٢/١.
(٤) آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ٢٩/١.

للقران نفسه دونها وتواتر القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان واستدل السَّيد الخوئي على مذهبه بأمور نلخصها في[١]:

الأوَّل: إن استقراء حال الرواة يورث القطع بأن القراءات نقلت الينا بأخبار الآحاد، فكيف تصح دعوى القطع بتواترها عن القراء، على أن بعض هؤلاء الرواة لم تثبت وثاقته.

الثاني: إن التأمل في الطرق التي أخذ عنها القراء، يدلنا دلالة قطعية على أن هذه القراءات إنما نُقِلت إليهم بطريق الآحاد.

الثالث: اتصال أسانيد القراءات بالقراء أنفسهم يقطع تواتر الأسانيد حتى لو كان رواتها في جميع الطبقات ممن يمتنع تواطؤهم على الكذب، فإن كلّ قارئ إنما ينقل قراءته بنفسه.

الرابع: احتجاج كلٍّ قارئ من هؤلاء على صحة قراءته، واحتجاج تابعيه على ذلك أيضاً، وإعراضه عن قراءة غيره دليل قطعي على أن القراءات تستند إلى اجتهاد القراء وآرائهم، لأنها لو كانت متواترة عن النبي ﷺ، لم يحتج في إثبات صحتها إلى الاستدلال والاحتجاج.

الخامس: إنَّ في إنكار جملة من أعلام المحققين على جملة من القراءات دلالة واضحة على عدم تواترها، إذ لو كانت متواترة لما صح هذا الإنكار فهذا ابن جرير الطبري أنكر قراءة "عبد الله ابن عامر الدمشقي"، وطعن في كثير من المواضع في بعض القراءات المذكورة في السبع، وطعن بعضهم على قراءة "حمزة الكوفي"، وبعضهم على قراءة "أبي عمرو البصري"، وبعضهم على قراءة "ابن كثير المكي". وأن كثيراً من العلماء أنكروا تواتر ما لا يظهر وجهه في اللّغة العربية، وحكموا بوقوع الخطأ فيه من بعض القراء.

---

(١) ظ: البيان في تفسير القرآن، ص١٦٤.

إذن الفرق بين القرآن والقراءات ان القرآن (منقول)، والقراءات (علم) و(مذهب)، ولا يحتاج التفريق بين ما هو منقول وما هو مذهب إلى إطالة حديث، فالنقل لا يسمح بتدخل الرأي، ولا يحق للناقل التبديل أو التغيير أو الاختيار، أما في القراءات فهي علم مخصوص وفن مدون ذي مسائل مخصوصة منضبطة بوحدة موضوعها وغايتها فللرأي دخل فيها، ولذلك فإن علماء القراءات يؤكدون على أن (الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على خط المصاحف والكتب)[١] حرصاً على ألا يتم التداخل والخلط بين المصطلحين.

أي القراءات أرجح؟

وأما أيها أرجح فلا يبعد أن يقال: إن الراجح من بين القراءات هو القراءة بما في القرآن الكريم الذي بين أيدينا، فإن المعروف هو موافقته لقراءة عاصم، الذي أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن السلمي. وروى عن حفص الأسدي أنه قال: قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي عليه السلام[٢].

فهي كما تبدو قراءة شيعيّة خالصة، رواها حفص – وهو من أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام – عن شيخه عاصم – وهو من أعيان شيعة الكوفة الأعلام – عن شيخه السّلمي – وكان من خواصّ الإمام عليّ عليه السلام – عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله عز وجل[٣].

كما وان هناك روايات داعمة للأخذ بالقراءات المشهورة والمتعارف عليها عند عامة المسلمين، ومن هذه الروايات ما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام إذ قال:

---

(١) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٦/١، ظ: الآلوسي، تفسير روح المعاني، ٢١/١.
(٢) ظ: الواسطي ابي العز محمد (ت:٥٢١هـ)، الكفاية الكبرى في القراءات العشر، ص٨٥.
(٣) ظ: الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٣٩/٥، محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٢٠١/٦، محمد هادي معرفة، تلخيص التمهيد، ص٣٤٠، ومع هذا كله مازلنا نبتلى ببعض نفر من تلامذة الوهابية يقومون بنقل أسانيد القراء السبعة ويقولون هذا تواتر القرآن عندنا فأين تواتر القرآن عند الشيعة!.

(إقرؤا كما علمتم)[١]، وأخرى حينما ذكر الراوي أنه يسمع حروفاً من القرآن ليست على ما يقرأ الناس، قال له الإمام عليه السلام: (اقرأ كما يقرأ الناس)[٢].

فكان موقف علماء الإمامية من القراءات هو ما قرره الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، قال الشيخ الطوسي عنهم: (أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء، وأن الإنسان مخير بأي قراءة شاء قرأ، وكرهوا تجريد قراءة بعينها، بل أجازوا القراءة بالمجاز الذي يجوز بين القراء، ولم يبلغوا بذلك حد التحريم والحظر)[٣].

وعلى غرار ذلك ذهب السيد الخوئي؛ إذ جوز بها الصلاة نظراً لتقرير المعصومين لها، وذلك عنده يشمل كل قراءة متعارفة زمن أهل البيت عليهم السلام إلا الشاذة فلا يشملها التقرير[٤].

وعليه نلحظ ان (فقهاء الشيعة يفتون بجواز قراءة القرآن بالقراءات المشهورة، وكون القراءات السبع مجزية عندهم)[٥].

الثاني عشر: القراءات القرآنية في الوقت الحاضر:

دأب علماء القراءة بعد عصر ابن مجاهد (ت:٣٢٤هـ)، على رواية القراءات السبع، والتأليف فيها، وزاد بعضهم القراءات الثلاث المتممة للعشر، وصارت القراءات العشر مدار القراءة والإقراء، ولكن صار جمهور الناس يكتفون بضبط قراءة واحدة يتلون بها كتاب الله تعالى، وأدى ذلك خلال القرون المتلاحقة الى انتشار قراءات معينة وانحسار أخرى، بحيث صارت لا تُعرف إلا في الكتب، ولا يضبطها إلا المتخصصون بدراسة القراءات وروايتها.

---

(١) الكليني، الكافي، ٦٣١/٢.
(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٨٢١/٤.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، ٧/١.
(٤) ظ: البيان في تفسير القرآن، ص١٦٤.
(٥) مركز الأبحاث العقائدية، موسوعة الأسئلة العقائدية، ٢٢/٥.

ونلحظ أكثر القراءات انتشاراً في العالم الإسلامي اليوم قراءة عاصم برواية حفص، ويقرأ المسلمون في بلاد المغرب برواية ورش عن نافع.

أسباب انتشار قراءة حفص عن عاصم[١]:

١. يسر القراءة وسهولتها مقارنةً بغيرها من القراءات.
٢. اشتهار الرواية في دار الخلافة بالكوفة، حيث كان يفد إليها الطلاب والعلماء، ثم انتقالها إلى بغداد مع انتقال حفص إليها، كما قرأ بمكة التي تعد ملتقى علماء المسلمين، الأمر الذي سهّل انتشارها في مختلف مناطق العالم.
٣. تفرّغ حفص لهذه القراءة بخلاف غيره من القراء، وشدة إتقانه له، وقوّة سنده أدّى إلى تمكينها في نفوس القراء، وساعد على انتشارها.
٤. كثرة الإقبال على هذه القراءة بالتلقين، والتدوين، والإقراء.
٥. تدوين المصاحف بما يوافق هذه القراءة.
٦. تسجيل القرآن صوتياً لأوّل مرة بهذه القراءة.
٧. تدريس القرآن بهذه القراءة في المدارس، والجامعات، والمعاهد، والكتاتيب.

أما **سبب انتشار قراءة ورش[٢] عن نافع في بلاد المغرب العربي،** هو اعتناء المغاربة بها عناية فائقة، وذلك موازاة مع المذهب المالكي الذي اختاروه مذهباً فقهياً لهم، والتلاوة الرسمية الوحيدة التي يستند إليها في التعليم والقراءة والدراسة، وغير

---

(١) تقدم القول ان رواها حفص وهو من أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن شيخه عاصم وهو من أعيان شيعة الكوفة الأعلام عن شيخه السّلمي وكان من خواصّ الإمام عليّ عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله عز وجل.

(٢)هو عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش شيخ القراء المحققين وإمام أهل الأداء المرتلين انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه. ولد سنة ١١٠هجرياً بمصر ورحل إلى الإمام نافع بن أبي نعيم بالمدينة المنورة فعرض عليه القرءان عدة ختمات في سنة و١٥٥ هجريا. وكان أشقر أزرق أبيض اللون قصيراً ذا كدنة هو إلى السمنة أقرب منه إلى النحافة، فقيل إن نافعاً لقبه بالورشان لأنه كان على قصره يلبس ثياباً قصاراً وكان إذامشى بدت رجلاه مع اختلاف ألوانه فكان نافع يقول: هات ياورشان واقرأ ياورشان وأين ورشان ثم خفف فقيل: ورش والورشان طائر معروف.

ذلك... فنافع القارئ الذي أخذ عنه ورش روايته، كان شيخاً للفقيه مالك. كما ونتشرت قراءة ورش في شمال أفريقيا، وغربها، وفي الأندلس، وهي أكثر القراءات شيوعاً في العالم الإسلامي بعد رواية حفص.

أوجه اختلاف روايتي حفص وورش:

الاختلاف في (روايتي) قراءتي حفص اختلافٌ متعدِّد الجوانب، سواءً في الكلمات أو في نطقها أو في تجويدها، ولذلك سأكتفي بذكر خمسة أمثلةٍ للاختلاف بينهما في القراءة؛ اثنين في الياء، وواحد في النون الساكنة، وواحد في هاء الكناية، وواحد في المد، وعلى النحو الآتي:

المثال الأول: في الياء:

* الياء التي بعدها همزة قطعٍ مفتوحة: مثل قول الله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ**﴾[١]، فقد قرأها حفص بالتسكين (أوزعنيْ أن أشكر)، وقرأها ورش بالفتح (أوزعنيَ أن أشكر).

* الياء التي بعدها همزة قطعٍ مكسورة: مثل قول الله تعالى: ﴿**مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ إِنَّهُ هو العَلِيمُ الحَكِيمُ**﴾[٢]، قرأها حفصٌ بالتسكين (وبين إخوتيْ إنَّ ربِّي)، وقرأها ورشٌ بالفتح (وبين إخوتيَ إنَّ ربِّي).

المثال الثاني: في النون الساكنة: مثل قول الله تعالى: **(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)**[٣] قرأها ورشٌ عند الوصل بإظهار النون، وقرأها حفصٌ عند الوصل بالإدغام.

---

(١) سورة الاحقاف، الآية: ١٥.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.
(٣) سورة القلم، الآية: ١.

المثال الثالث: في هاء الكناية: هاء الكناية إذا جاء بعدها حرفٌ ساكنٌ فإنَّ حفص وورش –ومعظم القراء– يحذفون الصلة، أي لا تُمدُّ الهاء مدًّا طبيعيًّا إذ التقاؤها بالحرف الساكن يمنعها من المدّ، مثل قول الله تعالى: ﴿عْلَمْهُ اللهُ﴾[١]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ﴾[٢]، إلا في حالةٍ واحدةٍ عند حفص – ويوافقه فيها من القراء ابن كثير– وهي قول الله تعالى: (ويخلد فيهِ مهانا)، فقد قرأها حفص بالوصل، وهي بحذف الصلة عند ورش.

المثال الرابع: في المدّ: في قول الله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٣]، قرأها حفصٌ بإثبات المدِّ (مالك)، وقرأها ورش (ملك) بدون مدّ.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٩.
(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.
(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

ثانياً: الأحرف السبعة

ولتتمة موضوع قراءات القرآن الكريم نرى لابد من بحث موضوع الأحرف السبعة فهو من الأبحاث التي كثرت فيها أقوال العلماء وتضاربت فيه آراءهم، ولم يختلفوا في موضوع مثلما اختلفوا في تفسير هذه الأحرف السبعة والمراد بها، وحقيقة العدد (سبعة)، وبقاء الأحرف للآن أم أنها اندثرت، فقد تعددت الآراء فيها حتى بلغت الى الأربعين قولاً[١]؛ مما جعله شائكاً غامضاً في أذهان الكثيرين من طلبة العلم فضلاً عن غيرهم[٢]، على الرغم من كثرة روايات الحديث الواردة.

وهل ان القرآن الكريم نزل بحرف واحد أم بسبعة أحرف؟ وما هو مضمون حديث الأحرف السبعة؟

وللاجابة على هذا التساؤول نلحظ ان هناك اتجاهين، هما:

الاتجاه الأول: ان القرآن نزل بحرف واحد:

أي ان في القرآن الكريم قراءة واحدة، وهو ما اتفق عليه في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وانه نزل على حرف واحد.

فقد روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قوله: (أن القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة)[٣].

---

(١) ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٣٠٩/١.
(٢) ومن ههنا نفقه سبب تلك الإجابة السريعة للأديب عباس محمود العقاد، وقد سأله أحد المذيعين: لو أنك التقيت برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فعن أي شيء كنت سائله؟ فأجاب على الفور: (كنت أسأله عن معنى الأحرف السبعة). نقلاً عن: د. عبد الفتاح أبو سنة، علوم القرآن، ص٥٣.
(٣) الكليني، الكافي، ٦٣٠/٢.

وروي عن الفضيل بن يسار (ت:١٤٨هـ) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أن الناس يقولون إن القرآن نزل على سبعة أحرف فقال عليه السلام: (كذبوا أعداء الله ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد)[١].

ومنها ما روي عن سليمان بن صُرد (ت:٦٥هـ) عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (أتاني جبرئيل فقال: اقرأ القرآن على حرف واحد)[٢].

ويدل عليه أيضاً: أن عثمان جمع الناس على قراءة واحدة كما اتضح فهو اعتراف ضمني بأن القرآن واحد نزل بقراءة واحدة وإلا لما كان له أن يمنع القراءات الأخرى ويحمل الناس على قراءة واحدة.

وقد تبنى هذا الإتجاه أكثر من واحد من مصنفي مدرسة الصحابة وصرحّوا بأن سبب الاختلاف في القراءات هو خلو المصاحف الأولى من النقط والشكل. فقد نقل ذلك عن ابن أبي هاشم[٣]، وابن جرير الطبري[٤] وغيرهما.

وأما روايات (سبعة أحرف) الواردة في نصوص مدرسة أهل البيت عليهم السلام – ان صح ضبطها[٥] – فيمكن توجيه مضمونها الى سبعة أوجه من المعاني.

فعن الإمام علي عليه السلام قال: (إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كل منها شاف كاف، وهي أمر، وزجر وترغيب، وترهيب، وجدل، ومثل، وقصص...)[٦].

---

(١) الكليني، الكافي، ٦٣٠/٢.
(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ٣٤/٢.
(٣) ظ: القسطلاني، فتح الباري، ٢٨/٩.
(٤) ظ: د. محمد حسين الصغير، تاريخ القران، ص١٠٧.
(٥) إذ ان حديث الاحرف السبعة الوارد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام فيه كلام بصحته وقيمته العلمية، للتوسعة ظ: د. عبد الرسول الغفاري، القراءات والأحرف السبعة، ص١٣٩.
(٦) المجلسي، بحار الأنوار، ٤/٩٠.

وعن حماد ابن عثمان قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الأحاديث تختلف عنكم قال: فقال: إن القرآن نزل على سبعة أحرف وأدنى ما للإمام أن يفتي على سبعة وجوه، ثم قال: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١])[٢].

وعن زرارة (ت:١٤٨هـ) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: (تفسير القرآن على سبعة أحرف منه ما كان ومنه ما لم يكن بعد ذلك تعرفه الأئمة)[٣].

ونلحظ ان الأحاديث هنا تؤكد ان المراد بسبعة أحرف هو أوجه، أي سبعة معاني لا سبع قراءات. وهذا هو الفارق بين تفسير بعض اتباع مدرسة الصحابة – كما سيأتي – وتفسير مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وإن اتفقوا على تفسير الحرف بالوجه.

الاتجاه الثاني: نزل القرآن على سبعة أحرف

إن حديث "نزول القرآن على سبعة أحرف" متواتر لدى بعض الفرق من المسلمين، ولا يكاد يخلو منه أي من المجاميع الحديثية المعتبرة عندهم، وللحديث طرق عديده عندهم نكتفي منها ما رواه البخاري عن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (أقرأني جبرئيل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده حتى انتهي إلى سبعة أحرف)[٤].

وقد تعددت أقوال الباحثين حول مضمون حديث الأحرف السبعة في مدرسة الصحابة تصل بعضها الى خمسة وثلاثين قولاً[٥]، وأوصلها آخر الى أربعين قولاً[٦]،

---

(١) سورة ص، الآية: ٣٩.
(٢) الصدوق، الخصال، ص٣٥٨.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٩٨/٨٩.
(٤) البخاري، صحيح البخاري، ٨٠/٤.
(٥) ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٢٥٧/١، محمد هيثم فخري الدالاتي، من قضايا القرآن الكريم الأحرف السبعة، ص٢١.
(٦) ظ: الزرقاني، مناهل العرفان، ١٤٨/١.

ومنهم من توقف عن القول في مضمونه[١]، إلا ان بعض الباحثين فيها يرى مجتهداً أن توجيه حديث الأحرف السبعة هو ان القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف، فهم يرون أن الأحرف السبعة هي القراءات[٢].

أي ان للمعنى الواحد في القرآن الكريم سبع لغات، وهذا بمنزلة قولك: (هلمَّ، تعالَ، أقبِل) فهي وإن اختلفت في لفظها فقد اتحدت في معناها ولم تتخالف.

فيكون ههنا تعريف الأحرف السبعة عندهم: هي (سبعة أوجه فصيحة من اللغات والقراءات أنزل عليها القرآن الكريم)[٣].

حتى أن بعضهم يرى ان عثمان بن عفان فرّق هذه القراءات على المصاحف التي دوّنها لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله تعالى وكما سمعت من رسول الله ﷺ، وهذا هو سبب اختلاف رسوم مصاحف أهل الأمصار[٤]. أي انها ترجع إلى أمور يحتملها جميعاً رسم القرآن الكريم على كتبته الأصلية دون إعجام وحركات.

أسباب عدم القول بأن الأحرف السبعة المراد منها القراءات:

تقدم في مبحث القراءات ان القراءات السبعة ليست هي المراد من الأحرف السبعة، ولتمام الاستدلال بذلك نذكر الأسباب الآتية:

---

(١) سئل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – صاحب تفسير أضواء البيان – عما ترجح لديه في معنى حديث الأحرف السبعة فقال: (الذي ترجح لدي أني لا أعرف معناه). د. عبد العزيز القارئ، حديث الأحرف السبعة، ص٥.

(٢) ظ: الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، ٥٧/١، د. يوسف مرعشلي، علوم القرآن، ص٣٢٢، د. محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن، ص١٧١، عبد الله بن يوسف، الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص٧٥، د. غانم قدوري الحمد، محاضرات في علوم القرآن، ص١١٣.

(٣) د. يوسف مرعشلي، علوم القرآن الكريم، ص٣٢٢.

(٤) السيد جعفر مرتضى، حقائق هامة، ص ٢٢٠.

أولاً: إن هذه الرواية معارضة بما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وهم أعلم بما نزل فيه من أن القرآن الكريم واحد نزل من عند الواحد، على حرف واحد وأن الاختلاف يأتي من قبل الرواة كما تقدم.

ثانياً: لا دليل على أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبعة، فإن بعض الروايات فسّرت الأحرف بأنها أساليب القرآن من الأمر والنهي والترغيب والترهيب والجدل والأمثال والقصص[١]، ويظهر من روايات أخرى أن الأحرف إشارة إلى معاني القرآن وتأويلاته، فقد روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: (تفسير القرآن على سبعة أوجه، منه ما كان، ومنه ما لم يكن بعد، تعرفه الأئمة)[٢]. واختلاف الباحثين في مدرسة الصحابة في توجيه مضمون الحديث كما تقدم.

ثالثاً: إن روايات أحرف القرآن متضاربة، فبعضها يقول إنها سبعة وبعضها يقول إنها خمسة وبعضها يقول إنها أربعة وربما ثلاثة فلا يعلم الصحيح منها.

رابعاً: إن كان المراد من هذا الوجه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد جوز تبديل كلمات القرآن الموجودة بكلمات أخرى تقاربها في المعنى، ويشهد لهذا بعض الروايات المتقدمة، فهذا الاحتمال يوجب هدم أساس القرآن، المعجزة الأبدية، والحجة على جميع البشر. إذ إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم براء بن عازب دعاء كان فيه: (آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت)، فقرأ براء: (ورسولك الذي أرسلت)، فأمره صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يضع الرسول موضع النبي[٣].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ٩٤/٤.
(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٩٧/٢٧.
(٣) ظ: البخاري، صحيح البخاري، ٦٧/١.

فتلحظ أنه ﷺ لم يسوغ لمن علمه الدعاء مخالفة اللفظ ما بالك في لفظ القرآن الكريم! قال السيد الخوئي: (فإذا كان هذا في الدعاء، فماذا يكون الشأن في القرآن؟)[١].

والنتيجة أن مقولة تفسير الأحرف السبعة بالقراءات غير مقبولة ولا يصح الاعتماد عليها.

ومن هنا فرق علماؤنا الأعلام بين تواتر القراءات فردوها وبين تواتر القرآن، أذ لا تلازم بينهما، فالقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان – كما تقدم –، فالقرآن هو الوحي المنزل على الرسول ﷺ والقراءات هي اختلاف في كتابة الألفاظ أو تلفظها، وقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (ان القرآن واحد نزل من واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة)[٢]، وقال السيد الخوئي: (ان تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات، لان الاختلاف في كيفية تعبير الكلمة لا ينافي الاتفاق على أصلها، كما ان الاختلاف في خصوصيات حدث تأريخي كالهجرة مثلاً لا ينافي تواتر نفس الحدث، على أن الواصل الينا بتوسط القراء انما هو خصوصيات قراءاتهم، وأما أصل القرآن فهو واصل الينا بالتواتر بين المسلمين، وبنقل الخلف عن السلف وتحفظهم عليه في الصدور وفي الكتابات ... الخ)[٣].

ومن ثم نقول: إن القراءة الصحيحة هي القراءة المشهورة بين المسلمين التي تلقتها الأمة بالقبول وتركت الشاذ المخالف لها وانكرت على من يقرأ بها، فهي متواترة جيلاً بعد جيل، وذكر بعض العلماء ان تجتمع لها ضوابط هي: موافقتها مع ما هو مكتوب في الرسم القرآني، وموافقتها للأفصح والافشى في العربية، وان لا يعارضها دليل قطعي.

---

(١) البيان في تفسير القرآن، ص١٨١.
(٢) الكليني، الكافي، ٢/٦٣٠.
(٣) البيان في تفسير القرآن، ص١٧٣.

وقد كانت القراءة المعروفة والمشهورة بين المسلمين هي قراءة عاصم برواية حفص، وليس ذلك التزاماً بقراءة أحد القراء حتى يفرض بالفرق، بل إذا عرفنا أن عاصماً من القراء المعروفين كان ضابطاً متقناً محتاطاً فيمن يأخذ عنه كان حريصاً على الالتزام بما يوافق قراءة العامة والرواية الصحيحة المتواترة عند المسلمين، فان الامر بالحقيقة هو الاخذ بقراءة المسلمين التي اتبعها عاصم لا أخذ المسلمين بقراءة عاصم.

مع أن عاصماً أخذ عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي عليه السلام وكان يعرض قراءته على زر بن حبيش عن ابن مسعود، فلاحظ!

مصير الأحرف السبعة: من يقول بوجود الأحرف السبعة يلحظ انها جواز القراءة بالأحرف الستة الأخرى غير الذي كان يكتب به القرآن إنما كان رخصة اقتضاها حال العرب في صدر الإسلام لما يلحظ من اختلاف اللهجات وشيوع الأمية. فلما صهرهم الدين وجمعهم القرآن وتقلصت الأمية انتهت الرخصة وانحسرت الحاجة إليها، وعاد الحكم فانحصر بالحرف الذي كان يكتب، وهو حرف قريش. فاجتمع الناس كلهم على النطق به معتمدين في ذلك على ما وجدوه مكتوباً عندهم من الرسم الصحيح المعتمد للقرآن(١).

وفي **الختام** لا بد من الإشارة إلى ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من الأمر بالقراءة "كما يقرأ الناس" أو "كما علمتم" والنهي عن متابعة القراءات الشاذة.

روي أنه قرأ رجل على أبي عبد الله الإمام جعفر الصادق عليه السلام حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبد الله عليه السلام: (كف عن هذه القراءة إقرأ كما يقرأ الناس...)(٢).

---

(١) للتوسعة ظ: النووي، شرح صحيح مسلم، ١٠٠/٦، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢٣٥/١، ابن عبد البر، التمهيد، ٢٩٤/٨.
(٢) الكليني، الكافي، ٦٣٣/٢.

وروي عنه عليه السلام أنه قال: (اقرؤوا كما علّمتم)[١].

وقد استفاد بعض فقهائنا من هذه النصوص جواز القراءة بكل قراءة مشهورة بين الناس في عصر الإمام عليه السلام. ولكننا نقول إنه لم يعلم أن المشهور والذي كان يقرؤه الناس وأمر به الإمام عليه السلام هو أكثر من قراءة واحدة. وعليه فيشكل القراءة بما خالف المصحف المتداول وهو المتواتر في الصلاة وغيرها.

من مؤلفات علم القراءات:

- ✓ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني أبي الفتح عثمان (ت:٣٩٢هـ).
- ✓ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، مكي بن أبي طالب القيسي (ت:٤٣٧هـ).
- ✓ الكامل في القراءات الخمسين، الهمذاني ابن جبارة بن عبادة (ت:٤٦٥هـ).
- ✓ جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي علي بن محمد (ت:٦٤٣هـ).
- ✓ تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري (ت:٨٣٣هـ).
- ✓ إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، أحمد بن محمد الدمياطي البناء (ت:١١١٧هـ).

(١) المصدر نفسه، ٦٣١/٢.

الفصل الثامن

سلامة القرآن الكريم من التحريف

رأس الخلافة

سلامة القرآن من التحريف

يرى جميع المسلمين اليوم أن القرآن لم يُحرّف، وأقام بعض العلماء الأدلة على أن القرآن الموجود بين الدفتين حالياً هو بعينه ما نزل على النبي الخاتم ﷺ.

وان كان هنا أو هناك بعض من يثير عجاج الشبهات، ويعمل في ترويج أباطيل تناغم الأصوات النشاز من أهل الألحاد التي كانت تنفثها أحلام الجاهلية الأولى الداعية الى وقوع التحريف بالقرآن الكريم، لكسر شوكة الإسلام، وحطّاً من كرامة القرآن، بسبب بعض المروايات الدخيله مع قصور الأفهام في أعمال العقل والاستنتاج، فإن علماء الأمة الإسلامية بكل اطيافهم وتوجهاتهم شمّروا عن ساعدهم وتناولوا كل الشبهات رداً ونقداً وتفنيداً بما هو مشهور واضح في المؤلفات العديدة، وصدحت بما لاشك فيه في أن (الدلائل العلمية تؤكد حقيقة صيانة القرآن كياناً متماسكاً مستقلاً لم تصل إليه يد التحريف، ولم تستهدفه نبال العوادي، وليس هذا أمراً اعتباطياً تحكمت فيه الظروف أو الصدف، بل هو أمر حيوي قصدت إليه إرادة الغيب بإشاءة الله تعالى، وتأسيساً على ذلك فلا يغير القرآن غرض طارىء، ولا عدوان مباغت)[١].

نعم هناك في كل فرقة إسلامية ممن لا يُعتد به قال بوقوع التحريف وهؤلاء أفراد منبوذين حتى عند علماء طائفتهم، ولكن ممن لا حريجة له في الدين يُبرز هذه المقولات والشبهات لدوافع دنيوية وهوى النفس وتحريض على إثارة الفتنة وشق عصا المسلمين، وصار موضوع التحريف مستهلك الشجرة عقيم الثمرة مكشوف النوايا ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[٢].

(١) أستاذنا الدكتور محمد حسين الصغير، تاريخ القرآن / دراسات قرآنية، ص١٥٣.
(٢) سورة ق، الآية: ٣٧.

وعليه وخشية دخول الملل على القارئ الكريم فسيكون كلامنا في هذا الفصل الأخير من هذا الكتاب مختصراً نافعاً بما اراه شافياً للمتلقي وخادماً للقرآن المجيد من خلال الأدلة التي اعتمد عليها العلماء في ذلك، والتي هي: النصوص القرآنية، وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، والإجماع وغيرها. سابقاً ذلك بتمهيد نراه ضرورة منهجية، وعلى النحو الآتي:

أولاً: التحريف لغةً واصطلاحاً:

المعنى **اللغوي:** التحريف من "حَرَفَ" تأتي بمعنى الانحراف عن الشيء. يُقال: انحرف عنه ينحرف انحرافاً، وحَرَفْتُه أنا عنه، أي عدلت به عنه، وذلك كتحريف الكلام وهو عدله عن جهته. قال الله تعالى: ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**﴾[١]، فالتحريف لغةً هو: تغيير معنى الكلمة والعدول بها عن مقصدها الحقيقي[٢].

المعنى **الاصطلاحي:** هو وقوع التغيير في ألفاظ القرآن وحروفه وحركاته، تبديلاً وترتيباً، ونقصاً وزيادةً[٣].

وتجدر الإشارة إلى أنّ القرآن الكريم استخدم مفهوم التحريف بمعناه اللغوي، في حين أنّ محور بحث صيانة القرآن عن التحريف يختصّ بالتحريف بمعناه الاصطلاحي فقط.

ثانياً: أقسام التحريف

يوجد هناك عدّة أقسام لتحريف القرآن، وهي:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٦.
(٢) ظ: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤٢/٢.
(٣) ظ: الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص١٩٨ – ١٩٠.

١. **التحريف المعنوي:** وهو المعنى اللغوي للتحريف نفسه، ويُراد به: تفسير القرآن بغير حقيقته، وحمله على غير معناه، ونقل الشيء عن موضعه، وتحويله إلى غيره.

ولا خلاف بين المسلمين في وقوع مثل هذا التحريف في كتاب الله تعالى، فإنّ كل من فسّر القرآن بغير حقيقته، وحمله على غير معناه فقد حرّفه، ووقوع مثل هذا النوع من التّحريف كان من قبل الكثير من المذاهب وأهل الأهواء والمقالات الفاسدة الذين حاولوا الاستفادة من الكتاب لنصرة مقالاتهم الباطلة.

ولأجل ذلك نهى أمير المؤمنين علي عليه السلام عن مجادلة الخوارج بالكتاب عندما بعث إليهم ابن عباس فقال له: (لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمّال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن خاصمهم بالسنّة فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً)[١].

وذلك لأنهم كانوا يؤولون الآيات التي يمكن أن يخاصمهم بها لالزامهم بوجوب طاعة أمير المؤمنين على وفق أهوائهم وآرائهم. بخلاف نصوص السنّة الصحيحة والصريحة بالمطلوب.

ومن الروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام من حدوث مثل هذا التّحريف ما ورد عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أيضاً وهو يشكو إلى الله عزوجل فيقول عليه السلام:

(إلى الله اشكو من معشر يعيشون جُهّالاً ويموتون ضُلاّلاً ليس فيهم سلعة أبورُ من الكتاب إذا تُلي حقَّ تلاوته، ولا سلعة أنفق بيعاً ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حُرّف عن مواضعه)[٢].

---

(١) نهج البلاغة، ١٣٦/٣.
(٢) الكليني، الكافي، ١٥١/١.

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: (... وكان من نبذهم الكتاب: أن أقاموا حروفه، وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهّال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يُحزنهم تركهم للرعاية...)[١].

٢. **التحريف اللفظي:** وهو التغيير والقلب، وهو المعنى الاصطلاحي نفسه. وله مصاديق مختلفة[٢].

وأهم مصاديقه:

- تحريف القرآن بالنقص منه.
- تحريف القرآن بالزيادة عليه.

إذن فموضع الخلاف في التّحريف اللفظي، هو التغيير في إعراب الكلمات، أو تغيير الآيات والكلمات، أو حذف بعض الآيات أو الكلمات والحروف من القرآن الكريم.

ولأجل اثبات نفي التّحريف بهذا المعنى عن القرآن الكريم استُدل بالآيات والرّوايات والشواهد التاريخية والأدلة العقلية... وغيرها – كما سيأتي ان شاء الله تعالى –.

ثالثاً: أهمّيّة إثبات صيانة القرآن عن التحريف

إنّ لإثبات مسألة صيانة القرآن عن التحريف آثار وفوائد مهمّة وحسّاسة، أبرزها:

١. إمكانية الاستفادة من القرآن؛ لأنّه مع ثبوت التحريف لا يمكن الاستدلال بالقرآن أو الاستنباط منه.

---

(١) المصدر نفسه، ٥٣/٨.
(٢) ظ: محمد هادي معرفة، صيانة القرآن الكريم من التحريف، ص١٣-١٦.

٢. إثبات النبوّة والرسالة؛ لأنّ فرض ثبوت التحريف يستلزم نفي الإعجاز والتحدّي بالإتيان بمثل القرآن، وبالتالي انتفاء صفة الإعجاز عن الأمر الرئيس المُثبِت لنبوّة النبي ﷺ وحقّانيّة رسالته.
٣. إنّ القرآن ميزان اعتبار الروايات وقد أمرنا أهل البيت عليهم السلام بعرضها على القرآن، وبثبوت تحريفه؛ لا يمكن عرض الروايات عليه؛ فيتعطّل بذلك الأخذ بها.

رابعاً: أدلّة صيانة القرآن من التحريف

ذكر الباحثون في علوم القرآن والمفسّرون أدلّة عدّة على صيانة القرآن من التحريف، أبرزها التالي:

أولاً: الأدلّة القرآنية:

من جمله الأدلّة التي استند عليها العلماء في نفي القول بتحريف القرآن الكريم، هي الأدلّة القرآنية نفسها، وهي:

قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا له لَحَافِظُونَ**﴾[١]، والمقصود بلفظة «الذّكر» بالإجماع هو القرآن الكريم، وهنا ضمان إلهي لا يختلف ولا تخلف وعداً صادقاً: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾[٢].

وعليه فالمولى تعالى تكفّل – بنص الآية – بحفظ القرآن الكريم في جميع الأوقات والأزمنة.

والخلاصة: ان آية الحفظ ضمان للرسول وعهد من الله على ان يبقى هذا القرآن سليماً ومحفوظاً عن تناوش الايدي سلامة دائمة وبقاء مع بقاء الإسلام.

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٢) سورة هود، الآية: ١٠١.

يقول السيد أبو القاسم الخوئي: (فإن في هذه الآية دلالة على حفظ القرآن من التحريف، وأن الأيدي الجائرة لن تتمكن من التلاعب فيه)[١].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءهم وإنه لَكِتَابٌ عَزِيزٌ، لَا يأتيه الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٢]، فمن أبرز مصاديق إتيان الباطل للقرآن، هو النقيصة فيه أو الزيادة، ومع أنّ الآية تنفي اتيان الباطل للقرآن الكريم، فهي نافية أيضاً للنقيصة أو الزيادة فيه.

وهذه الآية أصرح دلالة من الآية الأولى فقد وعد الله تعالى صيانته من الضياع وسلامته من حوادث الازمان مصوناً محفوظاً يشق طريقه الى الأمام بسلام، لا يعرضه فساد أو نقص لا في حاضره ولا في مستقبل الأيام وذلك لانه تنزيل من لدن حكيم عليم وان حكمته تعالى لتبعث على ضمان حفظه وحراسته مع ابدية الإسلام.

في جدوى الاستدلال بالقرآن الكريم على عدم تحريفه:

لقائل أن يقول: إنّ الاستدلال بالقرآن الكريم على عدم حصول تحريف فيه، لا يصحّ إلا إذا ثبت أنّ ما يُستدلّ به من آيات هي من القرآن، فمن أين نعلم أنّها من القرآن، وأنّها ليست محرّفة؟

والجواب عنه:

١. إنّ مدّعي التحريف لا يذهب إلى القول بالتحريف بالزيادة. وعليه، فإنّ عدم الزيادة في القرآن أمر متّفق عليه، فيمكن عندها الاستدلال بالقرآن نفسه على صيانته عن التحريف.
٢. عدم ورود هذه الآيات في النصوص التي ادّعي دلالتها على التحريف.

---

(١) البيان في تفسير القران، ص٦٢٢.
(٢) أستاذنا الدكتور محمد حسين الصغير، تاريخ القرآن / دراسات قرآنية، ص١٥٣.

٣. إنّ الآيات الدالّة على صيانة القرآن عن التحريف تثبت عدم وجود نقص في القرآن أيضاً – بعد التسليم بعدم الزيادة في القرآن الكريم– ولازم ذلك صيانة القرآن عن التحريف مطلقاً[١].

ثانياً: تواتر القرآن الكريم

تقدم في فصل جمع القرآن الكريم من هذا الكتاب أن القرآن الكريم متواتر حفظاً وتدويناً، فعلى صعيد التدوين، تقدم أن الرسول ﷺ استخدم في كتابة الوحي عشرات الكتّاب وانتشر التدوين بصورة واسعة جداً وأن عدداً من الصحابة كان يمتلك نسخاً كاملة من القرآن الكريم في حياة الرسول ﷺ، وعلى صعيد الحفّاظ فقد كان عددهم بالمئات بل الألوف، وقد استمر هذا التواتر في كل الأجيال وجميع العصور حتى يومنا هذا.

فلا يعتنى بدعاوى التحريف التي تخالف القطع وظاهر الكتاب وسُنّة المعصوم الثابتة.

ثالثاً: الأدلّة الروائية:

وممّا ورد من أخبار عن أهل البيت عليهم السلام. في إثبات أن الكتاب الذي بين أيدي المسلمين، هو كامل القرآن الكريم الذي نزل على نبيّنا محمد ﷺ، التالية:

١. **حديث الثقلين:** حيث تواتر من طرق الفريقين أنّ رسول الله ﷺ قال: (إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتابُ الله، وعترتي أهل بيتي، ما إنّ تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي)[٢].

(١) https://ar.wikishia.net/view/.
(٢) احمد بن حنبل، مسند أحمد، ١٨٣/٥.

وهذا يقتضي أن يكون القرآن الكريم مدوّناً في عهده ﷺ بجميع آياته وسوره حتّى يصحّ إطلاق اسم الكتاب عليه، ويقتضي أيضاً بقاء القرآن كما كان عليه على عهده ﷺ إلى يوم القيامة لتتمّ به ﷺ وبالعترة الهداية الأبدية للأمّة الإسلامية والبشرية جمعاء ماداموا متمسّكين بهما، وإلاّ فلا معنى للأمر باتّباع القرآن والرجوع إليه والتمسّك به، إذا كان الآمر يعلم بأنّ قرآنه سيُحرّف ويبدّل في يومٍ ما!

٢. **اَحاديث الآمرة بعرض الحديث على الكتاب،** ليُعرَف بذلك الصحيح منه فيُؤخذ به، والسقيم فيُتْرَك ويُعْرَض عنه، وهي كثيرة، منها:

حديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال: (خطب النبي ﷺ بمنى فقال: أيُّها الناس، ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قُلتُه، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقُله)[١].

وعنه أيضاً بسندٍ صحيح، قال عليه السلام: (إذا ورد عليكم حديثان مختلفان، فأعرضوهما على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فردّوه)[٢].

جاء في رسالة كتبها الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام للخليفة العباسي «المأمون» لتبيان محض الإسلام وشرائع الدين، الآتي: (وإنّ جميع ما جاء به محمد بن عبدالله ﷺ هو الحق المبين، والتصديق به وبجميع من مضى قبله من رسل الله وأنبيائه وحججه عليهم السلام، والتصديق بكتابه الصادق العزيز الذي ﴿**لَا يأتيه الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[٣] وأنه المهيمن على الكتب كلّها، وأنه حقٌّ

(١) الكليني، الكافي، ٦٩/١.
(٢) المصدر نفسه، ٨/١.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٤١.

من فاتحته إلى خاتمته، نؤمن بمحكمه ومتشابهه، وخاصّه وعامّه، ووعده ووعيده، وناسخه ومنسوخه، وقصصه وأخباره، لا يقدر أحد من المخلوقين أن يأتي بمثله)[١].

إذن وجود هذه الروايات الشريفة الحاثة على جعل نصوص القرآن الكريم حاكمة على صحة الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ أو عن المعصوم عليه السلام دليل واضح وساطع على ان القرآن المجيد سالم من التحريف من حيث الزيادة والنقصان، وإلا ما جدوى عرض أحاديثهم عليهم السلام على القرآن والقرآن فيه تحريف!

قال الفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ): (وقد استفاض عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام حديث عرض الخبر المروي على كتاب الله لتعلم صحته بموافقته له، أو فساده بمخالفته، فإذا كان القرآن الذي بأيدينا محرّفاً فما فائدة العرض!)[٢].

رابعاً: افتراضات التحريف:

إن تاريخ جمع القرآن الكريم – كما تقدم في الفصل الخامس من هذا الكتاب –، سواء في حياة النبي الأكرم ﷺ أم في الفترة التي تلته، والاهتمام الكبير الذي كان النبي ﷺ والمسلمون يبدونه تجاه حفظ وكتابة القرآن، كل ذلك يثبت أنه لا مجال لنقصان كلمة واحدة من كتاب الله المجيد.

ومع هذا فالمدعي بالتحريف يرى: إما أن يقع في عصر النبي ﷺ وإما في عهد الشيخين، وإما في عصر عثمان، وإما في زمن الإمام علي عليه السلام، وإما في الحكم الأموي، إذ لا يخلو ذلك عن أحد هذه الأزمنة[٣].

أما الافتراض الأول، وهو وقوع التحريف في عهد النبي ﷺ فباطل إجماعاً، بما تبين لنا من مدارسة ظاهرة الوحي ومعطياتها في الفصل الأول من هذا الكتاب، فقد

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٥٣/١٠.
(٢) تفسير الصافي، ٤٦/١.
(٣) ظ: محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص١٠٨.

ثبت ان الوحي منفصل عن النبي ﷺ في شخصيته المستقلة، وأنه مؤتمن على الرسالة، وقد أداها متكاملة غير منقوصة بنص القرآن الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(١).

فلو كان هناك ما يمنع من الكمال، لما أيده القرآن، وأي مانع عنه أفظع من إباحة التحريف في النص الذي ثبت إعجازه، وكان دليل رسالته، وبرهان دعواه.

فهذا الافتراض إذن مرفوع عن النبي ﷺ، وعن البيئة التي رافقت القرآن في عصره إذ كان الحاكم والمشرع والآمر.

الافتراض الثاني: ادعاء وقوعه في زمن الشيخين، فهذا الأدعاء لم يعضده دليل نصي أو عقلي، وحرص الشيخين على النص القرآني أشهر من أن يذكر، فالدعوى باطلة.

الافتراض الثالث: انه وقع في عهد عثمان، فعثمان هو الذي وحد المصحف على لغة قريش، والقراءات التي سبقت هذا التوحيد كانت اجتهادية في أغلب الظن، ومظنة الخطأ لو وقعت في الاجتهاد، فلا أساس لها في مس القرآن الكريم، وانتشار القرآن آنذاك مانع كبير من أن يقع عليه شيء من التحريف؛ وقد تعرض عثمان لثورة مضادة، فما ادعى عليه شيء من هذا القبيل على الإطلاق، فالدعوى إذن باطلة.

الافتراض الرابع: ان التحريف وقع في عهد الإمام علي عليه السلام فهذا الافتراض لا يصح للأسباب المتقدمة، ولاعتبارات أخرى ذكر منها:

١. تقوى الإمام علي عليه السلام وشخصيته الشجاعة وحريجته في الدين بل وفي الجزئيات التشريعية معلومة الحال، فلا مجال بأي حال من الأحوال ان ان تطال يد

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

العبث من أي جهة كانت وبأي صورة من الصور كتاب الله تعالى، فكيف يصح أن يقع في عهده التحريف، وهو من هو في ذات الله.

٢. إن الإمام علي عليه السلام احتج بالقرآن على أهل الجمل، ودعي إليه في التحكيم مع أهل صفين، فلو كان في القرآن الكريم ما ليس منه، أو أنه لم يشتمل على كل القرآن، لما صح له به الاحتجاج، ولا قبوله في التحكيم، وهذا أمر مشهور لا يحتاج معه إلى برهان.

٣. إن خطب الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، تشير إلى القرآن في كثير من التفصيلات هداية واسترشاداً وتوجيهاً للناس، فلو كان هناك مما يدعى شيء لأبان ذلك على الأقل وأنكره، ولاحتج فيه على من تقدمه، فلما لم يفعل ذلك علمنا بسلامة القرآن(١).

٤. ان عهد الإمام علي عليه السلام يؤكد على سلامة القرآن ليس في خلافته الظاهرة فقط، بل وبسلامة القرآن الكريم في عهد من سبقه من الخلفاء، ومثاله ما كان من موقفه الصارم حول بيت مال المسلمين وما تعرض له من شبهات في التصرف به ممن سبقه، فقال عليه السلام: (والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق)(٢).

هكذا كان أمير المؤمنين علي عليه السلام في فروع الدين فكيف تجاه أصل الدين، ونظام الإسلام، وهو القرآن الكريم.

فمعلوم لو سبق أن امتدت للقرآن يد التحريف، لما وقف متردداً في إرجاع الحق إلى نصابه، وإلغاء سمات التحريف، عندما تولّى الخلافة وصارت له مقاليد الحكم والسلطة الظاهرية لكان واجب الإمام علي عليه السلام حينها تصحيح الأخطاء والاشارة الى مكامن التحريف في المصحف الذي جمعه الخليفة الثالث، إلا انّا لم نلحظ ذلك

(١) ظ: أستاذنا الدكتور محمد حسين الصغير، تاريخ القرآن / دراسات قرآنية، ص١٥٨.
(٢) نهج البلاغة، ٤٦/١.

من الإمام عليه السلام وهذا دليل واضح ساطع لا جدال فيه ان القرآن الكريم لم يمسه التحريف لا عمداً ولا سهواً.

ومن لطيف ما أشار لذلك المفسر الآلوسي (ت:١٢٧٠هـ) بقوله: (وبعد انتشار هذه المصاحف بين هذه الأمة المحفوظة لا سيما الصدر الأول الذي حوى من الأكابر ما حوى وتصدر فيه للخلافة الراشدة علي المرتضى. وهو باب مدينة العلم لكل عالم. والأسد الأشد الذي لا تأخذه في الله لومة لائم لا يبقى في ذهن مؤمن احتمال سقوط شيء بعد من القرآن وإلا لوقع الشك في كثير من ضروريات هذا الدين الواضح البرهان)[١].

خامساً: (الشواهد) الأدلة التاريخية:

والشواهد تاريخية كثيرة تدلّ بوضوح على صيانة القرآن الكريم عن التحريف[٢]، نذكر منها:

ما ورد في قول الخليفة عمر بن الخطاب: (لولا أن يقول الناس إن عمر زاد في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي)[٣].

ومن ذلك أن الخليفة عثمان أراد حذف حرف (الواو) من آية الكنز: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[٤]، ولكن الصحابة اعترضوا عليه ومنعوه من ذلك وقد بلغ إصرارهم على

(١) تفسير روح المعاني، ٢٤/١.
(٢) ظ: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٤٣/١، الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٠٤/١٢، السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٠٠ -٢٠٧، المحمّدي، سلامة القرآن من التحريف، ص٣٤-٣٦.
(٣) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٢٥/٢.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

حذفها حداً اضطر أُبي بن كعب إلى التهديد باللجوء إلى السيف، فقال له: (لتلحقنها أو لأضعن سيفي على عاتقي، فألحقوها)[١].

واتفق مثل ذلك مع الخليفة الثاني في " واو " ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾[٢].

وسواء فُسر ذلك بأنه سهوٌ وقلة حفظ أو أنها محاولات أخرى فإنّ المسألة لم تكن متيسرة لهم، وقد سخر الله سبحانه من يحفظ القرآن الكريم من التغيير والتبديل.

ومن ضروريات التاريخ:

١. أنّ رسول الله ﷺ جاء قبل أربعة عشر قرناً تقريباً وانتهض للدعوة، وآمن به أمّة من العرب وغيرهم، وأنّه جاء بكتاب هو القرآن، وينسبه إلى ربّه، متضمّن لجمل المعارف، وكلّيّات الشريعة التي كان يدعو إليها، وكان يتحدّى به، ويعدّه آية لنبوته، وأنّ القرآن الموجود اليوم بأيدينا هو القرآن الذي جاء به وقرأه على الناس المعاصرين له.
٢. توافر الدواعي على نقله وحراسته وصيانته، لأنّ القرآن معجزة النبوة ودليل الرسالة الخاتمة، ولا سيما في وجه أصحاب البدع والتحريف، الذين يترصّدون شرّاً بالإسلام والقرآن.
٣. شدّة عناية المسلمين بحفظ القرآن وتلاوته، وضبطهم الشديد في هذا الصدد.
٤. لو كان القرآن محرّفاً، لاتّخذه غير أهل الإسلام من أعظم المطاعن على الإسلام وأهله.

---

(١) السيوطي، الدر المنثور، ٢٣٢/٣. بيان: وإنما أرادوا حذفها ليظهروا: أنها ليست قاعدة كلية، بل هي خاصة بأهل الكتاب، ولا تعم المسلمين؛ لأن الواو إذا حذفت من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ﴾ أمكن أن تكون مرتبطة بما قبلها، وجيء بها لبيان صفة للمذكورين قبلها، وهم الأحبار والرهبان.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

٥. وجود بعض الأخطاء في رسم المصحف حتى يومنا هذا، مع التفات المسلمين لها بعد توحيد المصاحف، يدل على شدّة عنايتهم بحفظ القرآن وعدم المساس به[١].

٦. التدوين وعدم اكتفاء النبي الأكرم ﷺ بالحفظ والاستظهار للقرآن الكريم عند المسلمين احترازاً من ان تطاله يد التحريف والتزوير كما هو حال كتب الأديان الأخرى، فـ (النبي ﷺ أيضاً على معرفة بتاريخ الرسالات الإلهية ونهايتها على يد المزورين والمحرفين وتجار الدين، كما يصرح بذلك القرآن الكريم وينعى على أهل الكتاب هذا التحريف والتزوير...- فـ- لا يمكن أن نشك في إدراكه لمدى ما يمكن أن يتعرّض له النص القرآني من (خطر) حينما يربط مصيره بالحفظ والاستظهار في صدور الرجال)[٢].

سادساً: الدليل العقلي:

تقتضي الضرورة العقلية أنْ تكون المعارف الدينية والأصول العامة للإسلام مدونة في كتاب بين يدي الإنسان.

لذا من غير المعقول أنْ يضع الله كتاباً بين أيدي النَّاس ثمَّ يتركه ليزيد عليه من يشاء منهم وينقص منه من يشاء؛ فيصبح الأمر بمثابة نقض للغرض الإلهيّ، وأنَّ الهدف من إنزاله لم يتحقق ولم يبقَ له أي اعتبار.

ومعلوم ان كثير من الكتب والمصنفات في علوم ومعارف عامة قد نُقلت إلينا من غير ان تمسها يد العبث ولو صار فيها تحريف أو إضافة أو نقصان لكان ذلك واضح عند أهل الاختصاص وارباب الفن، ومن ذلك ما نبه له السيد الشريف المرتضى (ت:٤٣٦هـ) في قوله: (إن العلم بتفسير القرآن وأبعاضه في صحة نقله، كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمزني، فإن أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما،

(١) ظ: الفصل السادس: الرسم القرآني من هذا الكتاب.
(٢) محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص١٠١.

حتى لو أن مدخلاً أدخل في كتاب سيبويه باباً في النحو ليس من الكتاب، لعرف وميز وعلم أنه ملحق، وليس من أصل الكتاب، وكذلك القول في كتاب المزني.

ومعلوم أن العناية بنقل القرآن وضبطه، أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء)[١].

سابعاً: الإعجاز القرآني:

ويقوم هذا الدليل على مقدّمات عدّة، هي[٢]:

١. ثبوت التحدّي بالقرآن تاريخياً في عصر الرسالة والدعوة.
٢. القرآن الموجود بين أيدينا هو في الجملة القرآن الموجود في عصر الدعوة.
٣. مواصفات القرآن الموجود بين أيدينا هي نفسها المواصفات المنقولة عن القرآن الموجود في عصر الدعوة، لجهة التحدّي بالوجوه الإعجازية المختلفة.
٤. لو كان القرآن الموجود بين أيدينا محرّفاً، لما انطبقت عليه هذه الصفات والوجوه الإعجازية.

النتيجة: إذن القرآن لم يحرّف[٣].

ثامناً: اجماع العلماء:

إجماع علماء المسلمين على عدم التحريف، وتصريحهم على سلامة القرآن الكريم من التحريف سواء زيادة أو نقصان ولو بحرف واحد، ولا قيمة لمن شذ في القول بالتحريف من فرق المسلمين فلا يعتد به وهو ضعيف[٤].

---

(١) الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ١٨/١.
(٢) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٠٤/١٢.
(٣) وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الدليل لا ينهض بمفرده في إثبات عدم وقوع التحريف بالنقيصة، وإن كان يثبت عدم وقوع التحريف بالزيادة. وعليه، يمكن أن يُتمَّم هذا الدليل بضميمة ما ثبتت قرآنيّته من الآيات الدالّة على صيانة القرآن عن التحريف مطلقاً.
(٤) جاءت فكرة التحريف من قبل فئة متطرفة او وقع عندها الاشتباه وكان السيد نعمة الله الجزائري (ت:١١١٢هـ) مؤسس لبدعة التحريف استناداً الى الشوارد من الاخبار، وكتابه الأنوار النعمانية مليء بأخبار وقصص خرافية غريبة لا نظير لها في كتب الإمامية، وهذا الكتاب هو المصدر الأصلي للقول بالتحريف، وقد اعتمده الشيخ ميرزا حسين النوري (ت:١٣٢٠هـ) في كتابه:

قال الشيخ محمد بن بابويه الصدوق القمي (ت:٣٨١هـ): (اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك. ومن نسب إلينا أنّا نقول: إنّه أكثر من ذلك، فهو كاذب)[١].

كما وتطرق لذلك بوضوح المحقق الشّيخ جعفر المعروف بكاشف الغطاء (ت:١٢٢٨هـ) بقوله: (لا ريب أنّه – أيْ القرآن– محفوظ من النقصان بحفظ المَلك الديان، كما دل عليه صريح القرآن، وإجماع العلماء في كل زمان، ولا عبرة بنادر)[٢].

وقال السيد عبد الحسين شرف الدين (ت:١٣٧٧هـ): (والقرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إنّما هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، لا يزيد حرفاً، ولا ينقص حرفاً، ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة، ولا لحرف بحرف، وكلّ حرف من حروفه متواتر في كلّ جيل؛ تواتراً قطعياً إلى عهد الوحي والنبوة)[٣].

كما وأنكر واستهجن السيد الخوئي الروايات الضعيفة الموهمة بالتحريف وأكد على اجماع العلماء على سلامة القرآن الكريم من التحريف بقوله: (أنها مخالفة للكتاب، والسنة، ولإجماع المسلمين على عدم الزيادة في القرآن ولا حرفاً واحداً حتى من القائلين بالتحريف. وقد ادعى الاجماع جماعة كثيرون على عدم الزيادة في القرآن، وأن مجموع ما بين الدفتين كله من القرآن. وممن ادعى الاجماع الشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والشيخ البهائي، وغيرهم من الأعاظم قدس الله أسرارهم)[٤].

فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب. ظ: محمد هادي معرفة، صيانة القرآن من التحريف، ص١١٣.

(١) الاعتقادات في دين الإماميّة، ص٨٤.
(٢) تفسير آلاء الرحمن، ص٣٥.
(٣) الفصول المهمّة في تأليف الأئمّة، ص١٧٥.
(٤) البيان في تفسير القرآن، ص٢٣٤.

ومن جميل ما صرح به محمد عزة دروزة (ت:١٩٨٤م) من استنتاج عقلي تاريخي في دفع شبهة تحريف القرآن أو وجود مصحف آخر عند الشيعة الإمامية؛ إذ قال: (ولقد كان لأبناء علي بن أبي طالب سلطان قوي في بلاد إسلامية عديدة ولمدد غير قصيرة. ولو كان عندهم قرآن غير القرآن الذي كتب في عهد أبي بكر ثم في عهد عثمان ونسخ عنه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها مصاحفهم وحفظوه في صدورهم جيلاً بعد جيل من لدن النبي (ﷺ) لظهر)[1].

وأخيراً يتبيّن من كل ما تقدم من خلال هذا الفصل أنّ القرآن مصان عن التحريف، سالم عن الزيادة أو النقصان، وأنّ كلّ ما أوهم خلاف ذلك لا يُعبأ به؛ وهو اشتباه شخصي أو سوء فهم ومن ثم فهو لا يمثّل جمهور الفرق الإسلامية وكبار العلماء فيها، وكذلك لكونه قد خالف طريقاً يقينيّاً في إثبات عدم تحريف القرآن الكريم بالمعنى الّذي تلزم منه المحاذير العقليّة، والنقليّة القطعيّة.

وفي نهاية هذا الفصل الثامن (سلامة القرآن من التحريف) نكون قد ختمنا به فصول كتابنا (علوم القرآن التاريخية) على أمل انجاز كتابنا القادم – ان شاء الله تعالى – علوم القرآن الموضوعية. والحمد لله رب العالمين.

(١) التفسير الحديث، ٤/٤١.

وما توفيقي إلا بالله

الخاتمة

يحسنُ بنا ونحنُ في نهاية هذه المسيرة ان نذكر خاتمة المطاف لكتاب أخذ من الجهد طاقته ومن العلم ضالته وكان مناه الكشف وتناه الوصف ولم يذهب بي الإدلال في ادعاء الكمال فهذا غير ميسور لي ولا لغيري البتة، لكني ازعم ان كل ما سطرته في هذا الكتاب كان ثمرة لشجرة نالت من الرعاية والعناية الكثير الكثير..

ولا أُخفيك سراً **عزيزي القارئ** ان شدة الاحتياج عندي لاستكشافٍ متجددٍ لموضوعات علوم القرآن التاريخية (تاريخ القرآن) هو ما دفعني لهذا التأليف.

ويمكن القول اني قد جمعت وأعددت وهيأت وأحصيتُ المصادر والمقالات والبحوث المختلفة ثم كتبت وأعدت بعض الضعف ورجحت بعد تعارض وحذفت بعد زيادة وقارنت بعد استشكال وعدلت بعد اعوجاج ومنهجت بعد شتات وأجمعت بعد تفرق وصححت بعد شبهات حتى استقر هذا المؤلّف على هذا الشكل شكلاً ومضموناً، عرضاً وجوهراً، اسلوباً وصياغةً.

ومن هنا كان رجائي لك أيها القارئ اللبيب ان تكون قد وجدت فيه ضالتك وتيسر لك ما تعسر من قبل وتعززت قناعتك بالمفهوم واستطرد عنك ما تشابه في سنن الماضين من الباحثين، فان خالفتك الرأي فذاك من سنن الوجود، والعلوم قائمة عليه ولا يفسد قضية أبداً شرط ان تكون السريرة صحيحة.

وأنت أيها القارئ الكريم عليك ان ثق بأن العلم لن يأتيك يوماً على طبق من ذهب .. انما السعي سعيك والحث حثك نحوه .. والله المستعان.

ولا ننسى مقولة التاريخ – ما لا يدرك كله لا يترك كله – عسى ان ندرك بعضه ولا نلوم انفسنا بعد المثابرة والجهد.

وأخيراً.. اسأل الله تعالى ان يرحمنا برحمته وان يوفقنا في خدمة كتابه الحكيم في ان نلتقي انا واياكم في كتابنا المرجو – ان شاء الله تعالى – (علوم القرآن الموضوعية) فقد تهيئت ادواته وينعت ثماره.

وكما استفتحت بحمد الله ﷻ فبحمده وحسن الثناء عليه أختم، راجياً منه سبحانه ان يرزقني البصيرة في ديني ودنياي، ويهيئ لي من عباده من يهديني عيوبي، ويلهمني الأخلاص له.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

محمد كاظم حسين الفتلاوي

٢٠٢٣م

قائمة المصادر

خير ما نبدأ به: القرآن الكريم.

١. أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ)، مسند أحمد، دار صادر، بيروت، (دت).

٢. الإربلي علي: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٣. أكرم ضياء العمري (الدكتور)، عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدِّثين، مكتبة العُبَيكان، السعودية، ط٨، ٢٠١٤م.

٤. أكرم عبد خليفة الدليمي (الدكتور)، جمع القرآن: دراسة تحليلية لمروياته، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ.

٥. الأندلسي ابو حيان (ت:٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، دار الرسالة، بيروت.

٦. البخاري محمد بن اسماعيل (ت:٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار الفكر للنشر، بيروت، ١٩٨١م.

٧. بسام الجمل (الدكتور)، أسباب النزول علماً من علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٥م.

٨. البغوي أبو محمد الحسين (ت:٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.

٩. الثعلبي ابو اسحاق، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.

١٠. ابن الجزري (ت:٨٣٣هـ)، منجد المقرئين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م

١١. جمال العمري (الدكتور)، أدب الحرب والسلام في سورة الأنفال، دار المعارف، ١٩٨٩م.

١٢. ابن حجر (ت:٨٥٢هـ)، الاصابة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٣. ابن ابي الحديد (ت: ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٩م.
١٤. حسن كاظم اسد (الدكتور) وجاسم محمد علي(الدكتور)، خطابات اللوم والعتاب للرسول ﷺ سورة عبس الآية من (١-١٠) انموذجاً، مجلة أهل البيت سورة عبس الآية من (١-١٠) انموذجاً، مجلة أهل البيت ع، جامعة أهل البيت ع، كربلاء المقدسة، ٢٠١٣م، العدد ١٤.
١٥. ابن خالويه (ت:٣٧٠هـ)، الحجة في القراءات السبعة، تحقيق: د. عبد العال سالم، دار الشرف، بيروت، ١٩٧١م.
١٦. ابن خلدون (ت:٨٠٨هـ)، المقدمة، باعتناء ودراسة: أحمد الزعبي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ٢٠٠١م.
١٧. الخوئي ابو القاسم (مرجع ديني معاصر)، البيان في تفسير القرآن، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٩م.
١٨. داوود العطار (الدكتور)، موجز علوم القرآن، مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الإسلامية، النجف الأشرف.
١٩. الدهلوي (ت: ١١٧٦هـ)، الفوز الكبير في أصول التفسير، عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، ط٢، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٨٦م.
٢٠. الذهبي القايمازي الشافعي، معرفة القراء، دار التأليف، مصر.
٢١. الرازي فخر الدين (ت:٦٠٤هـ)، تفسير مفاتح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٢. الراغب الاصفهاني (ت:٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٢٥هـ.
٢٣. رياض الحكيم، علوم القرآن -دروس منهجية-، دار الهلال، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م.

٢٤. الزرقاني محمد عبد العظيم (ت:١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
٢٥. الزركشي بدر الدين(ت:٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، دار الغدير الجديد، القاهرة، ٢٠١٥م.
٢٦. الزنجاني ابو عبد الله، تاريخ القرآن، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٤م.
٢٧. ابن سعد (ت:٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٢٨. السيد عبد السلام محمد حسين (الدكتور)، دراسات قرآنية، سلسلة أصدارات المجمع ٢١، القاهرة.
٢٩. سيد محمد ولد عبد الله (الدكتور)، السند القرآني دراسة وتأصيل السند الشنقيطي نموذجاً، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٠. سيروان عبد الزهرة الجنابي(الدكتور)، تأريخ القرآن وعلومه، مطبعة دار الأمير، النجف الأشرف، ٢٠١٥م.
٣١. السيوطي جلال الدين(ت:٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٤م.
٣٢. السيوطي، تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت.
٣٣. الشاطبي (ت:٧٩٠هـ)، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان،١٩٩٧م.
٣٤. شعبان محمد إسماعيل (الدكتور)، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، دار السلام للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٩٧م.
٣٥. ابن شهرآشوب (ت:٥٨٨هـ)، مناقب آل ابي طالب، تحقيق: لجنة أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٦م.
٣٦. الشهيد الأول العاملي (ت:٧٨٦هـ)، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، مكتبة بصيرتي، قم، (دت).

٣٧. صبحي الصالح (الدكتور)، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٧، ١٩٩٠م.
٣٨. الصدوق محمد بن بابويه القمي (ت:٣٨١هـ)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، الناشر: مركز الطباعة والنشر، طهران، ١٤١٧هـ.
٣٩. الصدوق محمد (ت:٣٨١هـ)، الاعتقادات في دين الإماميّة، تحقيق عصام عبد السيد، دار المفيد، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣م.
٤٠. الصدوق محمد (ت:٣٨١هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة الاعلمي، بيروت.
٤١. الصفّار محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، تصحيح وتعليق وتقديم: حسن كوچه باغي، لاط، طهران، منشورات الأعلمي، مطبعة الأحمدي، ١٤٠٤هـ.
٤٢. ابن طاووس (ت: ٦٦٤هـ)، سعد السعود، منشورات الرضي، قم، ١٣٦٣هـ.
٤٣. الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، مكتبة دار المجتبى، النجف الأشرف، ٢٠٠٩م.
٤٤. الطرطوشي ابو بكر (ت:٥٢٠هـ)، سراج الملوك، دار صادر، بيروت.
٤٥. طه حسين (الدكتور)، الفتنة الكبرى، دار الجمل، بيروت، (دت).
٤٦. الطوسي محمد بن الحسين (ت:٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠م.
٤٧. الطوسي (ت:٤٦٠هـ)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، ١٤١٤هـ.
٤٨. ابن عبد البر (ت:٤٦٣هـ)، الاستيعاب، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
٤٩. عبد الجبار ناجي (الدكتور)، سر اهتمام المستشرقين الواسع بعملية جمع القرآن، مجلة المصباح، العتبة الحسينية المقدسة، السنة ٦، ٢٠١٥م، العدد ٢٢.

٥٠. عبد الرسول الغفاري (الدكتور)، الميسر في علوم القرآن، دار الرسول الأكرم ﷺ، بيروت، ط٢، ٢٠١٤م.

٥١. عبد الستار جبر غايب، علم أسباب نزول القرآن وصيغه وطرائق معرفته وفوائده وجهود العلماء في تطوره، مجلة آداب الفراهيدي، جامعة تكريت، ٢٠١٣م، العدد ١٥.

٥٢. عبد السلام محمد حسين (الدكتور)، دراسات قرآنية، سلسلة اصدارات المجمع ٢١، القاهرة.

٥٣. عبد الصبور شاهين (الدكتور)، تاريخ القرآن، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٥، ٢٠١٥م.

٥٤. عبد العزيز القارئ (الدكتور)، حديث الأحرف السبعة، دار النشر الدولي، الرياض، ١٤١٢هـ.

٥٥. عبد الفتاح القاضي، المصحف الشريف: ابحاث في تاريخه وأحكامه، الناشر: مكتبة الجندي، القاهرة، ٢٠١٥م.

٥٦. عبد الفتاح القاضي، جمع القرآن وتدوينه في عهد عثمان- المصاحف العثمانية-، مجلة كنوز الفرقان؛ العددان: (الثالث والرابع)؛ السنة: (٥)، ربيع الأول والآخر ١٣٧٢هـ.

٥٧. عبد القادر براده (الدكتور)، دراسات إسبانية للسيرة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ.

٥٨. عبد الله بن يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مؤسسة الريان، بيروت، ط٥، ٢٠١١م.

٥٩. عبد المجيد مطلوب (الدكتور)، مباحث في علوم القرآن والحديث، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٦٠. عدنان بن محمد أبو عمر، أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم – دراسة نظرية تطبيقية –، مجلة الإحياء، الجزائر، السنة ٢٠١٧م، العدد٢٠.

٦١. ابن العربى ابو بكر المالكي(ت:٥٤٣هـ)، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (ص)، منشورات مكتبة السنة، القاهرة، ط٦، ١٤١٢هـ.

٦٢. ابن عطية الأندلسي (ت:٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

٦٣. علاء الدين المدرس، الظاهرة القرآنية والعقل دراسة مقارنة للكتب المقدسة، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦م.

٦٤. علي الكوراني، آيات الغدير، دار السيرة، قم، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٦٥. العياشي محمد بن مسعود (ت:٩٣٢هـ)، تفسير العياشي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠١٠م.

٦٦. غانم قدوري الحمد (الدكتور)، محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٣م.

٦٧. الغرناطي (ت:٧٤١هـ) محمد بن أحمد بن جزي، التسهيل في علوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم، بيروت.

٦٨. فاضل مدب المجدي (الدكتور)، أثر أسباب النزول في تفسير النصوص، مجلة المصباح، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠١٢م، العدد ١١.

٦٩. فتحي أحمد علي حسن، فتح البيان في دفع الشبهات المثارة حول المكي والمدني في القرآن، مجلة كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، جامعة الأزهر، ٢٠١٨م، العدد ١٠.

٧٠. فهد عبد الرحمن الرومي (الدكتور)، دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١٩، ٢٠١٤م.

٧١. القسطلاني شهاب الدين (ت:٩٢٣هـ)، إرشاد الساري في شرح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٢. القندوزي الحنفي (ت:١٢٩٤هـ)، ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق: سيد جمال أشرف الحسيني، دار اسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ
٧٣. ابن كثير (ت:٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار صبح، بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م.
٧٤. الكليني (ت:٢٣٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار المكتب الإسلامي، طهران، ط٥، ١٣٦٣ش.
٧٥. المتقي الهندي (ت:٩٧٥هـ)، كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.
٧٦. المجلسي محمد باقر (ت:١١١١هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: السيد ابراهيم الميانجي وآخر، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
٧٧. محمد أمين فرشوخ (الدكتور)، المدخل الى علوم القرآن والعلوم الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٠م.
٧٨. محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، مؤسسة الهادي، قم، ط٢، ١٤١٧هـ.
٧٩. محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، دار الصدر، مطبعة شريعت، قم، ١٤٢٩هـ.
٨٠. محمد بن عبد الرحمن الشايع (الدكتور)، المكي والمدني في القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ١٩٩٨م.
٨١. محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، دار التيار، بيروت، ٢٠١٣م.
٨٢. محمد حسين الصغير (الدكتور)، تأريخ القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٩٩م.
٨٣. محمد حسين الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ترجمة: السيد احمد الحسيني، مؤسسة المحبين للطباعة والنشر، مدينة الصدر، ٢٠٠٤م.
٨٤. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الاندلس، النجف الأشرف، ٢٠٠٩م.
٨٥. محمد حسين هيكل، حياة محمد، نشر وتحقيق: المجمع العالمي لأهل البيت ع، مطبعة: اعتماد، ١٤٢٨هـ.

٨٦. محمد رشيد رضا، كتاب مجلة المنار، فتاوى المنار، المجلد رقم (٣٤)، صفر – ١٣٥٣هـ.

٨٧. محمد رشيد زاهد، موقف المستشرقين من الوحي: دراسة تحليلية، مجلة دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، ٢٠٠٦م، المجلد٣.

٨٨. محمد عزة دروزة، التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٠م.

٨٩. محمد عطا سعيد رمضان، خلاصة التحقيقات في الرد على الشبهات والتصورات، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م.

٩٠. محمد علي التسخيري، محاضرات في علوم القرآن، المنظمة العالمية للحوزات والمدارس الإسلامية، قم، ٢٠٠٣م.

٩١. محمد علي رضائي، معاني جمع قرآن، مجلة مبين، السنة الرابعة، قم المقدسة.

٩٢. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، الخصائص المحمدية في القرآن الكريم –دراسة تفسيرية–، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، ٢٠١٥م، العدد ١٢.

٩٣. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، علم أسباب النزول – دراسة في النظرية والتطبيق –، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، السنة ١١، ٢٠٢٠م، العدد ٢٦.

٩٤. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، علم المكي والمدني – دراسة في النظرية والتطبيق –، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، ٢٠٢١م، العدد ٦٠.

٩٥. محمد محمود الدومي، القراءات المتواترة في تفسير الزمخشري –دراسة نقدية –، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة، جامعة اليروك، الأردن، ٢٠٠٤م.

٩٦. محمد هادي معرفة، آراء الشيخ المفيد حول تحريف القرآن ونزوله الدفعي، نقله الى العربية: رعد هادي جباره، الناشر: المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى الألفية لتكريم وفاة الشيخ المفيد، قم، ١٤١٣هـ.

٩٧. محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، مؤسسة النشر الاعلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ط٤، ١٤٢٥هـ.

٩٨. محمد هيثم فخري الدالاتي، من قضايا القرآن الكريم الأحرف السبعة، مجلة نهج الإسلام، وزارة الأوقاف السورية، ٢٠١٥م، العدد: ١٣٩.

٩٩. محمود البستاني (الدكتور)، دراسات في علوم القرآن، مدينة العلم، قم، ٢٠٠٧م.

١٠٠. المفيد (ت:٤١٣هـ)، صحيح اعتقادات الإماميّة، تحقيق: حسين درگاهي، قم، ط٢، ١٩٩٣م.

١٠١. مرتضى العسكري، معالم المدرستين، مؤسسة النعمان للنشر، بيروت، ١٩٩٠م.

١٠٢. مركز الأبحاث العقائدية، موسوعة الأسئلة العقائدية، مطبعة ستارة، قم، ١٤٢٩هـ.

١٠٣. مركز نون للتأليف والترجمة، الوجيز في علوم القرآن، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.

١٠٤. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، ط٢، ١٩٩٦م.

١٠٥. المناوي(ت:١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

١٠٦. ابن منظور الافريقي (ت:٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

١٠٧. موسى ابراهيم الإبراهيم، بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، دار عمار، عمان، ١٩٩٦م.

١٠٨. مير محمدي زرندي، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٢، ١٤٣١هـ.

١٠٩. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.
١١٠. ابن النديم (ت:٤٣٨هـ)، فهرست ابن النديم، دار المعرفة، القاهرة.
١١١. نذير الحسني، دروس في علوم القرآن، مركز المصطفى العالمي، قم، ط٢، ١٤٣٧هـ.
١١٢. نولد دكه (ت:١٩٣٠م)، تاريخ القرآن، دار نشر جورج ألمز، نيويورك، ٢٠٠٤م.
١١٣. النووي (ت:٦٧٦هـ)، التبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق: محمد الحجار، دار ابن حزم، ١٩٩٦م.
١١٤. هاشم معروف الحسني، تاريخ الفقه الجعفري، دار النشر للجامعيين، بيروت، (دت).
١١٥. هدى علي عباس الخالدي (الدكتورة)، حقيقة القرآن من القرآن، أطروحة دكتوراه، كلية الفقه، جامعة الكوفة، ٢٠١٤م.
١١٦. الهلالي سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، تحقيق: الشيخ محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني، منشورات دليل ما، إيران، قم.
١١٧. الواحدي النيسابوري (ت:٤٥٨هـ)، أسباب النزول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.
١١٨. الواسطي ابي العز محمد (ت:٥٢١هـ)، الكفاية الكبرى في القراءات العشر، تحقيق: عثمان محمود غزال، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١٩. يوسف المرعشلي (الدكتور)، علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ٢٠١٠م.
١٢٠. https://ar.wikishia.net/view/%.

الفهرست

الآية الكريمة ٣
الأهداء ٥
مقدمة ٧

الفصل الأول: ظاهرة الوحي

تمهيد ١٥
أولاً: معنى الوحي ١٧
ثانياً: معاني الوحي في القرآن الكريم ١٨
ثالثاً: أنواع الوحي (صور) الوحي النبوي ٢١
رابعاً: الوحي المحمدي ٢٣
خامساً: اقسام الوحي النبوي ٢٥
سادساً: كُتاب الوحي المحمدي ٢٩
سابعاً: عدم استمرارية الوحي النبوي ٣٠
ثامناً: موقف المستشرقين من الوحي ٣٢

الفصل الثاني: نزول القرآن وتنزله

أولاً: صور تنزيل القرآن ٤٣
ثانياً: تاريخ نزول القرآن ٤٣
ثالثاً: الانزال والتنزيل ٤٥
رابعاً: نظريات حول طبيعة النزول الدفعي ٤٧
خامساً: تنزيل القرآن الكريم لفظاً ومعناه من الله تعالى ٥٢
سادساً: أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم ٥٥
سابعاً: الحكمة من نزول القرآن الكريم مفرقاً (منجم) ٦٠

الفصل الثالث: علم المكي والمدني

تمهيد ٦٧
١. نبذة عن نشأة علم المكي والمدني ٦٩
٢. ترتيب نزول السور سبب في فهم هدايات واسرار القرآن ٦٩
٣. تعريف المكي والمدني ٧٠
٤. ضوابط المكي والمدني ٧١
٥. القواعد التي يقوم عليها علم المكي والمدني ٧٥
٦. فوائد معرفة المكي والمدني ٧٧
٧. الخصائص والمميزات الموضوعية في السور المكية والسور المدنية..... ٧٨
٨. منهج معرفة المكي والمدني (الطريقة) ٨١
٩. عدد السور المكية والمدنية ٨٤
١٠. أسباب الاختلاف في تعريف المكي والمدني ٨٥
١١. أمثلة للآيات المكية في سور مدنية وبالعكس ٨٦
١٢. أثر المكي والمدني في تربية الإنسان تربية قرآنية ٨٧
١٣. رد شبهة حول خصائص القرآن المكي والمدني ٨٨

الفصل الرابع: علم أسباب النزول

تمهيد ٩٥
معلومات أساسية حول أسباب النزول ٩٦
أولاً: بيان الآيات التي لها سبب نزول من غيرها ٩٧
ثانياً: معنى أسباب النزول ٩٧
ثالثاً: العلاقة بين النزول وشأن النزول ٩٩
رابعاً: طريقة معرفة سبب النزول ١٠٠
خامساً: أهمية معرفة أسباب النزول عند المفسرين ١٠٤
سادساً: ضوابط قبول روايات أسباب النزول ١٠٩

سابعاً: قواعد في أسباب النزول ١١١
١. قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ونطاقها ١١١
٢. قاعدة: القرآن نزل بإياك أعني واسمعي ياجارة ١١٦
٣. قاعدة: تعدد الأسباب والنازل واحد وبالعكس ١٢٠
ضوابط قبول الروايات عند تعدد أسباب النزول ١٢١
٤. قاعدة: ترجيح أسباب النزول عند اختلاف الآراء ١٢٦

الفصل الخامس: علم جمع القرآن الكريم

تمهيد ١٣١
أولاً: كتابة الوحي ١٣٣
ثانياً: جمع القرآن في اللغة والاصطلاح ١٣٣
ثالثاً: معنى جمع القرآن الكريم ١٣٤
المعنى الأول: الجمع بمعنى حفظ الجميع، أي الجمع بالصدور ١٣٤
المعنى الثاني: الجمع بمعنى التدوين ١٣٦
المعنى الثالث: الجمع بمعنى حفظه (مكتوباً) من الضياع ١٤٠
المعنى الرابع: الجمع ضمن مصحف واحد ١٤١
المعنى الخامس: جمع القرآن بمعنى توحيد المصاحف ١٤٦
١. أسباب جمع القرآن في مصحف واحد ١٤٧
٢. لجنة تدوين المصحف ١٥٠
٣. مميزات التدوين في مصحف واحد ١٥١
٤. وسائل النطق السليم بالقرآن الكريم وهو غير منقوط أو مشكل ١٥٢
رابعاً: أول من جمع القرآن الكريم..... ١٥٣
أين هو مصحف الإمام علي عليه السلام ؟! ١٥٧
خصائص مصحف الإمام علي عليه السلام ١٥٨
أثر الجهود السابقة في حفظ القرآن الكريم ١٦١

الأسباب التي دفعتهم الى التدوين ١٦١

الفصل السادس: علم رسم المصحف وشكله

تمهيد ١٦٥
أولاً: علم رسم المصحف ١٦٦
١. مصدر رسم المصحف ١٦٦
٢. مخالفة الرسم العثماني للرسم القياسي ١٧٠
٣. أهمية الرسم في التفسير ١٧٢
٤. بعض غرائب رسم المصحف العثماني ١٧٤
٥. قواعد رسم المصحف ١٧٥
ثانياً: علم التنقيط والشكل..... ١٧٧

الفصل السابع: علم قراءات القرآن الكريم والأحرف السبعة

أولاً: علم القراءات ١٨٥
١. القراءات في اللغة والاصطلاح ١٨٥
٢. أهمية دراسة علم القراءات ١٨٦
٣. أسباب نشأة القراءات ١٨٦
٤. أنواع القراءات ١٨٩
٥. معنى القراء والرواية ١٩٠
٦. مراحل تطور القراءات ١٩١
٧. القراء السبعة ورواتهم وسبب شهرتهم ١٩٣
٨. لماذا عدد القراء سبعة ؟! ١٩٤
٩. شروط القراءة الصحيحة ١٩٦
١٠. سبعة أشياء يحتاجها من أراد علم القراءات ١٩٧
١١. إشكالية العلاقة بين القرآن والقراءات ١٩٨
١٢. القراءات القرآنية في الوقت الحاضر ٢٠٥

ثانياً: الأحرف السبعة ٢٠٩

الفصل الثامن: سلامة القرآن الكريم من التحريف

تمهيد ٢١٩
أولاً: التحريف في اللغة والاصطلاح ٢٢٠
ثانياً: أقسام التحريف ٢٢٠
١. التحريف المعنوي ٢٢٠
٢. التحريف اللفظي ٢٢٢
ثالثاً: أهمية إثبات صيانة القرآن عن التحريف ٢٢٣
رابعاً: إدلة صيانة القرآن عن التحريف ٢٢٣
١. الأدلة القرآنية ٢٢٣
٢. تواتر القرآن الكريم ٢٢٥
٣. الأدلة الروائية ٢٢٥
٤. افتراضات التحريف ٢٢٧
٥. (الشواهد) الأدلة التاريخية ٢٣٠
٦. الدليل العقلي ٢٣٢
٧. الاعجاز القرآني ٢٣٣
٨. اجماع العلماء ٢٣٣
الخاتمة ٢٣٧
قائمة المصادر ٢٣٩
الملخص باللغة الإنكليزية ٢٥٦

٧ ، ٢٢٠

ف ٢٨٢ الفتلاوي ، محمد كاظم

علوم القرآن التاريخية (تاريخ القرآ'ن)

دراسة في النظرية والتطبيق

محمد كاظم الفتلاوي. – بغداد: الرافد للمطبوعات، ٢٠٢٢.

٢٥٠ ص ، ٢٤ سم .

١. القرآن الكريم – دراسات . أ. العنوان.

م.و.

١٥٠ / ٢٠٢٢

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٥٠) لسنة ٢٠٢٢م

الترقيم الدولي I. S. B. N. 978 – 9922 – 9774 – 2- 3

التصميم والإخراج الفني

مكتب محمد الخزرجي ٠٧٨٠٠١٨٠٤٥٠

العراق - النجف الأشرف

ادعوه خوفا وطمعا
إن رحمت الله قريب من المحسنين

المؤلف في سطور

الاسم: محمد كاظم حسين الفتلاوي.

* حاصل على اللقب العلمي: (أستاذ) Professor

في ١٧/ ١٢/ ٢٠٢٠م.

* أستاذ في التفسير وعلوم القرآن الكريم في كلية التربية المختلطة/ جامعة الكوفة.

شغل مهام:

* رئيس قسم علوم القرآن الكريم / كلية الفقه الجامعة (اعارة).

* مسؤول وحدة الارشاد النفسي والتوجيه التربوي / كلية التربية.

* أمين مجلس كلية التربية.

الشهادات الأكاديمية:

١. خريج قسم التربية الإسلامية في معهد اعداد المعلمين / الديوانية ١٩٩٧م. (العشرة الأوائل).

٢. حاصل على شهادة البكالوريوس في علوم القرآن والتربية الإسلامية/ جامعة بغداد / كلية التربية (ابن رشد)/ ٢٠٠١م.

٣. حاصل على شهادة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية / كلية الفقه / جامعة الكوفة عن رسالته الموسومة بـ(حرية العقيدة والرأي في الفكر الإسلامي) وبتقدير (أمتياز). ٢٠٠٨م.

٤. حاصل على شهادة الدكتوراه في علوم القرآن الكريم والحديث الشريف / كلية الفقه / جامعة الكوفة/ عن أطروحته الموسومة بـ(المنظور القرآني في بناء الإنسان – دراسة تفسيرية –) وحاصلة على تقدير (أمتياز). ٢٠١٣م.

* محاضر لمادة (الميراث) في كلية القانون / جامعة القادسية لسنتين: ٢٠٠٧ – ٢٠٠٩م.

* محاضر لمادة: (العقائد، الفكر الإسلامي، مناهج المفسرين، مدارس فقهية، حقوق الإنسان) في كلية الدراسات الإنسانية الجامعة (الكفيل) / النجف الاشرف/ لأربع سنوات: ٢٠٠٨ – ٢٠١٢م.

* شارك في مؤتمرات علميّة عديدة.

* نشر بحوث علميّة في مجلات علميّة محكمة.

* نشر مقالات ثقافية في مجلات معنية.

* عضو هيئة عامة في جمعية منتدى النشر / النجف الأشرف.

* عضو المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة – جمعية علميّة- النجف الأشرف.

* عضو نقابة المعلمين / فرع النجف الأشرف.

* عضو جمعية أبي طالب الخيرية / قضاء الشامية/ المسؤول الثقافي.

* عضو المركز الإعلامي العراقي المقر العام/ الديوانية.

*** عضو في لجنة:**

- عضو لجنة تأليف مناهج التربية الإسلامية في وزارة التربية.
- عضو لجنة تأليف مناهج التربية الإسلامية في وزارة الداخلية.
- عضو لجنة تأليف المناهج الإسلامية في ديوان الوقف الشيعي.
- عضو لجنة الارشاد التربوي المركزية في ديوان جامعة الكوفة. ٢٠٢٢م

للتواصل مع المؤلف:

mohamadk323@gmail.com
mohammedk.alfatlawy@uokufa.edu.iq
http://staff.uokufa.edu.iq/profile.html?mohammedk.alfatlawy

كتب صدرت للمؤلف

١- **كتاب: الإدارة المدرسية في الفكر التربوي الإسلامي**، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٠٣١) لسنة ٢٠١٠م.

٢- **كتاب: الفرائض العبادية وأثرها في البناء الإنساني – دراسة قرآنية** -، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١١٣٤) لسنة ٢٠١٤م.

٣- **كتاب: الإعجاز في القرآن الكريم – دراسة في التفسير العلمي للآيات الكونية** - رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥٤٤) لسنة ٢٠١٥م.

٤- **كتاب: الفرق الإسلامية الكبرى** – الإمامية، المعتزل، الاشاعرة – دراسة مدخلية مقارنة في النشأة والأصول. رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٣٦) لسنة ٢٠١٦م.

٥- (كتيب): **اخلاقيات مهنة الشرطة في الفكر الإسلامي**. نشر كلية التربية / جامعة الكوفة ٢٠١٦م. رقم الإيداع: ٧٨٠ لسنة ٢٠١٦م.

٦- **كتاب: مناهج المفسرين – دراسة في النظرية والتطبيق**-، نشر دار حدود النجف الاشرف ٢٠١٧م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٦٢٨) لسنة ٢٠١٧م. طبعة ثانية: ٢٠٢٠م

٧- **كتاب: المجتمع الإسلامي المعاصر** -دراسة في ضوء الكتاب والسنة-، دار حدود للنشر، بيروت، ٢٠١٨م الطبعة الثانية: ٢٠٢١م، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٧٨) لسنة ٢٠١٨م.

٨- **كتاب: أصول التفسير** –دراسة في المبادئ العامة والضوابط والقواعد–، دار حدود للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م. ورقم الايداع في دار الكتب ببغداد (٣٩٠٧) لسنة ٢٠١٩م.

٩- **كتاب: أخلاقيات مهنة التدريس الجامعي**، تقديم: أ.د. بشرى اسماعيل أرنوط (مصر/ جامعة الزقازيق). الناشر: دار حدود، بيروت، ٢٠٢٠م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٣) لسنة ٢٠٢٠م.

١٠- (كتيب): **ميثاق أخلاقيات مهنة التدريس الجامعي**، دار حدود، بيروت، ٢٠٢٠م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٤) لسنة ٢٠٢٠م.

١١- كتاب: **التفسير التربوي للقرآن الكريم** -أضواء تربوية أخلاقية من وحي الآية الثانية عشرة من سورة الحجرات–، دار حدود، بيروت، ٢٠٢١م، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٨٥١) لسنة ٢٠٢١م.

١٢- كتاب: **أساليب القرآن الكريم** – دراسة في النظرية والتطبيق –، دار حدود، بيروت، ٢٠٢٢م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٤٤) لسنة ٢٠٢٢م.

١٣- كتاب: **علوم القرآن التاريخية** (تاريخ القرآن)، نشر: مؤسسة الصادق الثقافية، بابل، ٢٠٢٣م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٥٠) لسنة ٢٠٢٢م.

Conclusion

I will not hide a secret from you, dear reader, that I have a great need for a renewed exploration of the topics of historical Qur'anic sciences (the history of the Qur'an) that prompted me to this author.

It can be said that I have collected, prepared, prepared, and counted the various sources, articles, and research, then I wrote and prepared some weaknesses, weighed after a conflict, deleted after an increase, compared after confusion, modified after distortion, and systematized after dispersal, and collected after dispersal and corrected after suspicions, until this author settled on this form in form and content, presentation and substance. , style and wording.

Finally.. I ask God Almighty to have mercy on us and to help us in the service of His wise book in that you and I meet in our desired book – God willing – (objective sciences of the Qur'an) for its tools have been prepared and its fruits are described.

Prof. Dr:

Muhammad **K**azem **Al**-Fatlawy
Professor of Quranic Studies
University of Kufa / Najaf 2023